

# أبحاث في التصوف ٢

إعداد الشيخ

الدكتور عبد العزيز الخطيب

الحسني دمشقي الشافعي

نائب مشيخة الطرق الصوفية في البلاد الشامية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبحاث  
في التصوف



حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم  
الطبعة الخامسة  
١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

تطلب النسخة من المؤلف مباشرة  
هـ ٠٩٣٣٤٨٤٩٥٦

## قال أئمة التصوف

طريق بلا سلوك سترها مهتوك .

محمد الهاشمي

طريق الوصول طريق الرسول

يا سائلًا عن منهج المتصوف

اسمع كلاما شافيا من منصف

إن التصوف بالكتاب مشيد

وبسنة المختار طه الأشرف



## الإهداء

إلى سيدي ومولاي العارف بالله الولي المحقق

سيد أهل زمانه تقوى وورعاً وزهداً

الجامع لعلم الشريعة مع علم الحقيقة

البركة المعمر

شيخ الطريقة الشاذلية في البلاد الشامية

شيخ القراء

## الشيخ شكري الأحمدي

جمعنا الله به في مستقر رحمته

محبكم

خادم الطريقة الشاذلية

عبد العزيز الخطيب الحسني

الشافعي الدمشقي

## الدرس الحادي والسبعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الإمام جلال الدين الرومي

الإمام جلال الدين الرومي محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي (١٢٠٧ - ١٢٧٣م) قد عرف بمولوي جلال الدين الرومي، وهو منسوب لسيدنا أبي بكر الصديق. عرف بالرومي لأنه قضى معظم حياته لدى سلاجقة الروم في تركيا الحالية. ولد في منطقة بلخ في خراسان من أعمال إيران، وما يعرف حالياً بأفغانستان. وانتقل مع أبيه إلى بغداد في الرابعة من عمره، ثم رحل معه في البلدان، وبعد وفاة أبيه ٦٢٨هـ وعند قدوم المغول هاجر إلى نيسابور، والتقى بالشاعر الفارسي فريد الدين العطار، وهو أول من أثر فيه، وفي أثناء تجواله التقى بسيدنا ابن عربي، وأهداه بعض أعماله، وبقي معه أربع سنوات.

أديب وفقهه ومنظر وقانوني صوفي.

من أشهر فقهاء عصره بالمذهب الحنفي، وقد برع في سائر العلوم الشرعية واللغة العربية والشعر، وتولى التدريس لسنوات في أربع مدارس في مدينة قونية التركية، ثم تزهد في الدنيا وفي المناصب، وسلك مسلك الصوفية في الزهد والتفكير، وكان لطريقته في التربية الروحية الأثر الكبير لدخول الآلاف من الفرس والأعاجم واليهود والنصارى في دين الإسلام، لما تميّز به من سماحة واعتدال، وله عشرات الحكم المتفرقة في كتبه...، وكل من قال عنه: إنه زنديق وكافر وو...نقل ما يريد من افتراءات وأكاذيب لو قيلت في مشايخه أو فيمن يجب من السابقين لقامت قيامته.



تأثر هذا الإمام بشمس التبريزي، وابن عربي، والإمام الجياني...

وفي تعاليم الرومي:

كان جلال الدين مسلماً مؤمناً بتعاليم الإسلام السمحة، لكنه استطاع جذب أشخاص من ديانات وملل أخرى؛ وذلك بسبب تفكيره المرن المتسامح، فطريقته تشجع التساهل اللامتناهي مع كل المعتقدات والأفكار؛ كما كان يدعو إلى التعليل الإيجابي<sup>(١)</sup>، ويحثُّ على الخير والإحسان وإدراك الأمور عن طريق المحبة، وينظر إلى كل الديانات على أنها خيرةٌ وحقيقيةٌ بمفاهيمها؛ لذلك كانوا يعاملون المسلمين والمسيحيين واليهود معاملةً سواسيةً.

ومثل كل الصوفيين آمن الرومي بالتوحيد مع حبه لله<sup>(٢)</sup>، هذا الحب الذي يبتعد عن الإنسان، ويُبقي الإنسان في مهمةٍ إيجاده والعودة إليه، وبطلبٍ من مريديه وضع أفكاره ومبادئه في كتاب سماه «المنثوي» واستعمل في حياته خيوطاً من قصص يومية وإرشادات قرآنية وحكمٍ من خبرته لينسج كتاباً ثميناً ممتلئاً بمعان عميقة.

---

(١) كلُّ شيءٍ يحمله على محملٍ حسن، أو المساندة الاجتماعية: عندما نفسر أعمال الآخرين تفسيراً مفيداً بين الأولاد والأصدقاء نقوم بدور كبير في خفض الآثار السلبية للأحداث والمواقف السيئة التي يتعرضون لها... وتؤدي إلى خفض الأعراض الاكتئابية، وتقليل درجة الشعور بالمشقة، فهي عامل مهم في الصحة النفسية، فأسلوب التعليل لأفعال الآخرين بحسب ما تفسره تكون الإيجابيات، فتعامل مع الناس بحسن الظنِّ، واحمل الأشياء على محمل حسن.

(٢) ولا أدلُّ على ذلك من أنَّه كتب «قواعد العشق الإلهي الأربعين»، وهي تدلُّ على الله وحبه.

وأمن الرومي بالإنشاد والرقص الدائري<sup>(١)</sup> سبيلاً أكيداً للوصول إلى الله، واستعمل النَّاي سبيلاً للحنين إلى الله تعالى، فالإنصات إلى النَّاي عندهم رحلة روحية تأخذ الإنسان في رحلة تصاعدية للوصول إلى الكمال. فالموسيقا الداخلية الروحية للأناشيد الدينية تساعد المريد على التركيز على الاتصال بالله بقوة لدرجة أن المريد ينشد ثم يعود إلى الواقع فيجد الاختلاف الروحي<sup>(٢)</sup>.

وحين قدم الإمام التبريزي إلى قونية باحثاً عن شخص يجد فيه خير الصحبة وجد في الرومي ضالته، ولم يفترق الصاحبان منذ لقائهما، حتى إن تقاربهما ظل دافعاً لحسد الكثيرين للرومي؛ لاستثارة بمحبة القطب التبريزي.. وفي عام ١٢٤٨م اغتيل التبريزي ولم يعرف قاتله، فحزن الإمام الرومي على شيخه، ومن شدة حبه له فاض بأشعار ورقصات مولوية تحولت إلى ديوان سماه «الديوان الكبير».. وحتى مماته كان الرومي يقدم المواعظ والمحاضرات لمريديه ومعارفه وللأمة.. وبناء على طلب منهم وضع معظم أفكاره في كتب، ويمكن أن تصنف أعمال الرومي عدة تصانيف؛ وهي:

\* الرباعيات.

\* ديوان الغزل.

\* مجلدات المثنوي الستة مطبوعة في ستة أجزاء من القطع الوسط.

\* المحاضر أو الخطب.

---

(١) بالدوران عندهم تكبر المحبة في الإنسان، فتخفت أنانيته، ويصل إلى الحق والكمال.

(٢) نحن الفقراء كيف نعود بعد مجلس الحضرة من الصفاء ونور القلب والراحة النفسية؟ هكذا كل الطرق التي تتخذ الإنشاد والذكر مسيراً إلى الله تعالى.

\*الرسائل والمواعظ الستة.

وكان لمؤلفات الرومي التأثير الكبير في الأدب الفارسي والتركي والأوردي كما أثر في التصوف، وتمت ترجمة العديد من مؤلفاته إلى اللغات العالمية المعاصرة، ومن ضمنها اللغات الأوروبية، وعندني نسخة مترجمة إلى العربية مطبوعة طبعة نفيسة، كما غنى نجوم موسيقا بوب غربيون -مثل مادونا- ترجمات أشعار الرومي؛ لتعظيمه قوة الحب، واعتقاده الفائدة الروحية للموسيقا (الناي) والرقص.

من أقواله:

\*الحب النقي هو من يسكن الوحش الذي بداخلك.. أطلق العنان للمحبة وكن روحانياً<sup>(١)</sup>.. كن طيباً.. كن عاشقاً..

\*وقال: الوداع لا يقع إلا لمن يعشق بعينه، أما ذاك الذي يحب بروحه وقلبه فلا ثمة انفصال أبداً.

\*الرُّوح أساس الإدراك في العالم، حياتك بروحك، ومفارقة الرُّوح للجسد هي تعريف للموت، فالرُّوح تبقى والجسد يبلى، والذي يذوق الموت هو نفس الإنسان وليست روحه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

\*العشق المحبب الذي لا قرار له ولا سكون.. فكيف يحمل الجسم كله على الجنون؟!

---

(١) الرُّوح خلق من أعظم مخلوقات الله، شرفها وكرمها غاية التشريف والتكريم، فنسبها لذاته العلية في القرآن: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، الرُّوح لا يصدر عنها إلا خير؛ لأنها من أمر الله.

\*إنك عابد للصنم لو بقيت أسير الصورة<sup>(١)</sup>.. لأن الصورة مانعة قاطعة للطريق..  
فدع صورة الصنم وانظر إلى الحقيقة.

\*لا تحرق بساطاً من جِراءِ برغوث.. ولا تُضِعِ اليوم لانزعاجك من بعوضة.

\*إن الثمار تظهر عندما تسقط البراعم.. وكذلك تظهر الروح عندما ينزع عنها  
الجسد.

وسَيِّدنا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إلى ذلك بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ  
وَأَبْدَانِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

\*أي شيء يعني تعظيم الله وتمجيده؟.. أن تجعل النفس ذليلة كالتراب في وجوده.

\*ما معنى أن توحد الله؟.. أن تحرق نفسك وتعدمها أمام الواحد.

\*إن كنت تريد أن تشرق مثل النهار.. فاحرق كيائك المظلم كما الليل.

\*ومن جميل كلامه: ارتق بمستوى حديثك لا بمستوى صوتك، فالمطر الذي ينمي  
الأزهار، وليس الرعد.

ونختم بشيء من شعره:

نذهب ونسكن في بيت قرب البحر... لأن عطاءه الجوهر وطبعه السخاء..

اعلم أنّ مصاحبة الروح تجعلك مثلها... وقد أصبحت النجمة جميلة من مصاحبتها  
للسخاء..

---

(١) أسير المظاهر، أسير البذلة، والحذاء، والكرافة، والكنزة، والأكلة...، تعني بمظهرك، وتترك  
الاعتناء بقلبك ودينك.

جمالية الرُّوح في القرآن واضحة؛ لأنَّ الله ذكرها مقدسة مشرفة لا تتدنس: ﴿فَأَرْسَلْنَا  
إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]،  
﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [النحل: ٢]، والرُّوح هنا هي الكلمة الإلهية والأمر  
الإلهي، فلا تكون محلاً للشهوة أو الهوى.

أمَّا النَّفس فتتدنى وتهبط وتجانس إبليس في معصيته، النفوس المظلمة تهبط بفجورها  
إلى الدَّرَك الشَّيطاني؛ ولذا حجبهم الله عن رؤيته يوم القيامة: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ  
لَمَّحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

أتعلم أن الجسد أصبح جميل الوجه من مصاحبته للروح؟؟

وفاته:

حين توفي حضر جنازته جميع الملل والديانات، وحمل نعشه أشخاص من ملل خمسة،  
ودفن في قبر بجانب قبر والده.. وسمَّى أتباعه هذه الليلة بالعرس.. وما زالوا يحتفلون  
بهذه الليلة إلى الآن.. وأصبح مدفنه مزاراً، وقد زرته في قونية ورأيت فيه دلالة على تعظيم  
الأولياء...

جمع مريدوه محاضراته ومواعظه في عدد من الكتب والرَّسائل.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الثاني والسبعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الطريقة المولوية

للحقيقة الإمام جلال الدين لما مات قام ابنه سلطان<sup>(١)</sup> فأسس الطريقة المولوية مع أتباعه، فكان يوم موته هو عرسه يحتفلون فيه بالرقص والذكر والصلاة، والناي يرافق الرقص الدائري؛ يعني: ربّما هيئة الرّقص المولوي من إعداد ابنه سلطان، وليست من إعداده.

الناي يشبه أنيه أنين الحنين البشري لأصله في عالم الأزل<sup>(٢)</sup>!

طقوس السماع في (السمع خانة) أو بيوت الذكر كانت تقيمها -وما تزال- فرق المولوية. وفي مدينة (قونية) شرق تركية التي توفي فيها يستقبل كل عام في ذكراه آلاف الآلاف من السواح، فتقام لهم طقوس (مجالس) الطريقة المولوية الصوفية.. ولا تتوقف

---

(١) له ولدان سلطان وعلاء الدّين شلبي، ثمّ ماتت زوجته، فتزوج بأخرى، وأعقب منها ولدًا وبتنًا (أمير العِلم شلبي).

(٢) له قصيدة في النّاي مطلعها:

أنصت إلى النّاي يحكي حكايته... ومن ألم الفراق يبيث شكايته..

ومذ قطعْتُ من الغاب والرّجال والنّساء لأنيني يكون...

فكلُّ من قطع عن أصله... دائمًا يحن إلى زمان وصله..

وهكذا غدوت مطربًا في المحافل..

أشدو للسُّعداء، وأنوح للبائسين، وكلُّ يظن أنني له رقيق...

طوال العام أيضًا.. وتعتمد على الموسيقى الخاصة جدًا، ولها أنغام معروفة على الناي...  
وتعرف فرقتها الراقصة المعروفة في كل العالم باسم (فرقة الدَّرَاوِيش) (WhirlingDarwishes) وهي من أجمل ما يمكن أن نراه بين الطرق الصوفية  
المولوية.

وكانوا أول من أدخل الناي في حلقات الذكر، وأول من تحرك بحركات راقصة دائرية  
بعد أن كان الذاكرون في طقوسهم يثبتون في أماكنهم مع تحريك أجسادهم يمينًا وشمالًا.

الرقص لدى المولوية طقوس.. (برنامج ديني كامل) فكل حركة من اليدين والقدمين  
والرأس لها معنى ودلالة خاصة، والدوران عكس عقارب الساعة<sup>(١)</sup> دليل على تبادل  
الليل والنهار<sup>(٢)</sup>.. وهم يدخلون الساحة بعباءة بنية بلون التراب؛ دليلًا على الأرض  
﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]، ورئيس الفرقة  
يرتدي عباءة سوداء، فوق ألبسة بيضاء فضفاضة تدل على كفن الموت، ويضع طربوشًا  
طويلاً من اللباد الخشن يسمى (القلب) وهو يرمز إلى (شاهد القبر).

---

(١) كما هو الطواف حول الكعبة.

(٢) الوقت يمرُّ عليك، فاشغله بالذكر والطاعة، هذا مدلوله.

يخلع الدراويش عباءاتهم البنية ببطء ويمرون على شيخهم ويقبلون يده فيقبل رؤوسهم<sup>(١)</sup>. يخلعون العباءة وكأنهم يتجردون من الحياة ذاتها في طريق الخلاص، فتبدو تحتها ثيابهم البيضاء الواسعة - وهي الكفن - استعدادًا للموت..

هذه المعاني تساعد على خوض غمار الحياة، فيشعرون أنهم في كل لحظة مفارقون الدنيا متجهون نحو الآخرة، فتصفو قلوبهم، ويقبلون على ربهم، وكأنهم ينفذون الحديث الشريف: «صَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ».

يدور الشيخ بحركات دائرية واسعة كأنه يدور حول مركز الكون<sup>(٢)</sup>. ثم يدور الراقصون حوله فكأنهم يرمزون لحركة الكون أيضًا.. يرقصون بدورات بطيئة في البداية حول شيخهم، والدوران يكون بثبات القدم اليسرى التي تدور في مكانها على العقب، ثم تلتف القدم اليمنى على أطراف الأصابع حولها في تتابع سريع. القدم الثابتة هي الشريعة (الثابتة) والقدم المتحركة هي الدنيا وما يستجد فيها.. وفي كل لفة يذكر اسم الجلالة الذي يرسمونه بحركة أيديهم وأجسامهم!! للاستعانة به لحفظ الشريعة أمام هول الذنوب وسرعة تعاقب الأيام.

---

(١) كأنهم يطلبون الإذن منه في الرقص الصوفي.

(٢) وهكذا كل شيء يدور حول مركزه، ونحن نطوف حول الكعبة مركز الأرض أم القرى، حتى الإلكترونيات تدور حول النواة.



هذا الدوران يتسارع حتى يبلغ الذروة<sup>(١)</sup> ويشترط أثناء الدوران ألا تلامس أيديهم ثيابهم بأي حال<sup>(٢)</sup>!! كف اليد اليمنى المرفوعة إلى أعلى تعني التوجه للسماء وطلب الرحمة والمدد، واليسرى تتجه إلى أسفل، وتدل على الأرض وما فيها من خطايا.. فهو يتلقى الرحمة من الله تعالى، ويحاول أن يتوجه بها إلى البشر على الأرض أملاً في تخطي ذنوبه<sup>(٣)</sup>...

إذن هذا الرقص ليس عبثاً، له معنى ومدلول يستحضره الذاكر عند حركته.

يبدؤون مجلسهم بقراءة القرآن، ثم يبدأ الإنشاد على الناي في حب رسول الله مع ارتفاع صوت الموسيقى بالتدرج، وتتردد كلمة (الحي) ليختتم صلة الدوران بعبارة (الله الله الله..).

لقد حضرت مجلسهم الذي يعقدونه، وبويعت فيه على خلافة الطريقة المولوية... والله الحمد.

الإنسان حي يرجو رحمة الله وهو مشدود إلى الأرض والتراب والذنوب.. وعليه أن يستعد للموت فيلبس كفته<sup>(٤)</sup>، ولكي يكون راضياً صالحاً سعيداً عليه أن يذكر الله

---

(١) والدنيا تدور حتى تنتهي.

(٢) لأنها تمثل الدنيا، وفي الطريق إلى الله يجب الابتعاد عن الدنيا والزهد فيها.

(٣) فهو كالميزاب، ما يأتيه من الله يوزعه على البشر ومن حوله رجاء مغفرة الذنوب.

(٤) كيف تتصوّرون رجلاً يحمل كفته معه؟ كيف ستكون أخلاقه ودينه وتعامله مع الخلق وأخذه من الدنيا لآخرته؟!

ويعبده؛ ليتخلص في النهاية من كل ما يتعلق به من الأرض، ويقوم على خدمة عباد ربه في الدنيا ليرحل سعيداً في النهاية إلى الخالق!! فالحياة رحلة... بين الولادة والموت.

هذه بعض أحوال الطريقة المولوية.. ولا شك أن الناي لم يُجِزُهُ من العلماء إلا المالكية أجازوه لراعي الغنم فقط.. وأمّا الدوران والحركة فهو أمر مباح لا يقال فيه: حلال ولا حرام<sup>(١)</sup>.. وأمّا الإنشاد الديني فهو حلال.. حلال.. حلال..

### المصادر:

- «جلال الدين الرومي بين الصوفيّة وعلماء الكلام»، عناية الله أبلّغ الأفغاني، الدار المصرية للكتاب (١٩٧٩).

- «عمدة التّحقيق في بشائر بيت آل الصّديق» لأبي المكارم الصّديقي.

- «رشف سلاف الرّحيق في نسب حضرة الصّديق» للزّبيدي.

- «شعراء الصّوفيّة» محمّد حسن الأعظمي (١٩٨٨).

- «مناقب العارفين» الأفلاكي.

- «جلال الدين الرومي» محمّد عبد السّلام كفاقي.

- «جلال الدين الرومي وآثاره بالعربيّة»، د. حسين علي محفوظ - د. نبيلة داود،

(١٩٧٧).

### يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) إلا إذا كان متشبّهًا بالنساء فيحرم...

## الدرس الثالث والسبعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الإمام محمد بهاء الدين النقشبندي الأويسي<sup>(١)</sup> البخاري

##### شيخ الطريقة النقشبندية

هي مثل الشاذلية، ترفض الأفكار الثورية، وتمنع الاندماج فيها، وتؤكد أنّها لا تكفّر أحداً، وتعتقد ضرورة الزهد، والورع، والتفرغ للعبادة، تحت شعار: دع الملك للملك، وتركية تعدّ الطريقة الكبرى من الطرق الصوفية، مركزها الرئيس في إسطنبول، وعندنا في الشام كان شيخها الشيخ لطفی الفيومي، وقبله الشيخ أبو الخير الميداني، وكان لهم زاوية في شارع بغداد تسمّى الأزبكية، وهي فرقة من الفرق النقشبندية، وفي لبنان فرقة الأحباش، وفي العراق أتباع مولانا خالد منذ (١٨٠٨ م).

أخذت الطريقة النقشبندية اسمها من اسم إمامها رضي الله عنه، ومتبعو طريقته سُموا بالنقشبندية.

---

(١) سُمي أويسياً؛ لأنّ خلقه في التصوف هو خلق سيدنا أويس القرني، وقيل: إنّهُ استمد من مشايخ الطريقة الرّاحلين قبله كما استمدّ سيّدنا أويس من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بعيد عنه، فكما ربّت الحضرة النبوية سيّدنا أويسا بلا واسطة؛ كذلك تربّى سيّدنا محمد بهاء الدين، وقيل: إنّ هذا مما توجه له أكثر مشايخ الطريقة أثناء سلوكهم، وتربّوا بالرّوحانية.

وسلسلة الطَّريقة تصل إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد عشرة من المشايخ، من الإمام بهاء الدِّين إلى سيِّدنا أبي بكر الصِّدِّيق (طريقتنا بينها وبين النَّبي ١٧ رَجَلًا)؛ لأنَّهم قصار الأعمار، وكلِّما كثر رجال الطَّريقة؛ زادت بركتها، بعكس الإسناد في الحديث كلِّما قلَّت رجاله علا.

وكلمة (النَّقْشَبَنْد) من حيث المعنى تنقسم قسمين؛ القسم الأول منها: هو (النَّقْش) وهو يحمل المعنى العربي نفسه الذي يدل على فعل النقش على الحجر أو الجدار أو القماش، والقسم الثاني: هو (البَنْد) وهو باللغة الكردية والفارسية والتركية يعني: الحبل أو الوتر؛ لذا يقصد بـ(النَّقْشَبَنْد): نقش اسم الجلالة (الله) على جبال القلب وأوتاره وشغافه، وقال شاعر النَّقْشَبَنْدِيَّة:

يا رفيقًا في طريق النَّقْشَبَنْد      انقُش ذِكْر الحَقِّ في قلبك بِجِدِّ

وقيل: إن سبب التسمية أن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده الشريفة على قلب الإمام محمد بهاء الدين، فنقش نور كف سيدنا رسول الله على قلب الإمام، وأصبح النور ظاهرًا يُرى فقليل: إن النقش بان.. ولذلك أطلق عليها النقشبنديَّة.. والله أعلم.

حياته رضي الله عنه:

هو الشَّيْخ الإمام بهاء الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، الملقب بمحمَّد البخاري، وذكرت بعض المصادر أنَّه حسيني النَّسب.

ولد رضي الله عنه في شهر محرم الحرام عام (٧١٧ هجرية) في قصر عارفان؛ وهي قرية بالقرب من بخارى...

وبعد أن تلقى العلوم الشرعية صحب في الثامنة عشرة من عمره الشيخ محمد بابا الساماسي المدفون بقرية سماس القريبة من بخارى<sup>(١)</sup>، فأخذ عن شيخه السكينة والخشوع والتضرع، وبعد وفاة السماسي صحب الشيخ الأمير كلال رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> فاعتنى به ورعاه ورباه أفضل تربية<sup>(٣)</sup>.. حتى غلبت عليه جذبة إذ سمع هاتفاً يناديه: (أما آن لك أن

---

(١) الإمام السماسي عَلم الأولياء، وولي العلماء، جمع بين علمي الظاهر والباطن، توفي سنة ٧٥٥هـ على بعد ثلاثة أميال من بخارى، وكان علامة في كلّ الفنون، عاش ٥٠ سنة، ٧٠٥-٧٥٥هـ، وترك بعده أربعة خلفاء منهم الشيخ كلال، وسيمر ذكره كان كلما مرّ بقرية عارفان، قال: إني لأشم ريحة عارف، فلماً ولد؛ قال: زادت الرائحة، ومرة حلّ مع عدد من مريديه ضيفاً على قرية الإمام بهاء الدين ولم تمض ثلاثة أيام من عمر الطفل بهاء الدين، فاحتضنه جدّه محمّد جلال الدين، وقدمه للشيخ السماسي، وفرح به، وقال: قبلتُ هذا الطفل ولدًا لي، وبشّر به، وأنه سيكون له شأن، بل إمام زمانه، فربّاه جده تربية صوفيّة وزوجه وعمره ١٨، ووضع خادماً لشيخه السماسي، وتلقّى منه الطّريقة التي كانت تسمّى طريقة خواجه خان.

(٢) أخذ به جدّه إلى سمرقند فقدمه لخليفة السماسي الأمير كلال.

(٣) وقال الأمير كلال: إنّ شيخه أوصاه به، وقال له: لا تألّ جهداً في تربية ولدي محمّد بهاء الدين ولا بالشفقة عليه، فبدأ بهاء الدين بالذكر والفكر والسلوك الصوفي وتربية القلب وتزكية النفس، وكان استعداده فوق العادة، يقطع مسافة شهر بيوم، ومسافة عامّ بأيام.

تعرض عن الكل وتتوجه إلى حضرتنا؟!). فترك سيدنا الشاه نقشبند الكل، وأخذ يهيم على وجهه مدة شهر تقريباً، وقد أصبحت الجذبة من مبادئ الطريقة.

وكان يريدو سيدنا الأمير كلال رضي الله عنه إذا اجتمعوا يذكرون جهراً<sup>(١)</sup>، وإذا

انفردوا يذكرون خفية، وكأنَّ الشاه نقشبند لم يقرهم على الذكر الجهري واقتصر على الخفي<sup>(٢)</sup>، وفي ذلك يقول:

(هناك طريقان للذكر: سري و جهري، فاخترت منها السر لأنه أقوى)، فأصبح هذا النوع من الذكر أهم ما يميز الطريقة النقشبندية العلية من سواها من الطرق الصوفية الأخرى<sup>(٣)</sup>.

وبعد إتمام التحصيل على سيدي الأمير كلال رضي الله عنه<sup>(٤)</sup> أخذ سيدنا الشاه

---

(١) نحن الشاذلية والقادرية الذكر جهري عندنا، والمولوية تعرف بقراءة الأشعار والذكر وحفلات السماع.

(٢) وكلها تلتقي في هدف واحد هو معرفته سبحانه والقرب منه.

(٣) والحقيقة أنَّه رَوَّج الذكر الخفي من أجل دوام المذكور في القلب، ونقشه في الباطن، وسيمر معنا تفصيل الكلام على الذكر الخفي إن شاء الله.

(٤) جمع الأمير كلال مريديه يوماً، وقال لمحمد بهاء الدين أمامهم: إني نَفَذت وصية مرشدي الخواص الساسي بتربيتك، ولم أَلْ جهداً في تربيتك، ثم مدَّ يده إلى صدره وقال: إني أرضعتك جميع ما في صدري، فبیس ثديي، فتمكنت من إخراج قلبك من قشرته البشرية، وتخليصك من النَّفس

نقشبند يزور الصالحين<sup>(١)</sup> ويستفيد من أحوالهم<sup>(٢)</sup>، وفي تلك الأثناء حج ثلاث مرات، ثم أقام بمرور وبخارى، ثم عاد أخيراً إلى بلدته قصر عارفان ليستقر فيها، فطار صيت إرشاده إلى كل المدن والأمصار، وقصدته الناس من كافة الأقطار، وتبدلت غيوم القلوب بعلوم الغيوب، وشرورو النفوس سرورا وجورا، وأصبح يث من العلوم والأسرار الوهية والمعارف الأحادية والفيوضات المحمدية ما لا يحيط به محيط<sup>(٣)</sup>.

### وفاته رضي الله عنه:

لما مرض رضي الله عنه دخل خلوته، وأخذ مريدوه يتوافدون عليه ويلازمونه، فكان يوصي كلاً منهم بما يناسبه، وبعد ذلك أخذوا يتلون سورة (يس) فلما أتموها رفع رضي الله عنه يديه بالدعاء فدعا، ثم مسح وجهه وفاضت روحه، رحمه الله تعالى، وذلك ليلة الاثنين المصادف الثالث من شهر ربيع الأول سنة (٧٩١ للهجرة)، ودفن في بستانه كما أوصى<sup>(٤)</sup>.

---

والشيطان، وأصبحت رجلاً عظيماً، وأنبئت محلّ نفسي، وهمتك تتطلب العلي، وهذا منتهى مقدرتي على تربيتك، وأجيزك لتبحث عن رجل أصلح مني؛ لعله يعرج بك إلى مقام أعلى.

(١) كالإمام عارف الديك كراني والشيخ خليل أنا.

(٢) وكانت له أسفار عديدة ينتقل بين علماء الشرع، ولا سيما السنة النبوية.

(٣) ورَبَّى عشرات آلاف من المريدين، ووصل بعضهم إلى درجة الإجازة المطلقة، وبركته تمكن خلفاؤه ونوابه من إبلاغ مريديهم إلى غاياتهم، ومن ضمنهم خواجه محمد بارسا، وترك عشرين مؤلفاً منها: «القدسية»، وهو كتاب يضم أقوال الشيخ نقشبند، طبعه السيد أحمد طاهر العراقي، ووضع عليه صورة ضريح الشيخ.

(٤) ويقولون: إن هذا البستان ما زال إلى اليوم يزهر الفواكه كافة، وبني جامع بجواره، وخلفه ابنه أبو النصر بارسا، وهو من كبار مشايخ النقشبندية، ومن عظماء الطريقة، وبلغ مريدوه عدداً لا

## مصادر البحث:

- القدسيّة.
- رسائله.
- مكتوبات الإمام الرّباني.
- نفحات الأنس ملا جامي.
- أنيس الطّالين وعدّة السّالّكين.
- «الحديقة النّديّة في آداب الطّريقة النّقشبنديّة»، محمّد بن سليمان البغدادي.
- «مناهج السير» لأبي الحسن المجددي.
- «الحدائق الوردية في أجلاء النّقشبندية».
- «الأنوار القدسيّة من مناقب السّادة النّقشبنديّة» محمّد الرّخوي.
- «المواهب السّرمدية في مناقب النّقشبنديّة».

## يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

يحصى حتّى قيل في كتاب «الحدائق الوردية»: إنّ له خلفاء كنجوم السّماء، ويتوافد على ضريحه على الدّوام خلق كثير حتّى من الصّين، ويقوم أهل بخارى بزيارته كلّ أربعاء، ووقف على بستانه وضريحه وجامعه كثير من الملوك، وللإمام رسائل عدّة؛ ك«الأوراد البهيّة»، و«الورد الصّغير»، و«الأوراد البهائيّة»، و«دليل العاشقين»، ورسالة «الحياة»، وهي نصائح.



## الدرس الرابع والسبعون

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

مولانا الشيخ خالد النقشبندي

(١١٩٣-١٢٤٢هـ) (١٧٧٩-١٨٢٦م)

العالم المجدد

شيخ مشايخ الطريقة النقشبندية

بعد قرون متطاولة حوالي أربعة قرون من وفاة مؤسس الطريقة النقشبندية سيدنا

الإمام الشاه نقشبند رضي الله عنه؛ مَنْ الله على الطريقة بإمام مجدد لها هو:

سيدنا ضياء الدين أبو البهاء خالد بن أحمد بن حسين الشهرزوري السلفي

الشافعي النقشبندي المجددي القادري السهروردي الكبروي الجشتي<sup>(١)</sup>، سليل

العارف بير<sup>(٢)</sup> ميكائيل المشهور بين الأكراد بـ شُشانكشت؛ يعني: صاحب الأصابع

---

(١) هذه أسماء الطرق الصُوفية المجاز فيها.

(٢) هذه كلمة مرتبة دينية عند الأكراد إلى اليوم، والأكراد والأعاجم سخَّروهم الله لنصرة دين الإسلام

بصد هجمات أعداء الإسلام، فهل كان السلطان عبد الحميد ومحمد الفاتح إلا أعجميين من

الترك؟، وهل كان قنظ إلا عبداً مملوكاً من أصفهان؟، وهل كان صلاح الدين إلا كردياً لا ينطق

بالعربية؟، أمثال هؤلاء يدين لهم العرب والمسلمون، ولولا أن الله سخَّروهم للإسلام؛ لكانت

بغداد الآن للمغول، والجزيرة العربية والشام لليهود، وتركية والمغرب العربي كله بيد

الصليبيين...، بل كثير ممن أوصلوا إلينا الإسلام كانوا موالي؛ منهم عطاء بن أبي رباح، وأبو حنيفة،

الست الشيخ خالد بينه وبين شاه نقشبند ١٢ خليفة، وهو رقم ١٣، وهو خليفة الشيخ عبد الله الدهلوي، والشيخ ناظم الحقاني بينه وبين مولانا خالد سبعة خلفاء. ويتنهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويتصل نسب والدته بالعارف بير خضر المنسوب إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها.

ولد سنة ١١٩٣هـ في قسبة قرة طاغ على خمسة أميال من بلدة السليمانية<sup>(١)</sup>، ونشأ فيها برعاية والده، وقرأ في مدارسها القرآن الكريم، و«المحرر» للإمام الرافعي<sup>(٢)</sup>، وشيئاً من النحو والصرف، وبرع في النظم والنثر وهو دون البلوغ، وجعل يدرّب نفسه على الزهد والعفة منذ وقت مبكر.

ثم رحل إلى بعض نواحي بلاده لطلب العلم، فقرأ في السليمانية على الشيوخ فيها.

---

وسيبويه، والحوارزمي، والبخاري، وبقية السّنة، واليوم نحن مع الإمام خالد النقشبندي الكردي.

(١) شمال العراق؛ يعني: هو كردي.

(٢) الإمام الرّافعي كتب هذا الكتاب من ثمانية كتب ألفها، اختصر فيه المذهب الشّافعي، يقول الإمام ابن حجر (ت ٩٧٤هـ) في «التّحفة» (١/٣٥): وتسميته «المحرر» مختصراً لقلّة ألفاظه، لا بكونه ملخصاً من كتاب معين، ويقول البجيرمي: إنّه مختصر من «الوجيز» للغزالي، رغم أنّ الإمام الرّافعي لم ينص في مقدّمة كتابه أنّه مختصر منه (١/١٥)، وحقيقة هذا الكتاب عمدة في الفقه الشّافعي، ويجوي خلاصة المذهب بعبارات موجزة، وقد اختصره الإمام النّووي في كتابه «منهاج الطّالبيين»، وهو مطبوع بثلاثة مجلدات.

ثم سافر إلى جهات<sup>(١)</sup> فقرأ على أجلائها<sup>(٢)</sup>، ثم قدم بغداد فقرأ «المتهى» في الأصول. وفي هذه الزيارة الأولى لبغداد اجتمع به كبار العلماء ورأوا علمه الزاخر وكان يومئذ يتعاطى التبغ، فكانوا إذا خرجوا من عنده بالغوا في مدحه وانتقدوه على التدخين - ولم يكن التدخين محرماً وقتها - فلما بلغه ذلك دعاهم إلى طعام ثم بحث في الأصول وبيان الحلال والحرام والإباحة وأقام عليهم الحجة، وعندئذ أحضر أدوات التدخين فكسرها أمامهم.

رغب الأمير إبراهيم باشا أن يعينه مدرساً في بعض المدارس ويخصص له الوظائف العلمية العالية فاعتذر وقال: لست من أهل هذا المقام.

ثم رحل ليزداد علماً في نواحٍ عدة من السلمانية فقرأ فيها الحساب والهندسة والاصطراب والفلك.

كما تعلم الكردية والفارسية إلى جانب العربية، وقرأ المنطق بعدد من الكتب.

ثم ولي تدريس مدرسة أجلّ أشياخه<sup>(٣)</sup> الشيخ عبد الكريم البرزنجي بعد وفاته بطاعون السلمانية سنة ١٢١٣ هجرية، وبقي فيها حتى سنة ١٢٢٠ هـ حين جذبته الشوق

---

(١) عاش في العراق وسورية والحجاز والهند وأفغانستان وإيران وفلسطين.

(٢) ومارس التدريس فيها.

(٣) في أيّ مدرسة حلّ يكون هو الأتقى والأورع، ولا يسأل عن مسألة من العلوم إلاّ ويجيب بأحسن

جواب، ولا يمتحن بعويصة من «تحفة ابن حجر» أو «تفسير البيضاوي» إلاّ ويكشف عن وجوه

إلى البيت الحرام وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، فخرج قاصداً الحج عن طريق الموصل وديار بكر والرها وحلب ودمشق.

وفي دمشق اجتمع بعلمائها كالشيخ محمد الكزبري<sup>(١)</sup> سمع منه وأخذ عنه الأسانيد

العالية والإجازات المسلسلة في ذهابه وإيابه، واجتمع أيضاً بتلميذه الشيخ مصطفى الكردي فأجازه كشيخه بأشياء منها الطريقة القادرية.

ولما وصل إلى المدينة المنورة مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصائد فارسية.

وبحث عن شيخ عالم، فلقي شيخاً يمينياً، فاستنصحه، فنصحه بأمور؛ منها: لا تبادر بالإنكار في مكة على ما ترى ظاهره يخالف الشريعة، فلما وصل إلى الحرم المكي، وبكر لصلاة الجمعة؛ جلس يقرأ «دلائل الخيرات»، فرأى رجلاً ذا لحية سوداء، عليه زي العوام قد أسند ظهره إلى الشاذروان، ووجهه إليه، فقال في نفسه: هذا الرجل لا يتأدب مع الكعبة، فأنطق الله الشيخ فقال: يا هذا! أما عرفت أن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة؟! فلماذا تعترض علي؟! أما سمعت نصيحة من في المدينة وأكد عليك؟! قال: فلم أشك أنه من أكابر الأولياء، وقد تسترّ بأمثال هذه الأطوار، فصار يقبل يديه،

---

عجائب الفوائد، مع قوة حافظة وذكاء خارق، فاشتهر خارق علمه، وطار إلى الأقطار صيت تقواه وفهمه.

(١) وصف هذا الشيخ بأنه شيخ القديم والحديث، ومدرس دار الحديث.

ويسأله العفو، وطلب منه أن يدلّه على الحقّ، فقال له: فتوحك لا يكون في هذه الدّيار، وأشار بيده إلى الدّيار الهندية، وقال: تأتيك إشارة من هناك، فرجع إلى الشّام.

وفي الهند في جهان آباد سنة ١٢٦٠هـ التقى بشيخه الإمام العَلَم عبد الله الدّهلوي، وأمضى خمسة أشهر نال فيها المشيخة والخلافة والإجازة في خمسة طرق: النّقشبندية، والقادرية، والسهروردية، والجلشية، والكبروية، ثمّ عاد إلى كردستان، ونشر الطّريقة في بقاع العراق، ونظم قصيدة من ٧١ بيتاً في شيخه وبشّره ببشارات.

وفي السنة نفسها رحل إلى بغداد فنزل في زاوية جدنا مولانا الإمام الشيخ عبد القادر الجليلي أيام وزارة سعيد باشا بن سليمان باشا، وبقي يرشد الناس نحو خمسة أشهر، ثم عاد إلى وطنه بشعار الصوفية.

وفي ذلك الوقت هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه ووشوا به عند حاكم كردستان، فترك السليمانية سنة ١٢٢٨هـ ورجع إلى بغداد، ونزل في المدرسة الأحسائية الأصفهائية فعملها بالعلوم والأذكار.

وحدث حينئذ أن أُلّف فيه الشيخ معروف البرزنجي رسالة بعث بها إلى والي بغداد سعيد باشا يحرّضه فيها على إهانته وإخراجه من بغداد وضلّله فيها وكفّره<sup>(١)</sup>. ومما قال في رسالته: إن الأكراد كلهم اتبعوه، وملاً ببدعته الآفاق، وإنه يدعي التصرف في الكائنات،

---

(١) من سُنّة الله أن يجعل حساداً لكلّ من تفرّد بالفضل، لا ترى عالماً يحلّ بأرض إلّا أورشوه دار

هذه الكعبة بيت الله يسعى لحجّها الثقلان، وترى أزهّد النَّاس فيها أهلها لقرب المكان!!

ويدعي علم الغيب، وإنه ذهب إلى الهند فتعلم من السحرة الجوكية، ومن نصارى الإنكليز ديناً ظهر عندهم، ثم حرص الباشا على تمزيق طريقته وشعوذته... إلى غير ذلك. فانتدب الوالي للرد عليه<sup>(١)</sup> مفتي الحلة الشيخ محمد أمين، فألف رسالة مهرها علماء بغداد<sup>(٢)</sup> دافعوا فيها عن الإمام خالد.

رجع بعد ذلك إلى السليمانية<sup>(٣)</sup> فبنى له أمير الأمراء محمود باشا بن عبد الرحمن باشا زاوية ومسجداً<sup>(٤)</sup>، وأوقف عليها وقفاً، ورتب للطلاب المواظين فيها رواتب كافية، فأقبل المريدون عليه وطلبة العلم من مختلف البلاد، وانتفع به خلق كثيرون من الأكراد<sup>(٥)</sup>. مدحه وقتذاك أدباء عصره<sup>(٦)</sup> بالقصائد العربية والفارسية، وألف فيه الشيخ عثمان بن سند النجدي البغدادي كتابه "أصفي الموارد من سلسال أحوال مولانا خالد" ووضع فيه

---

(١) وعرف الوالي بأنها رسالة حسد وبغضاء.

(٢) والإمام قابله بالدعاء والمسامحة.

(٣) أراد الله بجولة الإمام نشر الطريقة النقشبندية في الأرض، وأن تتبارك تلك الأراضي التي مرَّ عليها الإمام.

(٤) هيأ الله له هذا الأمير؛ ليتخذ زاوية ومسجداً في السليمانية.

(٥) طالب العلم إذا وجد من يصرف عليه؛ أقبل على طلب العلم، والإمام الشافعي يقول: لو كلفت بصلة ما تعلمت مسألة.

(٦) لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوهه، العالم يعرف قدر العالم، والأديب الشاعر يعرف قدر الأديب الشاعر.

الشيخ حسين الدوسري الأحسائي خليفته في بلاد الأحساء كتب "الأساور العسجدية في المآثر الخالدية".

بلغ رتبة الإمامة وهو لم يبلغ الأربعين من عمره، أراد أن يعلي قدر الإمام؛ لإخلاصه وعلمه وصوفيته الصادقة.

رحل إلى بغداد بعد ذلك فنزل المدرسة الأحسائية أيضًا، وجددت له، فجعل ينشر العلم، وانقاد له العلماء وشاع فضله، وصار يرسل الخلفاء إلى البلدان المختلفة، فأرسل إلى الشام الشيخ عبد الرحمن العقري الكردي، ثم أرسل الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي الذي تلقى عنه كثيرون الطريقة النقشبندية، ومنهم مفتي دمشق الشيخ حسين المرادي<sup>(١)</sup> الذي كتب إلى الشيخ خالد يشير عليه بقدوم دمشق فانشرح صدره للرحلة إليها.

فلما أراد الرحيل إلى الشام سنة (١٢٣٨هـ - ١٨٢٠م)<sup>(٢)</sup> أقام مقامه على سجادة الإرشاد الخلفاء في البلاد، ثم خرج من بغداد وأبقى أهله فيها، وتبعه الناس أفواجًا فودعهم، وصحبه كثير من العلماء والخلفاء والمريدين والشيخ عيسى الكردي<sup>(٣)</sup>.

---

(١) هذه الأسماء تجدونها في كتاب «الحدائق الوردية في تراجم النقشبندية».

(٢) قبل وفاته بأربع سنين.

(٣) كبير النقشبندية في عصره، فقيه شافعي، ولد ١٢٤٧هـ - ١٨٣١م، أخذ العلم عن شيوخ عصره أهمهم إبراهيم الباجوري، شيخ الأزهر، (ت ١٢٧٦)، وانتفع الناس بعلمه وعمله وعطائه، وتعلمذ عليه علماء دمشق الكبار؛ من تلاميذه: الشيخ عطا الكسم مفتي الشام، والشيخ أبو الخير الميداني رئيس رابطة العلماء، والشيخ إبراهيم الغلاييني، وأمين كفتارو، وأمين الزملكاني، من

وصل دمشق بموكبه الحافل في السنة المذكورة ١٨٢٠م، واستقبله كثير من أهلها بالإعزاز والترحيب، كان نزوله أولاً في الجامع المعلق فهرع لزيارته العلماء والأمراء والحكام، ثم نزل في خلوة بني الغزي بالجامع الأموي، وتزوج بعد ذلك منهم شقيقة الشيخ إسماعيل الغزي<sup>(١)</sup> السيدة عائشة، ثم أحضر أهله من بغداد، ثم اشترى داراً فخمة بحي القنوات جعل قسمًا منها مسجدًا.

أقام<sup>(٢)</sup> ينشر العلوم الشرعية، وأشاد دعائم الطريقة النقشبندية، وجعل يرشد السالكين ويربي المريدين، وصارت له منزلة عظيمة، ورحل إليه الأعلام من مختلف البلاد، وأرسل الرسل للأقطار حتى ذاع صيته وعم النواحي نفعه.

أحيا كثيرًا من مساجد دمشق بالأذكار<sup>(٣)</sup> حيث يصلي الجمعة، وفوض أمر تربية المريدين فيه لخليفته الشيخ إسماعيل الأناراني، والشيخ أحمد الخطيب - كما هو الحال أيضًا في جامع السويقة "النقشبندي" - بإقامة الذكر وختم الخواجكان (وهو ورد النقشبندية)،

---

كلامه: عليك بالمحبة والصدق، والمواظبة، واتباع الشريعة المطهرة، والدوام على ذكر الله في القلب من غير فتور في كل الأحوال، إنَّ المقصود من الذكر هو تذكُّر المذكور، ومن دون ذلك لا فائدة من ذكر اللسان والقلب، توفي في دمشق (١٣٣١هـ - ١٩١٢م)، ودفن بجوار شيخه مولانا خالد النقشبندي، للشيخ أبي الخير الميداني صهره وتلميذه رسالة في ترجمته.

(١) أَلَّف رسالة «حصول الأنس في انتقال حضرة مولانا إلى حضرة القدس» وآل الغزي مفتو الشام من زمن طويل.

(٢) في دمشق ٤ سنوات.

(٣) مجلس صباح الجمعة، وورث هذا المجلس تلاميذه ومريدوه وخلفاؤه.



وأذن كذلك للشيخ عبد القادر الديملاني في جامع الصاحبة في الصالحية، وقرأ هو بنفسه صباحًا في مدرسة داره بالقنوات «شرح المنهاج» للرملي، جامعًا بين أقوال الخطيب والرملي وابن حجر، وكان معيد درسه الشيخ عمر الغزي، ثم الشيخ محمد الخاني.

كان له في كل بلدة خلفاء ومريدون، وخصوصًا في الآستانة التي اشتهر فيها اسمه وأقيمت له فيها تكايا وزوايا، ورحل بموكبه إلى القدس الشريف، فزار مدينة الخليل، ثم في سنة ١٢٤١هـ حج البيت الحرام<sup>(١)</sup>.

وقع له في دمشق شبه ما وقع له في بغداد<sup>(٢)</sup>؛ ذلك أنه أرسل من أتباعه رجلًا يدعى عبد الوهاب السوسي لنشر الطريقة النقشبندية في الآستانة، فاعتقد به شيخ الإسلام وجمهور العلماء والوزراء، فمالت نفسه إلى الدنيا والشهرة، ولما بلغ أمره الشيخ خالد أحضره واستتابه واستخلف غيره، فأظهر التوبة وأضمر المكر، ثم ما لبث الرجل أن أرسل إلى أتباعه في الآستانة مراسلات زائفة، فاطلع عليها الشيخ خالد وكتب عندئذ ثلاثة كتب إلى إخوانه هناك بحقيقته، ورحل عبد الوهاب إلى المدينة المنورة فاجتمع فيها بأشخاص لفقوا معه أقوالاً على الشيخ، وزعموا أنه يدعي رؤية الجن، وألفوا رسالة بتكفيره أرسلوها إلى دمشق مع أحد الأكراد العوام.

---

(١) بقي جوالاً رغم مكثه في دمشق، وهذه الحجّة كانت حجّة الوداع له.

(٢) لم يسلم الشّيخ من بعض المنافقين في دمشق أيضًا.

واطلع الشيخ على الرسالة فأمر بعبد الوهاب فشهر به في البلدة وعزّر، ثم أمر به فأدخل عليه ووعظه وعفا عنه وأكرمه، وعندها ألف تلميذه الشيخ محمد أمين عابدين رسالة يرد فيها على المفتين سماها "سَلّ الحسام الهندي لنصرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي" ولكنَّ الشيخ خالدًا توفي قبل استكمالها.

وضع الشيخ خالد مؤلفات عديدة؛ منها:

- شرح لطيف على مقامات الحريري "لم يتم".

- فوائد الفوائد "باللغة الفارسية، وهو شرح على حديث جبريل، جمع فيه عقائد الإسلام".

- رسالة العقد الجوهري في الفرق بين كسب الماتريدي والأشعري.

- شرح على أطواق الذهب<sup>(١)</sup> للزنجشيري ت ٥٣٨ "مع ترجمة إلى الفارسية".

- رسالة في إثبات الرابطة.

- رسالة في آداب الذكر في الطريقة النقشبندية.

- رسالة في آداب المرید مع شيخه.

- شرح على العقائد العضدية.

---

(١) في المواعظ والخطب.

- حاشية الخيالي "في علم الكلام".

- حاشية على «نهاية الرملي» "إلى باب الجمعة".

- حاشية على «جمع الفوائد» من كتب الحديث. وصفها الخاني بقوله: تكتب بباء

الذهب، قد جردتها بخطي فجاءت مجلداً.

- جلاء الأكدار والسيف البتار بالصلاة على النبي المختار "فيها أسماء أهل بدر".

وفي الظاهرية دفتر كتبه التي أمر بوقفها بعد وفاته، يقع في ١٤ ورقة "رقم" ٢٥٩.

وجمع رسائله ابن أخيه الشيخ أسعد الصاحب في كتاب سماه "بغية الواجد في

مكتوبات حضرة مولانا خالد".

ومن أشهر مواعظه قوله لأتباعه: "اعلموا أن أحبكم إلي أقلكم أتباعاً وعلاقةً بأهل

الدنيا وأخفكم مؤونة وأشغلكم بالفقه والحديث، وقد ورد في بعض الأحاديث: (ما

ازداد رجل من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه،

ولا كثرت ماله إلا اشتد حسابه) وحينئذ لم يبق وجه للميل إلى تكثير السواد بهؤلاء إلا

الطمع وحب الشهوة والجاه وأخذ الدنيا بالدين، وجميع هذه النيات فسادها غني عن

البيان. اهـ.

وذكر في «الحدائق الوردية» عدد كثير من كراماته.

وذكر البرهان إبراهيم فصيح البغدادي في "المجلد التالذ"<sup>(١)</sup> أن محدث العراق النور علي السويدي البغدادي اختبر الشيخ خالد لما دخل بغداد بقلبه لثلاثين إسنادًا لثلاثين حديثًا من الكتب الستة، فرد الشيخ خالد عليه بالقلب، وأملى عليه الأحاديث بأسانيدھا الأصلية، فأذعن المحدث المذكور.

وذكر تلميذهما الشهاب الألوسي في كتابه "نزهة الألباب" أن السويدي المذكور قال للشيخ خالد في ملأ عظيم: "بئس ما يفعله أكثر علماء الأكراد اليوم! لاشتغالهم بالعلوم الفلسفية وهجرهم لعلوم الدين كالتفسير والحديث عكس ما يفعله علماء العرب". فقال له الشيخ خالد: "كلا الفريقين طالبٌ بعلمه الدنيا الدنية، وطلبها بـ قال أرسطو أو قال أفلاطون خير من طلبها بـ قال الله وقال رسوله، فإن الدنيّ يطلب بدنيّ مثله" فسكت السويدي.

#### صفاته:

كان رجلاً طويل القامة، ضخّم الرأس، أبيض اللون، أحمر الخدين، أسود الشعر والعينين، أقنى الأنف، مديد الحاجبين، طويل الذراعين، عريض ما بين المنكبين، كثير شعر الجسد، يلبس فاخر الثياب، ولا يدع الطيلسان والعصا، وكانت عليه هيبة ووقار

---

(١) «المجلد التالذ في مناقب الشَّيخ خالد» كتاب يتناول حقيقة التَّصَوُّف وبيان آداب الطَّرِيقَة النَّقشبندِيَّة الخالديَّة وخلوها عن كلِّ بدعة مع بيان أحوال الشَّيخ خالد.

تخالطه رحمة، لا يظهر لأحد إلا لدرس أو ذكر أو عبادة أو عيادة أو لزائر من أهل العلم ولا سيما إن كان من المنسوبين؛ إذ كان يباليغ في تعظيم آل البيت.

كان علامةً عظيمًا، لقّبوه بمجدد القرن الثالث عشر، وكان كريم النفس حميد الأخلاق، حلو المفاكهة والمحاضرة، رقيق الحاشية طلق اللسان، لم يباليء أحدًا ولم يتردد إلى حاكم، ولم تأخذه في الله لومة لائم، وكان إلى هذا ذا حافظه وذكاء وعبادة.

صبر على كيد أعدائه كما صبر على مصائب الدنيا، فقد توفي له في الطاعون سنة ١٢٤٢ هـ ولدان نجيبان في الخامسة والسادسة من عمرهما، بهاء الدين وعبد الرحمن، فاحتسبهما عند الله تعالى، وكان هو المسلمي لمن جاء يعزیه<sup>(١)</sup>.

وكان وَعَدَ قبل ظهور الطاعون في شوال أن يزور القدس مع إخوانه، فلما ظهر الطاعون سأله إنجاز الوعد، فقال: ما نحن فيه من مصابرة الطاعون خير ثوابًا مما ترغبون<sup>(٢)</sup>. وقال: ما جئنا إلى الشام إلا لنموت في هذه الأرض المقدسة، وهذه الشهادة إن تَمَّتْ فهي السعادة الأبدية.

---

(١) أخرج البخاري قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّ امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوُلْدِ كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، قالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان» (خ ٩٩-٤٧٨٦م) وقوله: «مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوُلْدِ لَمْ يَلْغُوا الْحَنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ» (خ ١٢٩٢).

(٢) سَيِّدُنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ؛ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ فِيهَا؛ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا» متفق عليه.

وبعد وفاة ولديه كأنها أحس بدنو أجله، فأحضر الشيخ إسماعيل الغزي شقيق حرمه، وأشهده أنه أقام خليفته من بعده على سجادة الإرشاد الشيخ إسماعيل الأناراني.

ثم جمع خلفاءه وأعاد الوصية، وأمرهم باتباع السنة والتمسك بالطريقة والاتفاق والاتحاد.

وجمع أهله ليلة الأربعاء ١١ ذي القعدة ١٢٤٢هـ وأوصاهن واستبرأ ذمته من كل حق لهن عليه، وبقين معه حتى مضت ساعات من الليل، فقام وتوضأ وصلى ركعات ثم قال: "إني طُعنْتُ<sup>(١)</sup> الآن فلا يدخل علي أحد إلا مرة" ثم اضطجع على هيئة السنة ولم يسمع منه تأوه ولا توجع.

وجاء لزيارته مساء الثلاثاء الشيخ محمد أمين عابدين صاحب الحاشية المشهورة في الفقه الحنفي، فقال له: إني رأيت في المنام منذ ليلتين أن سيدنا عثمان ذا النورين رضي الله عنه ميت وأنا واقف أصلي عليه، فقال له: أنا من أولاده؛ يشير أن هذه الرؤيا تومئ إليه، ثم لما صلى المغرب أقبل على خلفائه وأشهدهم بثلاث ماله لله تعالى.

ولما كانت صبيحة الخميس دخل عليه الخلفاء وسلموا وأشار إليهم أن يُقلُّوا من الكلام، وبقي كذلك حتى ليلة الجمعة ١٤ ذي القعدة ١٢٤٢هـ حين سمع مؤذن المغرب يقول: الله أكبر؛ ففتح عينيه وقال: الله حق، الله حق، ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّاتٍ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، ثم لحق بربه وعمره خمسون سنة سوى شهر ونصف.

---

(١) أصابه الطاعون.

حزن عليه الناس شديد الحزن، واضطرب خلفاؤه ومريدوه، واشتد عليهم أمره بعدما حملوه ليلتئذ إلى مدرسته، وذلك بمباشرة كل من الشيخ إسماعيل والشيخ محمد الناصح والشيخ عبد الفتاح والشيخ محمد الصالح؛ تنفيذاً لوصيته، وقرؤوا له القرآن الكريم والأذكار حتى مطلع الفجر، ثم خرجت جنازته حافلة إلى جامع يلبغا، وحضر الناس للصلاة عليه أفواجا فلم يسعهم المسجد، وأمهم الشيخ محمد أمين عابدين بناء على وصيته، ثم ساروا به إلى سفح قاسيون، فأعيدت الصلاة عليه ودفنوه هناك حيث كان أمر أن يحفر قبره وعين لهم محله ومحل قبور حرمه والخلفاء، وأمر أن يحوط عليها بجدار وصهريج ماء، وقال: أظنه سيبنى هنا تكية للفقراء! وأشهد أنه منذ ستين وقف كل كتاب يخصه، ثم حرر الوقفية على ظهر «القاموس».

وبنى على قبره السلطان عبد الحميد بناءً جميلاً عليه قبّة وبجواره مسجداً.

وكان من جملة وصيته ألا يبكي أحد عليه ولا يعدد شمائله، وأنه محتاج إلى صدقة وقراءة الفاتحة وسورة الإخلاص<sup>(١)</sup>.

كان الشيخ لطفی الفيومي رحمه الله يزوره كل اثنين من أول الشهر العربي، ويعمل ختماً عنده وأذكاراً، وتابعه على ذلك بعد رحيله الشيخ نجاته يغمور إلى اليوم، جزاه الله خيراً، وأوصى أنه من أحب أن يذبح ويقدم لروحه أضحية فليفعّل، وأن تقضى عنه جميع

---

(١) الشيخ لطفی الفيومي رحمه الله يزوره كل اثنين من أول الشهر العربي، ويعمل ختماً عنده وأذكاراً،

وتابعه على ذلك بعد رحيله الشيخ نجاته يغمور إلى اليوم، جزاه الله خيراً.

صلواته من بلوغه إلى يوم وفاته<sup>(١)</sup>، وألا يبنى على ضريحه، ولا يكتب إلا: "هذا قبر الغريب خالد"<sup>(٢)</sup>. رضي الله عنه وأرضاه وأرضانا معه.

## المراجع:

- «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» عبد الرزاق البيطار (ج ١ / ص ١٢١٦).

- «الشيخ خالد النقشبندي العالم المجدد، حياته وأهم مؤلفاته»، لنزار أباطة.

- «الطُّرق الصُّوفيَّة» أحمد النقشبندي الخالدي.

- «الفلسفة الصُّوفيَّة في الإسلام» د. عبد القادر محمود.

- «أصنفي الموارد في سلسل أحوال الإمام خالد» عثمان النَّجدي.

- «طبقات الأولياء» ابن الملقن.

- «جامع كرامات الأولياء» الشَّيخ يوسف النَّبَّهاني.

## يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) مذهبنا: «لا يصلينَّ أحد عن أحد» حديث شريف.

(٢) لأنَّه تنقَّل في البلاد، ولم يستقر ببلد، ومات خارج بلده.



## الدرس الخامس والسبعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الطريقة النقشبندية

لا بدّ لنا ما دام حديثنا عن شيوخ الطريقة النقشبندية من التعرّيج على هذه الطريقة،  
والحديث عنها ذو شقّين:

\* أصلها وتاريخها وتأسيسها.

\* أسلوبها وذكرها وتأثيرها في أتباعها في البلاد العربية والأجنبية وخصوصاً الأتراك.

فأولاً: الطريقة النقشبندية هي واحدة من أكبر الطوائف الصوفية، وتنسب إلى سيدنا  
محمد بهاء الدين الشاه نقشبند المتقدم ذكره، واشتق اسمها منه، ومن ثم عرفت به.

تنقل عنها مصادرها أنّها الطّريقة التي تتبع السلسلة الروحية المباشرة مع نبي الإسلام  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال سيدنا أبي بكر الصديق، وبذلك تكون تلك  
الطريقة مرتبطة بطريق غير مباشر بسيدنا علي عن طريق سيدنا جعفر الصادق<sup>(١)</sup>.

---

(١) أهمية معرفة السلسلة (السند): لأجل صحّة الانتساب الدّال على وراثته رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتصال الفيض، وتحقيق المدد في عباداتهم، والطريقة النقشبندية بحسب سلسلة الإسناد تمر بسيدنا أبي يزيد البسطامي، وهو عن الإمام جعفر الصادق، وهو عن جده قاسم بن محمّد بن أبي بكر الصّدّيق، وهو عن سلمان الفارسي، وهو عن سيدنا أبي بكر الصّدّيق، عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه السلسلة هي شمس السلسلة الصّدّيقية، وهي المشهورة بين مشايخ الطّريق، وهناك سلسلة تسمّى (سلسلة الذهب)، يمرّ فيها الشّيخ أبو عليّ الرّوذباري، عن

## تاريخها:

مرت النقشبندية بمراحل كثيرة عبر تطورها التاريخي، وثمة علاقات ربطتها بغيرها من الطرق الصوفية، وكذا التيارات الروحية التي انتشرت في البلاد الإسلامية، ومن الممكن أن نطلق على المرحلة الأولى في تاريخ النقشبندية مرحلة النشأة والتطور (أو اليسوية والنقشبندية)، فثمة علاقة وثيقة بين الطريقتين ليس من حيث الطقوس والمراسم فحسب بل العقائد والأوراد والأذكار كذلك.

كانوا يقولون: على أصولها تنبت الأشجار، وأصل شجرة النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الطَّرِيقَةُ اليسوية.

## النقشبندية واليسوية:

يعد أول من أسس اليسوية الإمام أحمد يسوي المتوفى عام ١١٦٧م فقد نهج نهجًا صوفيًا ذاع بين الأتراك، وكان لطريقته الصوفية مكانة في نفوس الشعب التركي في الفترة المبكرة من دخولهم في دين الله.

---

الإمام الجنيد، عن السَّري السَّقْطِي، عن معروف الكرخي، عن داود الطائي، عن علي الرضا، عن موسى الكاظم، عن جعفر الصادق، عن محمد الباقر، عن علي زين العابدين، عن سيدنا الحسين، عن سيدنا علي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطرق أخرى، والطريقة النَّقْشَبَنْدِيَّةِ يقرؤون هذه السلسلة في كلِّ مجلسٍ تبرَّكًا بها، ثم يتوسَّلون بهم، ويدعون.

ومن الكتّاب من يقر بفضل الترك في ذبوع الطريقة اليسوية في البلاد؛ لأن الشيخ أحمد يسوي سعى سعيه لنشر الإسلام عن طريق الترويج لتعاليم طريقته الصوفية.

أثرت اليسوية تأثيراً عميقاً في النقشبندية، وترجع صلة شيوخ النقشبندية بأحمد يسوي إلى مولانا الشيخ بهاء الدين نقشبند محمد البخاري، المعروف بـ "شاه نقشبند".

إذن صلة النقشبندية بطريقة اليسوية كانت عن طريق شيخها الذي اتّصل بالإمام أحمد اليسوي، وتلمذ عليه، فلمّا مات انقرضت اليسوية، ولقبت بالنقشبندية نسبة لشاه نقشبند، وبوسعنا أن نقول: إن اليسوية ظهرت في زي جديد، أو إنها اندمجت في النقشبندية<sup>(١)</sup>.

وبعدما أسندت النقشبندية إلى الشيخ بهاء الدين نقشبند ونسبت له واتسمت باسمه؛ حمل لواءها بعد أن حصل على العلم الصوفي على يد كبار شيوخ اليسوية، وراح ينشر تعاليم طريقته شرقاً وغرباً<sup>(٢)</sup>، وساح الإمام بهاء الدين في البلاد لكي يروج لتعاليم طريقته، وتلك السياحة تعرف لدى الصوفية بالسياحة الروحية، وكثير من الطرق الصوفية الأخرى على علم بها.. وقد أجمع الباحثون على أنها طريقة غالية في سُنَّتها.. لا علاقة لها بأيّ فرقة من غير أهل السُنَّة، ولقد حضرتُ دروسهم وواظبتُ عليها صيفاً من

---

(١) أو أنّها امتداد لليسوية في حقيقة أمرها.

(٢) فلاحظوا أنّ مولانا خالد النقشبندي وشيوخه قبله كانوا يحملون عددًا من ميراث الطُّرق الصُوفية، وليس فقط النقشبندية، وفي ترجمة مولانا خالد قلنا: هو خالد النقشبندي، المجددي، القادري، السهروردي، الكبروي، الجيشتي، وهنا أيضًا شاه نقشبند يحمل الميراث نفسه.

زمن الشَّيخ لطفِي الفيومي، ثمَّ الشَّيخ منير الكسم، ثمَّ تولاهَا الشَّيخ نجاة يغمور، فهم من أهل السُّنَّة اعتقادًا وعملاً.

يورد محمد بن محمد الخاني<sup>(١)</sup> نقلًا عن سيدنا محمد بهاء الدين نقشبند البخاري أنه قال: "نمتُ ذات ليلة فرأيت خليل آتا قدس سره - وكان من أكابر مشايخ الترك - وهو يوصي بدرويش، فلما انتبهت ظلت صورة الدرويش في مخيلتي، وكان لي جدة صالحة وقصصت عليها الرؤيا فعبرتها بأن سيكون لك يا ولدي من مشايخ الترك نصيبٌ".

ثم نرى المؤلف في الرؤيا السابقة يذهب إلى أن بهاء الدين نقشبند تلقى الفيض وتعاليم التصوف على يد الشيخ خليل آتا أحد شيوخ الطريقة اليسوية المشاهير، ويورد لنا تلك القصة التي يرويها بهاء الدين نقشبند، إلا أن المؤرخ فؤاد كوبرولي يكمل لنا تلك القصة على لسان سيدنا بهاء الدين الذي يقول: "وذاث يوم حدث أن قابلتُ عن طريق المصادفة ذلك الدرويش الذي رأيت في منامي في أحد أسواق بخارى، ولكنني لم أستطع لقاءه فهرولت من فوري إلى مجلسه بكل شوق، وأردت أن أشرح له رؤيائي القديمة، فقصصتها عليه باللغة التركية وإذا هو يعلمها حق العلم، وتصادف بعد ذلك أن نصب هذا الدرويش حاكمًا على بلد ما وراء النهر، وتلقب بلقب السلطان خليل، وعندئذ التقى بي فأظهر لي عطفه وشفقته، ولقنني آداب وسلوك طريقته بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، وظللت على مقربة منه ستة أعوام ملازمًا له، وتقدمت في مدارج التصوف كثيرًا،

---

(١) آل الخاني نقشبندية، والشيخ محمد بن عبد الله الخاني هو الجد الأكبر لهذه العائلة، وله كتاب «البهجة السُّنية في آداب الطَّريقة الخالدِيَّة».

وظللت أرقى بفيض التصوف وسلوك الطريق، ولزمت خدمة شيوخى هذا من دون الناس حتى أصبحت صفيّه ونجيّه المؤمن على مكنون سره. وعندما رأيت ذلك عزفت نفسي عن الدنيا وزهدت في زينتها وزخرفها، ثم قدمت إلى بخارى واتخذت من أحد قراها مقامًا ومستقرًا لي.

فهذه القصة تؤكد صلة الإمام شاه نقشبند بهذه الطريقة ورجالها، وتلك الرؤيا التي رآها سيدنا بهاء الدين نقشبند عن الشيخ اليسوي خليل آتا، وكان شيخ اليسوية على عصر بهاء الدين، وتؤكد صلة بهاء الدين نقشبند بشيوخ اليسوية ودرأويشها، وكذا القصص التي تروى في هذا الصدد تدلنا على صحة المعلومات التي ورد فيها أن الإمام بهاء الدين تربى على يديه وأخذ الفيض منه ثم نشر الطريقة التي لها الذيوع والانتشار من بعد.

وفي رأي آخر أن الطريقة النقشبندية ذاع صيتها منذ القرن الخامس حتى القرن التاسع للهجرة، وارتبط تاريخها بتاريخ الأسر التي حكمت التركستان آنذاك، ودام رواجها بين القبائل التركمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد فيما وراء نهر الخزر<sup>(١)</sup>. كما جذبت النقشبندية عامة الشعب وأهل القرى بأعداد لا تحصى؛ لأنها لم تكن لتعرف التعصب، بل اتسمت بالتسامح، ولم تكن لتحرض على الزهد المطلق، بل إن من يتسبب إليها بوسعه أن يتعايش مع المجتمع ويمارس حياته الاجتماعية بلا قيود.

---

(١) من داغستان والشيشان وأذربيجان حيث انضم إليها عليّة القوم من المفكرين والتجار والقادة والشعراء.

وعرفت هذه الطريقة بالجهاد ومحاربة البوذية، ثم تحول جهادها إلى محاربة الروس في منطقة وسط آسية، ومن ثم كان انتشارها عنصرًا أساسيًا في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، فقد ساعدت على التزام القيم، وحافظت على التقاليد والمثل القويمة، كما صانت التعاليم الإسلامية من الزيف والتشويه، وهذا بدوره أدى إلى انتشارها.

إن من يمعن النظر في هذه الآراء يجد الأتراك لم يتعرفوا إلى الدين الإسلامي إلا عن طريق شيوخ المتصوفة الذين وفدوا من بلادهم نازحين من وسط آسية أو بلاد الفرس؛ بسبب غزوات المغول، ومن ثم نستطيع أن نقول: إن التصوف تغلغل في نفوس الترك وكان له أبلغ الأثر في تفكيرهم ونمط حياتهم منذ فجر إسلامهم حتى يومنا الحاضر، ومن يقرأ التاريخ العثماني يدرك هذه الحقيقة، فقد بُني بنيان الدولة العثمانية وأُقيم أساسها بل رفرت بيارقها فوق كثير من بقاع العالم إلى أن وصلت إلى أوروبا بفضل حملها لواء الإسلام وتصديها للدعوة، ولما كانت دعوتها للإسلام دعوة مقدسة كان سلاطينها يلجؤون إلى شيوخ التصوف لأخذ المشورة منهم وطلب المدد؛ لأن شيوخ الصوفية في تلك الحقبة المبكرة من تاريخ الدولة العثمانية كانوا يتمتعون بنفوذ معنوي قوي على هؤلاء السلاطين والأمراء من الأتراك، فلم يكن السلطان العثماني ليقدم على الحرب أو فتح بلد من البلدان دون أن يرجع إلى رجال التصوف وشيوخه، وسؤالهم فيما يخصه من شأن، وبالذات وقت الأزمات والحروب مع الأعداء<sup>(١)</sup>؛ وذلك لمكانتهم الروحية في نفوس

---

(١) حتى نقل المؤرخون أن فاتح القسطنطينية الحقيقي هو العارف بالله آق شمس الدين بن حمزة، أستاذ السلطان محمد الفاتح، فهو الذي رباه، وعندما أصبح أميراً؛ وجهه لفتح القسطنطينية

رجال الدولة، ولما كان اهتمام الترك بالمتصوفين اهتماماً بالغاً حظي هؤلاء الشيوخ برعايتهم وحمايتهم؛ لكي ينالوا منهم البركة والمدد.

المصادر:

«النقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك» د. بديعة عبد العال، دار الثقافة والنشر.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

وشارك معه ومع طلابه في الجيش العظيم الذي فتحها، وكان هذا الشيخ الصوفي أول من خطب في مسجد آيا صوفيا، وكان السلطان إذا دخل عليه يقوم له ولا يقوم لغيره، وكان هذا الشيخ لا يخاف في الله لومة لائم، وكان عالماً من علماء النّبات، وله كتب، وبعد وفتح القسطنطينية عاد إلى قريته ومات فيها سنة ٨٦٣هـ.

## الدرس السادس والسبعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### أسلوب الطريقة

الملاحظ لدينا - من خلال اطلاعي على المصادر التي تناولتها - أنها طريقة صوفية تندمج كل حين مع طريقة أخرى مناظرة لها، وأما ما ورد من الذكر بالقلب أو باللسان وأحياناً يكون بصوت جهوري؛ فلا بد للمريد أن يتخطى مشاعره للوصول إلى الحقائق الإلهية؛ لأنها تعيق هذا الوصول، والسبيل الوحيد للنجاح في هذا الطريق يكون بمرحلتين:

الأولى: هو العبادة التي تبدأ بتنفيذ الأعمال والتكاليف بما يتناسب والشريعة الإسلامية.

الثانية: مرحلة الانغلاق على النفس، وفيها يعبر الإنسان عن ذاته بإحساسه العميق الذي يتحقق له بانغلاقه على ذاته وهذا يؤدي إلى إيقاظ الحب الخالص الذي يجعله يصل إلى الله تعالى.



## مرحلة النقشبندية الخالدية:

دخلت النقشبندية مرحلتها الثالثة بحسب تطورها التاريخي، وتنسب النقشبندية في هذه المرحلة إلى مولانا خالد البغدادي، وقد تناولنا تفاصيل حياته سابقاً.

وتذكر المصادر التركية أن مولانا الشيخ خالد البغدادي يصل إلى سيدنا عثمان بن عفان نسباً، وإلى الإمام جدي سيدنا علي بن أبي طالب حسباً، ولا بأس من عرض قضية في حياته كان لها التأثير الكبير في الطريقة النقشبندية:

ارتحل مولانا خالد البغدادي من العراق إلى الهند عام ١٢٢٥هـ، إبان الاحتلال الإنجليزي للهند، ولما قابل الإمام عبد الله الدهلوي شيخ الطريقة النقشبندية في الهند؛ أشرفت شمس المعرفة في قلبه، وعرفت تلك المرحلة في تاريخ الطريقة النقشبندية بالنقشبندية الخالدية؛ نسبة له، وكان لها الازدهار حتى بلغت أوج تطورها.

هنا حالف الحظ الإمام البغدادي، فأرسى معالم الطريقة النقشبندية الخالدية بعدما أشرق العلم المعنوي في قلبه؛ وهو علم الصوفية الذي يتلقاه الصوفي عن طريق الإلهام بعد تصفية القلب مما سوى الله.. وأجاز له الامام عبد الله الدهلوي مشيخة الطريقة، وإقامة طقوس الطريقة النقشبندية الخالدية قائلاً له: "إن خالدًا النقشبندي لم يدانيه غيره من طلاب العلم الصوفي، ونحن بصدد إعلام الخلائق بهيئته الوجدانية، فإنما قدم إليه من الكردستان لإعلاء شأن النقشبندية الخالدية، فجعلته في صدارة علماء الدين، وقضى في خلوته عشرة شهور هجر فيها عاداته وحظوظ نفسه، فأهلته ليروج لركن جديد للطريقة يعرف بالرابطة ولم يكن معروفًا، وسعى سعيًا حثيثًا إلى مداومة ذكر الله الذي زين فؤاده،

وبفضل الله وبحمده أتم سلوك الطريق الروحي على يد كبار الشيوخ، ونال رعايتهم وقبولهم له، وعلا ذكره لديهم، وحالفه التوفيق، كما استطاع بعون الله أن يمحو وجوده ويفنى في الله ويبقى بالله بإصلاح لطائفه، فأصبح جسده مفعماً بمشاهدة الأنوار اللطيفة.

هذا ما حدث مع الإمام خالد النقشبندي، وكان قد قضى في خلوته عشرة أشهر في الذكر والترقي الروحي على يد كبار الشيوخ، ويشهد هنا الإمام عبد الله الدهلوي برقبه الروحي واجتيازه مراحل سلوكية معينة أهلته لرئاسة النقشبندية في بلاد الشام.

فثمة رباط مقدس يربط شيوخ النقشبندية في سائر الأنحاء؛ ألا وهو العلم الصوفي.

وهم لا يُصرِّحون بحقيقة اتجاههم الديني؛ لئلا يتدخل في شؤونهم الآخرون، أو ينكروا عليهم حالهم وعقيدتهم.

كما أنهم متأثرون بفكر فلسفي نكاد نعدمه عند كثير من الطرق الصوفية، فهم يفسرون مراحل سلوكهم تفسيراً فلسفياً مقنعاً، والمدهش في ذلك أنهم يجدون الآيات القرآنية التي تؤكد ما يذهبون إليه من رأي، ويقولون: إن الانغلاق<sup>(١)</sup> على النفس (ترك مخالطة النفس) يحقق للمريد ثلاث مراحل في رُقيِّه الروحي:

---

(١) سيّدنا مكحول الدمشقي يقول: (إن كان في مخالطة النَّاس خيراً؛ فإنَّ في العزلة سلامة)، ومحمّد بن سيرين يقول: (العزلة عبادة)، العزلة في زمن الفتنة فضيلة، وسيّدنا عمر يقول: (إنَّ في العزلة راحة من أخلاط السُّوء)، ولماذا نبعد كثيراً وعندنا في الأحاديث النبويّة منجاة وملتجأ؟!، وعند البيهقي: سأل رسول الله «أيُّ النَّاس أفضل»؟ سألهما ثلاثاً، فقالوا: من جاهد بحاله ونفسه، قال:

\*ارتقاء في قلب المرید.

\*معرفة النفس وإدراك حقيقتها.

\*الوصول إلى الله تعالى<sup>(١)</sup>.

طريقة الذكر عند النقشبندية:

ثمة تأكيد على ما يعرف بالذكر الخفي في الطريقة النقشبندية<sup>(٢)</sup> والتركيز على أن يكون الذكر بالقلب الذي يتوضّع في القلب الصنوبري<sup>(٣)</sup> وعنده ما يسمى بالورد الخفي بعد صلاة الفجر<sup>(٤)</sup>، وسيمرّ الحديث عن الذكر القلبي، فلا تستبق الحوادث...

---

«ثُمَّ مَنْ؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «مُؤْمِنٌ يَعْتَزِلُ فِي شِعْبٍ يَتَّقِي رَبَّهُ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»، وقال أبو الدرداء: نعم صومعة الرجل المسلم بيته، يكف فيه نفسه وبصره وفرجه، وفي كتاب «الزهد» للبيهقي في فضائل العزلة: من لم يكن له غار يتعبد فيه لا يكون فتحه كاملاً.

(١) فإن كان لا بدّ لك من الجلوس مع النَّاس؛ فالخولة هنا أن تكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله؛ فخص معهم، وإن خاضوا في غير ذلك؛ فأمسك، قال الإمام الفضيل: (طوبى لمن استوحش من النَّاس، وكان الله أنيسه، وبكى على خطيئته) «حلية الأولياء» (١٠٨/٨)؛ لأنّه إذا خلا لم ير غير الله، فإذا لم ير غير الله لم تجد له إلا خشية الله، داود الطائي قال: فرّ من النَّاس فرارك من الأسد. «الحلية» (٧ / ٣٤٥) الزم الوحدة تنجو، ما بقي في النَّاس خلة، اترك الأصحاب إلا صاحباً يصحبك الله.

(٢) وهو الذي اختاره الإمام شاه نقشبند ورّجّحه على الجهري.

(٣) (القلب) مصطلح على اللطيفة الربانية التي في القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الصدر، فليس المقصود قطعة اللحم، بل المقصود تلك اللطيفة الروحانية التي لا يعلم أحد

ويقولون: إن اللائق بالمتدئ الذكر الجهري، فإذا ما ترقى إلى المقامات العلا فلزائم عليه أن ينتقل منه إلى الذكر الخفي.

نفهم من هذا أن الذكر القلبي أكثر قيمة لديهم؛ إذ يتجه القلب نحو المصدر الحقيقي في هذا الكون مرتقياً إلى هذه المنزلة بوساطة الذكر والعبادة الخالصة لله تعالى، فالذكر هو الأساس الأول الذي سارت عليه النقشبندية رضي الله عنهم<sup>(١)</sup>.

وحقيقة الأمر أن كل من يطلع على المؤلفات الصوفية لأي طريقة كانت يلحظ هذا المنهج العلمي فيها؛ لأن العلم في نظر الصوفية ليس الذي يتلقاه المرء في المدرسة، بل هو إلهام رباني ومعرفة ذوقية يتلقاها السالك بعدما يرتقي بنفسه ويخلصها من أدرانها وتسمو روحه، وعندئذ تشرق في قلبه هذه المعرفة إلهاما ونورا من عند الله.

ولما عاد الإمام خالد النقشبندي من الهند بدأ يروج لركن جديد للطريقة يعرف بالرابطة ولم يكن شيئاً معروفاً في الطرق الصوفية التي انتشرت في المجتمعات الأعجمية

---

بحقيقتها، وهي على هذا المعنى جزء من عالم الغيب، وهو المراد من أنه إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، صلاحه بصلاح معتقده وإرادته وقصده، وهو العقل والفقه والبصيرة والإرادة، وهو المخاطب والمطالب، فالقوة المدركة بالقلب الصنوبري تسمى قلباً.

(١) لأنه وقت توزيع الأرزاق الحسية والمعنوية.

(٢) هو الطريق الأوّل للوصول إلى الله، وبه يصل إلى الولاية، يقال: الذكر منشور الولاية، فمن أوتي الذكر فقد أوتي المنشور.

في المملكة العثمانية؛ مما أثار ضجة هائلة في سائر البلاد<sup>(١)</sup>. وتحققت الشهرة للخالدية وأصبح أساس طريقتهم ما يعرف بالرابطة، وتعني: ربط قلوبهم بالله وتعلقها به، فهم يولون وجوههم إلى الله تجاه القبلة أينما كانوا، ويقرؤون سورة الإخلاص والشرح أولاً ثم يبدؤون ذكر الله بالقلب؛ أي: بلا صوت ولا كلام؛ لأنهم يرجحون الذكر القلبي على الذكر الجهري، ويذهبون إلى أنهم بهذا الذكر يتولد النور في قلوبهم، فهي منصرفة إلى ذكر الله على الدوام، ولا يسبحون إلا بذكر اسم الذات من أعماق قلوبهم.

ثم يتلون ما تيسر من آي الذكر الحكيم، وينشدون بعض الإلهيات؛ وهي نمط من الشعر الديني يناجون فيه المولى عز وجل، يؤديه منشدوهم بأداء يهز القلوب ويحرك المشاعر ويقع في النفس موقعاً حسناً، غير عازفين بأي من آلات الطرب، ويوصي شيوخهم المريدين بصحبة العلماء والصالحين، ويستحبون ارتداء ملابسهم التقليدية التي أصبحت عُرفاً لديهم.

---

(١) كيف يستحضر الذاكر صورة شيخه قبل الذكر؟ هذه القضية حديثة عهد في الذكر؛ لذا ضج الناس من الفكرة، ولكنهم فيما بعد سكنوا إليها وقبلوها.

أما عن المصادر فتقول: إن مولانا الشيخ خالدًا جاء بنهج جديد للنقشبندية، فلقد نشر روح الزهد والتقوى بفضل طريقته، فقلَّت أحداث السرقة والنهب والقتل، وساد الهدوء والأمان في المنطقة الكردية في العراق<sup>(١)</sup>...

كانت المنطقة الكردية يهددها قطاع الطرق، وكثيرًا ما تعرضت لأعمال السلب والنهب، وبعد أن انخرط الأكراد في سلك النقشبندية لوحظ هدوء عجيب في أحداث السلب والسرقة، وخفَّت حدة الجرائم في مناطقهم، ويذهب المؤرخون إلى أن هذا الذكر الذي يعرف لديهم بالرابطة له أثره العميق في تهدئة الأعصاب وقتل نوازع الشر والعدوان في النفس البشرية، ويرون أنه ما من شيخ من شيوخهم اهتم بتطبيق الرابطة إلا وارتفع شأنه وذاع صيته ودامت المشيخة في أسرته تتوارثها جيلًا بعد جيل، وأتباعهم من شيوخ الأكراد والترك، والغاية من الأدعية إنما هي ترويض المرید على تبعية الشيخ والاستسلام له بكل ما يملك من مال وجاه وروح بكامل الرضا والإخلاص.

وهذا له أساسه الصحيح، فقد اختفت الجرائم بتأثير الإمام خالد البغدادي وطريقته النقشبندية الخالدية بسبب الطاعة المطلقة التي أظهرتها جماهير النقشبندية له ولخلفائه، ومن هنا يؤكد المؤرخون أن هذا يرجع إلى تركيزهم على نمط خاص لهم من الذكر يعرف بـ"رابطة الشيخ".

---

(١) ذلك أن الله يحفظ بالولي تلك الجهات التي فيها؛ لكونهم محالَّ نظره تعالى، ولأنَّهم يستغفرون لهم، حتَّى قال النَّبَّهاني في كتاب «نشر المحاسن الغالية»: لا يكون الشَّيخ شَيْخًا حتَّى يمحو خطيئة تلميذه من اللُّوح المحفوظ.

كان الشَّيخ عنده فِراسة صادقة يكشف بها ماذا يفعل المريِد كيف كشف سيِّدنا عثمان التَّابعي عند دخوله المسجد؟! هكذا... ينظر بنور الله، وهذا مستمد من حديث البخاري: «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»، فانكشف الحجب للأولياء أخبر عنه النَّبي الكريم، وبالرابطة يستمدُّ من مدد شيخه ليقوى على الذِّكر كالمُتوسِّل به إلى الله تعالى، ثمَّ تحصل له غيبة في الذِّكر، فيترك صورة شيخه ويستغرق في المذكور، فهم يستحضرون أوَّل الذِّكر صورة شيخهم، وأنَّه يراقبهم كيف يذكرون، فإذا استغرقوا في الذِّكر؛ نسوا شيخهم وبقوا على ذِكر الله تعالى.

وكذلك عندما كنت أحضر عند سيِّدنا الشَّيخ لطفي الفيومي شيخ الطريقة كان أثناء الورد يردد كل حين (رابطة شريفة) ويقصد بها ربط المريِد بأشياخ الطريقة ولذلك كانوا في نهاية الجلسة يقرؤون سند الطريقة ورجالها..

وبعض الطرق النقشبندية يذكرون الرابطة الشريفة أول الذِكر، فإذا بدأ استغراقهم بالذِكر تركوا رابطة الشَّيخ.

**الدور السياسي للطريقة:**

كان للنقشبندية دورها السياسي الذي تجلّى في مساندتها للدولة العثمانية ضد الثورات التي كانت تندلع على أراضيها بين الفينة والفينة<sup>(١)</sup>، فثمة تلميحات في مصادر شتى تشير إلى دور مناطق نفوذها الأخرى في رفعة شأن العقيدة الإسلامية.

وهذا ما ألفيناه بالفعل في نشاط النقشبندية في الدفاع عن المذهب السني والحد من المد الشيوعي الإيراني (غير السني) إبان حكم الدولة العثمانية التي طالما صانت المذهب السني وبذلت ما في وسعها من جهد لتحجيم النشاط غير السني.

وكان للنقشبندية دور في إخماد الحركة الوهابية التي تمثل الفكر السلفي زورًا وبهتانًا، وقد استغلت الدولة العثمانية التنافر الديني بين الفريقين أيما استغلال، وحرصت مولانا خالدًا البغدادي ضد الوهابيين.

وما يدل على شيوع الطريقة في الأراضي العثمانية في أواخر عهدها وجود خمس وستين تكية نقشبندية في إستانبول وحدها.

ويسجل المؤلفون من الترك أن الطريقة النقشبندية خدمت الثقافة التركية وسجلت في تراثها الأدبي المعارف والموروثات الشعبية التركية، وأن تركية من أكبر الطرق الصوفية من حيث عدد المنتسبين.

## يتبع دروس التصوف

---

(١) وعرفت بمحاربة البوذية، ثم تحوّل جهادها إلى محاربة الروس في وسط آسية.



هنا دمشق

## الدرس السابع والسبعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### مراتب النفس عند النقشبندية

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو لِنَفْسِهِ دَائِمًا: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ».

ويستمر النقشبندية في ذكرهم ومجاهداتهم حتى يتقلوا من مرتبة إلى مرتبة أعلى، ومراتب النفس سبع مراتب في عقيدتهم؛ كما هو عند الشاذلية، وعلماء التصوف يقولون: هي ملكة واحدة في الإنسان، ولكن بحسب صفاتها هي متعددة<sup>(١)</sup> بحسب تأثرها بالمجاهدات، ترتيب وضع الملكات الثلاث: العقل، القلب، الشهوة، إذا تفكرت بالشهوة؛ مالت إلى القسم السفلي، وإذا تفكرت بالعلوم والمعارف؛ مالت إلى القسم العلوي، وهي:

---

(١) انتبهوا هي ملكة واحدة في الإنسان (النفس والروح والقلب والعقل) كلها واحدة، سميها بحسب متعلقاتها: (النفس) إن تعلقت بالشهوات، و(الروح) بالملا الأعلى، و(القلب) بالروحانيات، و(العقل) بالمعارف.

## ١ - النفس الأمارة:

ذكرها الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] وانتبهوا إلى قوله: ﴿أَمَّارَةٌ﴾، فهي صيغة مبالغة تدل على أنها نفس تأمر وتأمر وتأمر، وتستمر بالأمر بالسوء، والسبب هو تلوّثها بالشهوات، حتى صارت معجونة بالأمر بالسوء. تلك نفس مذمومة، تأمر بكلّ سوء، فما تخلص أحد من شرّ نفسه إلا بتوفيق من الله<sup>(١)</sup>. ومن صفاتها:

أنها تميل إلى الشهوات، وترغب في اللذات، وتجذب القلب للأسفل، وهي منبع للشرا والأخلاق الذميمة؛ كمثل الحقد والحرص والحسد والغضب والبخل.

---

(١) في الحديث عند الترمذي والنسائي: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بَابِنِ آدَمَ، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ؛ فإِعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلِكِ؛ فإِعَادُ بِالحَيْرِ وَتَصْديقُ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الله، وَلِيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ الآخَرَ؛ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قرَأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالفَحْشَاءِ...﴾ [البقرة: ٢٦٨]، مثل النفس الأمارة بالسوء مثل الحصان الذي لم يروض، دائماً يحاول أن يلقي بصاحبه من على ظهره، ولا يريد للفارس أن يركب على ظهره، يسقطه مرتين وثلاث وأربع... لكن لو يئس الفارس وقال: هذا لا فائدة منه وتركه؛ هل يتروّض الحصان؟ لا، لكن إن أصرّ الفارس مرّة بعد مرّة، فإلى ماذا يتحول هذا الإصرار؟ وإلى ماذا يتحول ذلك الرّفص من الحصان؟ إلى تقبّل وتقبّل وتقبّل، إلى الدّرجة التي يصبح فيها الحصان يفهم الكلمة من صاحبه: انطلق، فيجري بسرعة، ما السبب...؟ روض نفسك هكذا، أقل عليها بشيء من الطّاعات بتدرج، عندها تبدأ النفس بتذوق الطّاعة والتلذذ بها، فتقبلها وتنتقل من الأمارة بالسوء إلى رتبة أخرى... قيام الليل ثقيل وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦] فابدأ بركعتين، حتّى إذا تعودت منك هذا وتلذذت به؛ تضمّ إليها ركعتين... وهكذا تروض النفس بالذّكر والفكر والتّدبر.

لا يؤثّر فيها الخطاب، ولا تنقاد إلى الصّواب، أو هي أنفُس المتكبرّين والمشرّكين والحاسدين وأهل العقوق والكبائر.

## ٢- النفس اللوامة:

ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، وهي نفس لا تثبت على حال واحدة من التّلوم؛ وهو التّردّد، فهي كثيرة التّقلب والتّلون، فتذكر وتغفل، تقبل وتعرض، تحبّ وتبغض، تفرح وتحزن، وتتقي وتفجر<sup>(١)</sup>، صاحبها متشوش الفكر، مضطرب لا يستقر على حال، يريد أن يعرف الخير، ولكنّه لا يهتدي إليه بسهولة، يتعثر، ولكنّه يصحو ويفيق، يندم كثيرًا ويتوب كثيرًا.

لقد تنورت بنور القلب، فهي أحيانًا تقترف المعاصي، ثم تندم وتلوم، وهي منبع الندامة؛ لأنها منبع الهوى وتتصف بالحرص.

## ٣- النفس المطمئنة:

ذكرها الله في القرآن بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]. والطمأنينة إلى الله سبحانه، وترد منه على قلب العبد فتجمعه عليه، وتردّ قلبه الشارد إليه حتّى كأنّه جالس بين يديه، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه وقواه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

---

(١) فلا ترى المؤمن إلّا يلوم نفسه دائمًا: لم فعلت ذلك؟ كان غير هذا أولى... يلوم عند التّقصير، ويحاسب عند الإخلال بالتكاليف، فهذه مرحلة من مراحل الإيمان تلوم فيها النفس صاحبها على تقصيره في طاعة الله، وهذه المرحلة تحتاج إلى السّوق بالإثقال عليها، والتشويق إلى الله، أسمعها صوت القرآن، أسمعها صوت منشد؛ تحرك فيها همّة ترعّبها بالصّالحين والخروج معهم.

النفس مطمئنة بلغت مرتبة الرؤية، ترى الحقَّ حقاً والباطل باطلاً، إن رأى حفرة حاد عنها، وإن رأى طريقاً معبداً سار فيه، فالسلامة ناتجة من صحّة الرؤية، ومن الحرص على السلامة، هكذا أعطاك الله هذه النفس تحبُّ الكمال ومعالي الأمور، وعليك أن تردّها إلى الله كذلك.

لا تفرح عند الملمات، ولا تصخب في المصائب، ولا تغالي في الفرح والبهجة. سكون يثمر السكينة والأمن، وثبات للقلب عند هجوم المخاوف عليه، تكره الشر ولا تجبه، وتسعى للخير.

في حديث أحمد: قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ عِنْدَ احْتِضَارِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ تَقُولُ: اخْرُجِي أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَأَنْتِ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟! فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَأَنْتِ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانَ».

وفي رواية: قال الصّدّيق: ما أحسن هذا يا رسول الله!، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَهَا يَا أَبَا بَكْرٍ»، وأخطر شيء على صاحب النفس هذه أن يصيبه الإعجاب بنفسه، وأنّه أصبح من الصّالحين الأكابر، فإذا تهافت الأنوار على صاحبها يصل إلى مرحلة لا يستطيع تحملها، فتثقل عليه العبادات، فلا يتحملها، فالمطلوب من صاحبها أن يبدأ بالاستزادة من الخلق الحسن حتى ترسخ قدمه في طريق الصّلاح، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اكْفُؤْا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا».

عندئذ تراها تخلت عن صفاتها الذميمة ووصلت إلى الكمالات، انتقل صاحبها من التلوين إلى التمكين، يخاطب الناس عن بعد لتعلقه بالحق تعالى.

#### ٤ - النفس الملهمة:

الإلهام: إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يخص الله به بعض أصفياؤه، وهذه النفس بين لها ربها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر؛ من خير أو شر، أو طاعة أو معصية: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] أي: علمها الطاعة والمعصية، وأن أحدهما حسن والآخر قبيح، ومكنها من اختيار ما تشاء.

فالنفس هنا قابلة للفجور وقابلة للتقوى، فالله بين لها الفجور ونهاها عنه، وبين لها التقوى وأمرها به، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] أي: من الفجور، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠] بالفجور.

هذه النفس عرفت الصواب من الخطأ، لكنّها خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً، صاحبها تارة يقوم بعمل الخير، وتارة يقوم بعمل الشر، فهو بين حسنة وسيئة، ولكن عليه أن يجذر من مخالطة أهل السوء؛ لأنهم يمكن أن يضلّوه.

فالنفس الملهمة ألهمها الله تعالى العلم والتواضع والقناعة والسخاء، وهي منبع الصبر والتحمل والشكر.

#### ٥ - النفس الراضية:

رضيت عن الله وتحقق فيها قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] وشأنها في هذا: التسليم والتلذذ بالخيرة، ترضى عن الله بالقليل من الرزق، ولا تسخط على ما قدره الله لها، وهذا غاية في الشرف.

استقرّ فيها النور، وأخذت تترقى في شعب الإيمان، وتكتسب الصفات العلوية، تعمل إرضاءً لله، وتفعل الخيرات تقرباً إلى الله، فتلك سيرضيها الله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ [الفجر: ٢٨].

## ٦ - النفس المرضية:

رضي الله تعالى عنها ويبدو فيها أثر رضاه، ويظهر فيها تجلي الأفعال، وهي منبع الكرامة والإخلاص والذكر.. ويقال: إن السالك في هذه المرتبة يخطو الخطوة الأولى في معرفة الله تعالى.

تتنقل النَّفس من عالم المحب إلى عالم المحبوب، وتتوارد عليها لطائف من الله سبحانه: محبة، عشق، شوق، فيتذوق أنوار التوحيد، وتشرق عليه الفتوحات الربانية، والفيوضات الوهبية، أرضاها الله بعد أن سعت في رضاه، وأرادها لما أرادته سبحانه، وتظهر بوادر المعرفة على صاحبها.

## ٧- النفس الكاملة:

صارت لها الكمالات طبعًا وسجية، وما زالت ترتقي في الكمال وتؤمر بالرجوع إلى العباد لإرشادهم وتكميلهم، مقامها مقام تجليات الأسماء والصفات، وحالها البقاء بالله، تسير بالله إلى الله، وترجع من الله إلى الله، ليس لها من مأوى سواه تستقي علومها منه تعالى.

كملت حقيقتها واستقرت فيها أنوار القرب من الله، وعرفت الله حق المعرفة، وذلت له، وخضعت لعظمته، وخشعت لجلاله، والتجأت إلى جنابه، وسجدت لكبريائه وعزته، فصاحب هذه النفس هو العارف بالله.

وهنا ترقيات لا نهاية لها: ترقى إلى الكرسي، ثم إلى العرش، ثم إلى اللوح، ثم إلى القلم، وحينئذ يصل إلى درجة العلم بالله، ويصبح من الصّديقين الأكابر...، يعني: الكمال مقيد<sup>(١)</sup>، فالكمال المطلق لله تعالى.

وفي الحديث الشريف المتفق عليه: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ»، وفي رواية: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعٌ: أَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ».

من كلام الإمام الهاشمي - وكان سيّدنا الشّاعوري رحمه الله يقرؤها لنا - يقول:

---

(١) ومعناه هنا: التّناهي في جميع الفضائل وخصال البرّ والتقوى. «شرح مسلم» للنّووي (١٥/١٩٨)، ولا شك أن أكمل نوع للإنسان الأنبياء، ثمّ الأولياء والصّديقون، والشّهداء والصّالحون.



إِنَّ النَّفُوسَ سَبْعَةٌ مَنْظَّمَةٌ أَمَّارَةٌ لَوَّامَةٌ وَمَلْهُمَةٌ

وَذَاتُ الْإِطْمِئْنَانِ بِاللَّهِ وَلَهُ رَاضِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ وَكَامِلَةٌ

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّها.

المصادر:

\*[صحيفة الشرق الأوسط]: النقشبندية.. طريقة صوفية تلبس عباءة السياسة

(بالعربية). (٤ يونيو ٢٠١٠)

\*النقشبندية نشأتها وتطورها لدى الترك، الدكتورة بديعة عبد العال.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الثامن والسبعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### (رابطة الشيخ) عند النقشبندية

هذه المسألة تاه فيها من لم يطلع على قيمتها عند السادة النقشبندية رضي الله عنهم،  
وأفصل القول فيها لأهميتها عندهم:

الرابطة: رَبَطُ القلب بالشيخ، مع حفظ صورته في الخيال ولو عند غيبته، أو بعد وفاته.

#### حكم الرابطة:

هذه الرابطة مما تلقيناه عن سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالسَّنَدِ الْمُتَّصِلِ الَّذِي فِي السَّلْسَلَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَهَا أُدْلَةٌ وَشَوَاهِدٌ مِنَ الشَّرْعِ وَالسِّيَرِ، مِنْهَا:  
\*قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: ٣٥)،  
وحقيقة الرابطة: توَسَّلْ وتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ.

\*قول سيدنا رسول الله في قول الله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: قال: «يُذَكِّرُ اللَّهُ بِذِكْرِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

\*قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِذِكْرِ اللَّهِ، إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.  
\*استقبال الكعبة في الصلاة، والسماء في الدعاء..

---

(١) الطبراني.

(٢) الطبراني، صححه ابن حبان، وقال السيوطي: حسن.

\*وفي بعض الأخبار: "النَّظَرُ فِي وَجْهِ الْعَالَمِ عِبَادَةٌ، وَنَفْسُهُ تَسْبِيحٌ"<sup>(١)</sup>.  
\*قال سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خمس من العبادة: النظر إلى المصحف،  
والنظر إلى الكعبة، والنظر إلى الوالدين، والنظر في زمزم - وهي تحط الخطايا- ، والنظر في  
وجه العالم"<sup>(٢)</sup>.

\*وقال: «النظر إلى عليٍّ عبادة"<sup>(٣)</sup>»، يعني: سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي  
الله عنه.

\*قال الشيخ أمين الكردي: قال العارفون: (كن مع الله، فإن لم تستطع فكن مع مَنْ  
كان مع الله).

\*وقالوا: (الفناء في الشيخ مُقَدِّمَةُ الفناء في الله) اهـ  
هذه أدلتهم.

---

(١) الديلمي.

(٢) الدارقطني، قال السيوطي: صحيح.

(٣) الطبراني، قال السيوطي: صحيح.

## صفة الرابطة:

وصفة الرابطة: ما ذكره الشيخ ماء العينين: "أنه ينبغي للمريد قبل هذه الشروط كلها والآداب، ومعها: أن يتصوّر صورة شيخه في ذهنه، ويجعله في جميع ذلك نصب عينيه، وسألًا لقربه من ربه عن بيته؛ لأنه إذا استمدّ بقلبه - عند شروعه في الذكر - همّة شيخه؛ ناله المدد على قدر الاستمداد، ونصّر به على جميع الأجناد؛ إذ قلب شيخه يجاذي قلب شيخ الشيخ إلى... الحضرة النبويّة، وقلب النبيّ دائم التوجّه إلى الحضرة الإلهيّة.

فالذاكر إذا تصوّر شيخه في بداية الذكر فقط (فقط) واستمدّ منه؛ فاضت الأمداد من الحضرة الإلهيّة إلى قلب سيّد المرسلين، ومن قلب سيّد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام أجمعين إلى قلوب المشايخ على الترتيب، حتى تنتهي إلى شيخه، ومن قلب شيخه إلى قلبه، بأسرع من لحظ طرفه، فيقوى بذلك على استعمال الآلة؛ إذ هو في البداية على مثال الطفل: ليس له قوّة على استعمال الآلة بالوجه الذي يؤثّر ويقع محصلاً للغرض..

فإذا استمدّ من شيخه جاءه المدد لا محالة؛ قال تعالى: ﴿وإن استنصرؤكم في الدين

فعلينكم النصر﴾ [الأنفال: ٧٢]

ثم يرى أن استمداده من شيخه هو استمداد من نبيه؛ لأنّه نائبه "اهـ

وقال محمد البغدادي:

"الرابطة: هي طريق مستقل للوصول، عبارة عن ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة، المتحقّق بالصفات الذاتيّة، وحفظ صورته في الخيال ولو بغيته؛ فرويته بمقتضى الدين: «إذا رؤوا ذكر الله» تحصل بها الفائدة؛ كما تحصل بها الفائدة من الذكر بموجب: «هم جلساء الله تعالى».

ولا يخفى ما ورد من الأحاديث في الحثِّ على الجلوس الصالح. والشيخ كالميزاب:  
ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المُريد المُرابط.

وإن وجد الفتور في الرابطة؛ يحفظ صورة شيخه في خياله، بموجب: «المرء مع مَنْ أَحَبَّ»؛ فبحفظ الصورة يتحقَّق ويتَّصف المُريدُ بأوصافِ الشَّيخِ وأحوالِهِ التي له، وكما قيل: (الفناء في الشيخ مُقدِّمة الفناء في الله) اهـ.

### صور الرابطة:

وللرابطة صُورٌ يُراعى فيها استعدادُ المريد، فالنَّقْشِيَّةُ في مجلس ذكرهم يقول لهم الشَّيخُ: رابطة شريفة، فيقوم كل مريد بحسب استعداده الذي وصل إليه، فيتفكَّرُ بإحدى صور ثلاث:

### الأولى: مرحلة الاستمداد من قلب الشَّيخ:

أَنْ يَتَصَوَّرَ المُريدُ صُورَةَ شيخه بين عينيه، ثم يُقَابِلِ قَلْبَهُ بِقَلْبِهِ ولو في غيبته، مع ملاحظة أن قلب الشيخ كالميزاب: يَصُبُّ الْفَيْضَ وَالْبَرَكَاتَةَ إِلَى قَلْبِ الْمُرِيدِ. فَإِنْ حَصَلَ لَهُ حَالُ غَيْبَةٍ، أَوْ أَثْرُ جَذْبَةٍ؛ تَرَكَ الرَابِطَةَ وَاشْتَغَلَ بِالْأَمْرِ الْحَاصِلِ؛ أَي: بِالذِّكْرِ، وَكَلِمَا زَالَ عَنْهُ ذَلِكَ الْحَالُ عَادَ إِلَى الرَابِطَةِ..

الثانية: مرحلة الاستمداد من قلب سيّدنا محمّد:

أن يتصوّر المرید صورةً شيخه بين عينيه، ثم يُقابل قلبه بقلبه ولو في غيبته، مع ملاحظة الفيض المنبعث من السماء إلى قلب سيدنا محمد رسول الله، ومنه إلى قلب الشيخ، ومنه يصبُّ في قلب المرید. فإن حصل له حال غيبية، أو أثر جذبية؛ ترك الرابطة واشتغل بالأمر الحاصل؛ أي: بالذكر، وكلما زال عنه ذلك الحال عاد إلى الرابطة، كما قدمنا.

الثالثة: مرحلة الاستمداد من روح شيخه تلاقي الأرواح في الوصول إلى الله تعالى:

أن يتصوّر المرید صورةً شيخه بين عينيه، ثم يتوجّه إلى روحانيته في تلك الصورة، وما يزال متوجّهاً إليها حتى يحصل له حال غيبية، أو أثر جذبية، فبعد حصول أحد الأمرين يترك الرابطة ويشتغل بالأمر الحاصل بالغيبية أو الجذبية؛ أي: بالذكر، وكلما زال عنه ذلك الحال عاد إلى الرابطة الشريفة، حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ، فعند ذلك يُشاهد روحانية الشيخ مع كماله في صورة نفسه؛ لأن الكمالات لا تفارق الروحانية، فترى روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله، ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب..

فنحن نلاحظ أن استحضار الشيخ يكون في بداية الذكر فقط كالمتمسك به إلى الله تعالى؛ ليصل إلى رضا مولاه عز وجل، فإذا أخذ في الذكر نسي صورة شيخه لاستغراقه بذكر الله عز وجل.

خاتمة: في صورة من صور الاستمداد الروحي، المذكورة في خبر حنظلة، قال: "القيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله! ما تقول؟! قلت: نكون عند رسول الله يُدكرنا بالجنة والنار كأننا رأي عين، فإذا خرجنا

من عند رسول الله عافسنا الأزواج والأولاد والضيّعات، نسينا كثيراً<sup>(١)</sup> " اهـ.  
هذا مبدأ اتصال المرید بشیخه كاتصال الصحابة الكرام بالنبي في زمنه.. صلى الله عليه  
وسلم.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) «صحيح مسلم».

## الدرس التاسع والسبعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الذكر القلبي

أرسل لي أحد طلاب العلم إيرادًا حول الذكر القلبي.. وكيف أن الصلاة لا يقبل فيها إلا الذكر اللساني الجهري.. فكيف يكون الذكر القلبي أو الخفي عند النقشبندية هو الذكر المقرر عندهم؟؟

والجواب: سبق أن قلت: إن المرید في بادئ أمره يجهر بالذكر.. فإذا تمكن الذكر من لسانه؛ يلجأ معه إلى الذكر القلبي.. ثم يبقى على الذكر القلبي عند النقشبندية. وسألني عن دليل الذكر القلبي.. فقلت: هو ما في الصحيح متفقًا عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله عزَّ وجلَّ: أنا عند ظن عبدي بي<sup>(١)</sup>، وأنا معه حين يذكرني<sup>(٢)</sup>،..... فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي،.....- وهذا دليل الذكر القلبي - وإن

---

(١) وعليك أن تظنَّ بالله ظنَّ المغفرة والعفو والثَّواب وإيقاع الوعد، وتغلَّب الرَّجاء على الخوف، في «صحيح مسلم»: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ»، فإن ظنَّ العبد أنَّ التَّوبَةَ لا تنفعه، أو أنَّ الله لا يقبله؛ فهذا هو اليأس من رحمة الله، وهو من كبائر الدُّنُوب، ومن مات على ذلك وكل إلى ظنِّه؛ ولهذا ورد في بعض طرق الحديث عند أحمد وغيره: «فَلْيُظَنَّ بِبِي مَا شَاءَ».

(٢) معيَّة خاصَّة بالحفظ والتَّثبيت والتَّسديد؛ كقول الله لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:



ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خير منهم، وإن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً<sup>(١)</sup>، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة<sup>(٢)</sup>.

ينبغي أن تعرف أن عطاء الله وثوابه أكثر من عمل العبد، إن تقربت إليه بعمل قليل؛ جازاك عليه الثواب العظيم، والحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف.

وهناك آيات كثيرة دالة على الذكر الخفي؛ كقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]<sup>(٣)</sup>.. وآية ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]<sup>(٤)</sup>

وحديث البيهقي الضعيف: (الذكر الذي لا يسمعه الحافظة يزيد على الذكر الذي يسمعه الحافظة سبعين ضعفاً)<sup>(٥)</sup>.. ونحوه عند أبي يعلى. وحديث الإمام أحمد والبيهقي

---

(١) الباع: طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره؛ يعني: مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يميناً وشمالاً، وهو أربع أذرع، والمعنى: إن تتقرب ذراعاً يتقرب منك أربعة.

(٢) تذلاً واستكانة وخفية من غير أن ترفعوا أصواتكم بالدعاء، بل بالسر وخشوع القلب، لا جهاراً ولا مرأاة، سيّدنا الحسن البصري يقول: أدركنا أقواماً كانوا يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وقد ذكر الله عبداً رضي فعله، فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، ولذلك قال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، أي: الاعتداء في الدعاء أو في غيره، وفي «الصحاحين»: رفع ناس أصواتهم بالدعاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ ازْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ».

(٣) مستسراً بدعائه كراهة الرياء سراً؛ لأن الله يعلم القلب النقي، ويسمع الصوت الخفي، الله يستوي عنده السر والجهر؛ ولذا قال: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣].

(٤) لأنه خال عن الرياء والسمعة.

وابن أبي شيبة بسند ضعيف: (خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي)، ومعروف أن الأحاديث الضعيفة عمدة في فضائل الأعمال.

ذكر الله تعالى محله القلب واللسان والجوارح، فأما ذكر الله بالقلب فمعناه: أن يكون ذكر الله تعالى دائماً في قلبه، يفكر في أسماء الله الحسنى ومعاني صفاته العليا، وأفعاله التي بهرت العقول، وأحكامه التي بلغت من الحكمة غايتها القصوى؛ يعني: الفكر في عظمة الله من ذكر القلب، وهناك نوع آخر من ذكر القلب؛ وهو ذكره عند الأمر والنهي، فيمثل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه، ويقف عند ما أشكل عليه، وهذه طريقة النقشبندية، ومصداقها قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وأما ذكر الله باللسان فمعناه: أن ينطق بلسانه بذكر ربه..؛ بذكر أسمائه وصفاته وأحكامه<sup>(١)</sup>، فالتهليل والتكبير والتسبيح والحمد والثناء من ذكر الله<sup>(٢)</sup>، ودرس القرآن والعلوم الدينية وتعليمها وتعلمها من ذكر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ذكر الله،

وأما ذكر الله بالجوارح؛ فإن كل فعل تفعله متقرباً إلى الله متبعاً فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من ذكر الله؛ كالذهاب إلى الجامع، أو لبرِّ والديك، تقبل قدمي والديك، أو تقبل يد والدك، وتغسل عنهما الأذى...

---

(١) يا حلیم، یا علیم، یا علی، یا عظیم.

(٢) ذكر اللسان مجرداً أضعف الأذكار، ولكنَّ فيه فضلاً عظيماً إذا كان مع حضور القلب، فإن كان لاهياً؛ فلا.

سيدنا الإمام النووي رحمه الله تعالى يقول: الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان معاً؛ أن يواطىء اللسان القلب، لسانه يقول: لا إله إلا الله، وقلبه يقول: لا معبود بحق إلا الله...

ذكر اللسان كأن يمسك الإنسان سُبْحَةً ويقول: الله، الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، وهو شارِد بالشؤون الدنيوية، نقول: هذا ذكر باللسان، والإنسان أحياناً يغمض عينيه، ويتأمل في ملكوت السموات والأرض، ويتأمل في عظمة الله، نقول: هذا ذكر القلب، ولكن ذكر القلب وحده أحياناً يشتط إلى أمور دنيوية، وذكر اللسان وحده أحياناً يشتط إلى خواطر بعيدة عن الذكر؛ لذلك الإمام النووي رحمه الله تعالى يرى أن ذكر القلب واللسان معاً هو أفضل من ذكر اللسان وحده، وذكر القلب وحده.

ثم قال الإمام النووي: فإذا اقتصر على أحدهما؛ فالقلب أفضل<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نلخص المسألة فنقول:

النَّاسُ فِي الذِّكْرِ أَرْبَعُ طَبَقَاتٍ:

إحداها: الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ مَعًا، وهو المأمور به، يبنى الذكر اللساني على الذكر

القلبي، ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

الثاني: الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ فَقَطْ، فإن كان مع عجز اللسان فحسن، وإن كان مع قدرته فترك

للافضل.

---

(١) لأنه عمل السر، وهو أفضل، والملائكة تكتب ذكر القلب.

الثالث: الذكر باللسان فقط، وهو كون لسانه رطباً بذكر الله تعالى، ينقله الله تعالى بعدها إلى الذكر القلبي؛ كما قال ابن عطاء الله: (لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك فيه؛ لأنَّ غفلتك عن وجود ذكره أشدُّ من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكرٍ مع وجود غفلةٍ إلى ذكرٍ مع وجود يقظةٍ، ومن ذكرٍ مع وجود يقظةٍ، إلى ذكرٍ مع وجود حضورٍ)...

الرابع: عدم الأمرين، وهو حال الخاسرين.

وعليه فالذكر بالقلب جائز بجميع اعتباراته التي ذكرها العلماء، ولكن اشترط أهل العلم في الأذكار التَّعبديَّة أن ينطق بها مثل الفاتحة والتَّشهد وتكبيرة الإحرام، فلا يكفي فيها الذكر القلبي، بل لا بدَّ من حركة اللِّسان، واشترط الجمهور أن يسمع القارئ نفسه، والله أعلم.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الثمانون

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

(ختم الخواجكان)

على الطريقة النقشبندية

لا بد في نهاية الحديث عن الطريقة النقشبندية أن نتحدث عن أهم أورااد الطريقة وهو

ختم الخواجه<sup>(١)</sup> خان..

اعلم أن لهذا الختم المبارك شرطين:

الأول: ألا يحضر فيه أمرد ولا أجنبي ليس داخلاً في الطريقة النقشبندية؛ لئلا يخل

نظامه.

والثاني: أن يغلق الباب.

وله آداب؛ منها:

---

(١) (الخواجة) معناه في الأصل: السيد المحترم، ثم تحوّل المعنى إلى معلم الصنعة، أو معلم الكتاب، أو مربّي

الأبناء، أو الأستاذ، وصار الخواجة مربياً لأبناء الملوك والأمراء وبناتهم...، وهناك لفظ: عقدة الخواجة،

وتعني: الشخص الأجنبي من خارج البلاد العربية، ويقصد به غالباً الشخص الأوربي، وكلمة (خان)

تعني: الأمير، وكلّ طريقة من طرق الصوفية لها أوراادها من الاستغفار، والصلاة على النبي صلى الله عليه

وسلم، والتّهليل، والأدعية، فمن أراد معرفتها؛ فليفتحص هذه الورقات.

\*تغميض العينين.

\*والاستغفار خمسًا وعشرين مرة.

\*والجلوس متوركًا عكس تورك الصلاة.

\*وملاحظة الرابطة الشريفة - التي ذكرناها سابقًا في درس الرابطة - فيربط المرید قلبه

بقلب الشيخ، أو بيت الله الحرام، أو بالروضة الشريفة، أو بصاحب الزمان - أي:

الحضور - قلبًا وقلبًا، حالًا وفعلاً، في القلب؛ ليكون سببًا لربطنا مع الله عزَّ وجلَّ؛ من

قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وأركانه:

\*قراءة سورة (الفاتحة) سبع مرات

\*ثم الصلاة على النبي المختار (عليه أفضل الصلاة والسلام) مئة مرة

\*ثم قراءة سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] تسعًا وسبعين مرة

\*ثم سورة (الإخلاص) ألف مرة وواحدة

ثم يهدي مثل ثواب ذلك إلى صحيفة النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى آله

وأصحابه والمشايخ الكرام.

ومن المستحسن أن يدعو بالدعاء المنقول عن مولانا الشيخ خالد النقشبندي قدس

الله سره، وهو:

\*بسم الله الرحمن الرحيم\*

اللهم يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، يا مالك الملك، يا ذا الجلال

والإكرام. صلِّ على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك، عدد

معلوماتك، وبارك وسلم كذلك، وأوصل مثل ثواب ما قرأناه وما قرأه أحد من المؤمنين والمؤمنات - والمتسبين إلى الطريقة النقشبندية خصوصًا في آفاق العالم ومشارك الأرض ومغارها بعد القبول - إلى روح كل من صار سببًا لقراءته، وكل من الحصار وآبائهم وأمهاتهم، وكل مؤمن ومؤمنة، وكل من سادات السلسلة النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجهشية، وكل من آباء كل، وكل أمهاته ومشايخه ومريديه ومنسوبيه ومحسوبيه، المؤمنين والمؤمنات، إلى يوم الدين، وثوابًا مثل أضعاف ذلك كما تحب وترضى إلى ساحة سيد المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى روح كل من آله وأولاده وأزواجه وصحبه وسلم، وإخوانه النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وآل كل أجمعين، واحشرنا معهم بفضلك.

آمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أبد الأبدين، في كل لحظة وحين، والحمد لله رب العالمين.

ثم يقرأ - هو أو أحد الحاضرين - ما تيسر من القرآن الكريم.

ثم إذا أراد الانصراف - هو أو أحد من الحاضرين - يقول - هو أو أحدهم - هذه

الصيغة: (على أشرف العالمين سيدنا محمد الصلوات) ثلاثًا، وهي كالإذن بالانصراف.

الختم ركن من أركان الطريقة النقشبندية العلية، ويُقام مرة في الأسبوع ومن دونه لا يمكن أن يتم أمر الطريقة، ولا يعدُّ المريد في الطريقة، ولو ترك المريد الأوراد اليومية لا يعدُّ مرتدًا عن الطريقة، لكن الذي يترك ختم الخواجكان يعدُّ مرتدًا عن الطريقة النقشبندية العلية؛ ولذا كان الختم أهم من الأوراد اليومية؛ لأنه بالختم يقطع المريد





## الدرس الحادي والثمانون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### (المدد) في المفهوم الصوفي ١

يقف غير المتخصص في ألفاظ الصوفية واصطلاحاتهم وقفة الحائر القلق، ويصعب عليه فهمها فهمًا دقيقًا، وقد تظهر له هذه الألفاظ مخالفة لنصوص الشريعة وأحكامها؛ وذلك لأنها تعتمد على التجربة والمعرفة الذوقية، وهما أمران لا سبيل إلى الوصول إليهما وفقًا لمعايير علمية وأقيسة منطقية...، فلكل فن من الفنون أو علم من العلوم اصطلاحات خاصة به، لا يعلمها إلا أرباب ذلك العلم<sup>(١)</sup>...

وهذه الألفاظ التي تداولها الصوفية هي تعبيرات عن أمور تحدّثوا بها من باب الإشارة أو الكناية أو المجاز<sup>(٢)</sup>، كما نرى ذلك في كثير من الكلام العربي، ونجده بارزًا في

---

(١) والأصل في الأفعال التي تصدر من مسلم أن تحمل على الأوجه التي لا تتعارض مع أصل التوحيد، فإن إسلامه قرينة قوية توجب حمل أفعاله المحتملة على ما يوافق عقيدته، وتلك قاعدة عامّة يجب تطبيقها في كلّ الأفعال الصادرة من المسلمين.

(٢) فهل عرفتم لماذا يعترض الوهابية عليكم؟ لأنهم أنكروا نصف اللغة العربية!! اللغة العربية فيها ألفاظ صريحة وألفاظ مجازية، وهم أنكروا المجاز، فوقعوا في هذا الخطأ الرهيب، والقرآن مليء بالمجاز، المجاز هو صرف اللفظ لغير معناه الحقيقي، وفيه قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، وهو في البلاغة من علم البيان، فقد تقول: (شفى الطبيب المريض)، والشفاء من الله، ولكن إسناد الشفاء إلى الطبيب مجاز، وتقول: (بلط الحاكم المدينة)؛ تعني: هو بلطها؟ لا، هو سبب التبليط، وتقول: (دارت بي الأيام) وإنما أنت تدور بالأيام؟ فالنسبة مجازية، وتقول: (رأيت أسدًا يكرّ على الأعداء بسيفه)، المقصود بالأسد رجل شجاع، والدليل كلمة (بسيفه)، إذ الأسد الحقيقي لا يحمل سيفًا!! فهذا مجاز.

كتاب الله تعالى في مواطن عديدة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حُبَّ العجل، جُعِلَتْ قلوبهم تشربه، وهذا تشبيه ومجاز يعبر عن تمكن أمر العجل في قلوبهم، وفي الحديث: «تعرض الفتن على القلوب كالخصير عودًا عودًا، فأَيُّ قلب أشربها؛ نكت فيه نكتة سوداء»، وعبر بالشرب دون الأكل؛ لأن الماء عند الشرب يتغلغل في الأعضاء حتَّى يصل إلى باطنها.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهل القرية<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الانعام: ١٢٢] أي: كان ميِّت القلب فأحياه الله تعالى... إلى غير ذلك من الآيات الكريمة<sup>(٢)</sup>.

وقد قامت اصطلاحات الصوفية بعض الشيء مقام العبارة في تصوير مدركاتهم ومواجيدهم، حين عجزت اللغة عن ذلك، فلا بد لمن يريد الفهم عنهم من صحبتهم؛ حتى تتضح له عباراتهم، ويتعرف إلى إشاراتهم ومصطلحاتهم، فيستبين له أنهم لم يخرجوا عن الكتاب والسنة، ولم ينحرفوا عن الشريعة الغراء، وأنهم هم الفاهمون لروحها، الواقفون على حقيقتها، الحارسون لتراثها.

---

(١) ومثله قولك: قرر المجلس المسألة الفلانية؛ أي: أهل المجلس.

(٢) قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]؛ أي: أناملهم، ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْرَضُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]؛ أي: عنبًا، ومثاله: ﴿وَيُنزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]، عبر بالرزق عن المطر؛ لأنَّ الرزق مسبب للمطر، فالمطر هو السبب، والله يقول: ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، هل المراد الرُّكوع فقط أو الصَّلَاة كلها؟ عبر بالرُّكوع عن الصَّلَاة، والرُّكوع جزء منها؛ كما أنك عندما تقول: شربت ماء زمزم؛ فهل شربته كلّه أم بعضه؟ بعضه، أطلق الكلّ، وأراد البعض، كلّه مجاز.

قال بعض العارفين: "نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا"<sup>(١)</sup> كما قيل:

إِنِّي لَأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرَهُ كَيْ لَا يَرَى الْحَقُّ ذُو جَهْلٍ فَيَفْتِنَنَا  
وقال أبو علي الرُّوذباري: علمنا هذا إشارة، فإذا صار عبارة خفي<sup>(٢)</sup>.

ذلك لأن الغاية من تدوين هذه العلوم إيصالها إلى أهلها، فإذا اطلع عليها من ليس من أهلها جهلها، ثم عاداها؛ لأن الإنسان عدو لما جهل، ولذلك قال السيد علي بن وفا رحمه الله تعالى: "إن من دَوَّن المعارف والأسرار لم يدونها للجمهور، بل لو رأى من يطالع فيها ممن ليس هو بأهلها؛ لنهأ عنها"<sup>(٣)</sup>.

وكان الإمام الجنيد يجيب عن المسألة الواحدة بجوابين مختلفين على حسب السائل؛ معترض أو موافق.

وكلام الصوفية - في تحذير من لا يفهم كلامهم ولا يعرف اصطلاحاتهم من قراءة هذه الكتب - ليس من قبيل كتم العلم، ولكن خوفاً من أن يفهم الناس من كتبهم غير ما يقصدون، وخشية أن يؤولوا كلامهم على غير حقيقته، فيقعوا في الإنكار والاعتراض، شأن من يجهل علماً من العلوم؛ لأن المطلوب من المؤمن أن يخاطب الناس بما يناسبهم من

---

(١) فلا يجوز نقل كلامنا إلا لمن يؤمن به، وإلا دخل جهنم بسبب الإنكار؛ كما حصل من الوهابية وغيرهم من الفرق الضالة، حتى قال بعضهم: من باح بالسِّر استحقَّ القتل.

(٢) «اليواقيت والجواهر» (ص ٣٠).

(٣) الإمام الجنيد قال للشُّبلي: نحن حَبَّرنا هذا العِلْمَ تحبيراً، ثم خَبَّأناه في السَّرَاديب، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملائكة.

(٤) «اليواقيت والجواهر».

الكلام، وما يتفق مع مستواهم في العلم والفهم والاستعداد<sup>(١)</sup>؛ ولهذا أفرد البخاري في صحيحه باباً لذلك فقال: "باب من خص بالعلم قومًا دون قوم؛ كراهية ألا يفهموا"<sup>(٢)</sup>.

ومن الكلمات التي لها تأويل شرعي صحيح في اصطلاحات الصوفية: كلمة (مدد) التي يرددها بعضهم، فينادي بها أحدهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يخاطب بها شيخه.

وحجة المعارض عليهم: أن هذه الكلمة هي سؤال من غير الله، واستعانة بسواه، ولا يجوز السؤال إلا منه، ولا الاستعانة إلا به؛ كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"<sup>(٣)</sup>.

ثم إن الله تعالى بيّن في كتابه العزيز أنه هو مصدر الإمداد حين قال: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠]. من حيث الخالقية والإيجاد، فهو الممد لا يختلف عليه اثنان.

---

(١) حديث ضعيف: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»، ذكره الدَيْلمي، وفي رواية: «إنا معشر الأنبياء أمرنا...»، وأخرج البخاري عن علي موقوفًا: «حدّثوا النَّاس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!»، وأخرج مسلم عن ابن مسعود: «ما أنت بمحدّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»، والعجيب أن المعارض يلقي بالأدلة الشرعية جانبًا ويحاجج بما فهم هو فقط!! مع أن الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع الأمة دلّت على أن كثيرًا من الأفعال التي نسبتها الشريعة إلى الله يصحُّ إسنادها إلى المخلوقين على جهة التّسبّب والاكْتساب، ومنها الإمداد؛ وهو منح المدد وإعطاؤه.

(٢) «صحيح البخاري» (ج ١ / ٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

وقد جهل هذا الصنف من الناس [أي: الوهابية] أن السادة الصوفية هم أهل التوحيد الخالص، الذين يأخذون بأيدي مريديهم ليذيقوهم حلاوة الإيمان، ويوصلوهم إلى صفاء اليقين، ويخلصوهم من شوائب الشرك بجميع صورته وأنواعه<sup>(١)</sup>.

ولا بد أولاً من معرفة معنى هذه الكلمة (مدد) عند علماء اللغة؛ كي يتبين المعنى ويتضح اللبس، فمعنى كلمة (مدد) يختلف باختلاف نية قائلها<sup>(٢)</sup>.

فقد جاء في «لسان العرب» لابن منظور: "مددنا القوم؛ أي: صرنا لهم أنصاراً ومدداً، وأمددناهم بغيرنا".

وقال سيبويه: "المدد: ما مدّهم به أو أمدهم، والجمع: أمداد، قال: ولم يجاوزوا به هذا البناء «مدّ» أو «أمدّ»، واستمدّه: طلب منه مدداً، والمدد: العساكر التي تلحق بالمغازي في سبيل الله.. والإمداد: أن يرسل الرجل للرجل مدداً، تقول: أمددنا فلاناً بجيش. قال الله تعالى: ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ﴾ [آل عمران: ١٢٥]. وقال في المال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ \* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥،

---

(١) لا بدّ من التمييز بين اعتقاد كون الشّيء سبباً واعتقاده خالقاً ومؤثراً بنفسه، فأهل السنة يعتقدون أنّه لا مؤثر في الكون على الحقيقة إلاّ الله سبحانه، وأنّ الأسباب لا تثمر المسببات بنفسها، وإنّما بخلق الله لها، فأنت عندما تطلب المدد من المخلوقين تطلبه على جهة السببية والاكتساب والمساعدة، أمّا الطلّب على جهة الخالقية والتأثير والإيجاد؛ فهو عبادة لا يجوز صرفها إلاّ لله تبارك وتعالى.

(٢) هل تطلب المدد من الخلق خلقاً وإيجاداً أو مساعدة وتسبباً من الخلق؟ بحسب نيتك، ومرة وقفت امرأة على قبر سيّدنا الشّيخ محيي الدّين تطلب أن يرزقها الله ولدًا، فسألتهما: هل تطبلين من الشّيخ أن يرزقك ولدًا؟ قالت: أطلب من الله بشفاة الشّيخ، هذا هو لسان العوام.

[٥٦] وقال جلَّ وعلا: ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنِينَ﴾ [الإسراء: ٦] فالمدد: ما أمددت به قومك في حرب أو غير ذلك، من طعام أو أعوان...<sup>(١)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن هناك فرقاً بين مدد الخالق سبحانه ومدد المخلوق<sup>(٢)</sup>؛ فكلمة (مدد) تأتي بمعنى المساعدة والمعونة، وهي مستحبة في كل أنواع البر بجميع الطرق التي أجازها الشرع الحنيف<sup>(٣)</sup>، فاستعانة الناس بعضهم ببعض في الأمور لا مفر منها، ولا غنى عنها<sup>(٤)</sup>، بل الإنسان مأمور بها ولا سيما في خصال البر والتقوى، فقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

(١) «اللسان» (مدد).

(٢) يعني: ينبغي أن نفهم أن طلب المدد قد يكون عبادة للمستمد منه، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَلَّا يَمُدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وقد لا يكون عبادة للمستمد منه، أخرج البخاري: «أَنَّ رِعْلًا وَذَكَوَانَ وَعُصَيْبَةَ وَبَنِي لِحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَدُوِّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ»، حتَّى البخاري عقد باباً في «صحيحه»: (باب: العون والمدد)، والله في كتابه قال: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، فنسب المدد للمخلوق، وابن الأثير يقول: هم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمدُّون المسلمين في الجهاد.

(٣) علماء السير يقولون: مضت السنَّة من النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن يمد ثغوره بمدد من عنده، وجرى بذلك العمل من الأئمة بعدها، «شرح البخاري» لابن بطال (٢٢٥/٥).

(٤) أخرج الإمام أحمد وابن حبان عن عياض الأشعري قال: شهدت اليرموك وعليها أمراء: أبو عبيدة ابن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيط ابن حسنة، وخالد بن الوليد... قال عمر: إذا كان قتالٌ فعليكم أبو عبيدة، فكتبنا إليه أن قد جاش إلينا الموت، واستمددناه، فكتب إلينا: إنَّه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وإني أدلكم على ما هو أعز نصرًا وأحصن جندًا (الله)، فاستنصروه، فإنَّ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نُصِرَ بأقلِّ من عدوكم، فإذا أتاكم كتابي؛ فقاتلوهم ولا تراجعوني، قال: فقاتلناهم فهزمناهم...

فالتعاون بين الخلائق هو المدد<sup>(١)</sup>؛ أي: المساعدة ونصرة الناس بعضهم لبعض، فإن طلب الإنسان من بني جنسه الإمداد؛ فليس بمعنى أنه يطلب منه كما يطلب من ربه، ولكن بالمدد والقدرة التي أمده الله بها.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) يعني: استعانة المسلم أو طلبه المدد من الأنبياء والأولياء والصالحين محمول على السببية، لا على التأثير والخلق.

## الدرس الثاني والثمانون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### (المدد) في المفهوم الصوفي ٢

وقد قيل: "لا بد للمؤمن في جميع أحواله أن تكون له نظرتان:

• نظرة توحيدية لله تعالى، بأنه وحده مسبب الأسباب، والفاعل المطلق في هذا الكون، المنفرد بالإيجاد والإمداد، ولا يجوز للعبد أن يشرك معه أحدًا من خلقه، مهما علا قدره، أو سمت رتبته، من نبي أو ولي.

• ونظرة للأسباب التي أثبتها الله تعالى بحكمته، فقد جعل لكل شيء سبباً<sup>(١)</sup>.

فالمؤمن يتخذ الأسباب ولكنه لا يعتمد عليها، ولا يعتقد بتأثيرها الاستقلالي، وإن نظر العبد إلى السبب واعتقد بتأثيره المستقل عن الله تعالى؛ فقد أشرك<sup>(٢)</sup>؛ لأنه جعل الإله

---

(١) «حقائق عن التصوف» (ص / ٣٤١).

(٢) الالتفات إلى الأسباب قدح في التوحيد، والاعتقاد أن الأسباب مؤثرة بذاتها من دون تقدير الله ومشيتته يقدح في العقيدة؛ لأنه ليس هناك شيء مستقل بالتأثير من دون مشيئة الله، انظروا إلى قوله تعالى في السحرة: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وعكس الصورة: من أعرض عن الأسباب بالكلية؛ فهو مخطئ إن ظن أن هذا هو كمال التوكل على الله والاعتماد عليه، هذا قدح في التشريع؛ لأن الله ربط الأسباب بالمسببات، قال لك: لن تدخل الجنة إلا بالعمل الصالح، فإذا تركت العمل الصالح وهو سبب دخولك الجنة؛ فمعناه أنك لم تلتزم الشريعة وأحكامها، فمن المؤمن؟ هو الذي يعلم أن الأمر كله لله، ويمثل الشرع، فيأخذ بالأسباب كما أمر الشرع بذلك، أليست الشمس سبباً في الشعاع؟! وكذا كل مريض يقول له الطبيب: أنت معك كذا، وستموت؛ فليعلم أن المرض غير مستقل



الواحد آلهة متعددة، وإذا نظر للمسبب وأهمل اتخاذ الأسباب؛ فقد خالف سنة الله الذي جعل لكل شيء سبباً. والكمال هو النظر بالعينين معاً، ولتوضيح هذه الفكرة نسوق بعض الأمثلة:

إن الله تعالى وحده هو خالق البشر، ومع ذلك جعل خلقهم سبباً عادياً؛ وهو التقاء الزوجين، وتكوّن الجنين في رحم الأم، وخروجه منه في أحسن تقويم، وكذلك فإن الله تعالى هو وحده المميت، ولكنه جعل للإماتة سبباً هو ملك الموت، فإذا لاحظنا المسبب قلنا: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وإذا قلنا: إن فلاناً قد توفاه ملك الموت؛ لا نكون قد أشركنا مع الله إلهاً آخر؛ لأننا لاحظنا السبب، كما بيّنه الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ يَتُوفَاكُم مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

وكذلك فإن الله هو الرزاق، ولكنه جعل للرزق أسباباً عادية؛ كالتجارة والزراعة، فإذا لاحظنا المسبب في معرض التوحيد؛ أدركنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وإذا لاحظنا السبب وقلنا: إن فلاناً يرزق من كسبه؛ لا نكون قد أشركنا.

لقد جعل الله تعالى في هذه الدنيا لخلقها ما جعل للملائكة الكرام عليهم السلام؛ من وظائف وأعمال ظاهرة وباطنية<sup>(١)</sup>، وزوّدهم بإمدادات وقدرات نورانية، فقد أكرم الله

---

بالتأثير، بل المؤثر هو الله، وعليه أن يتداوى ويطلب الشفاء من الله، ولا يغفل أن الأمر بيد الله وبقدرته وإرادته.

(١) الملائكة كلّ منهم موظف وظيفه عند الله، يقوم بها هو بأمر الله، فسيّدنا ميكائيل موكّل على المطر وتصاريفه، على النّبات والقطر، وسيّدنا إسرافيل موكّل على الصّور، وملك الموت موكّل على قبض الأرواح، وسيّدنا جبريل موكّل على الوحي، وموكّل على الرّيح وجنود الله.

أنبياءه ورسله وأوليائه بشيء من الأسرار التي تجعلهم قائمين بها على نصره دين الله، ويمدون بها من شاءوا بإذن ربهم ورضاه؛ لإقامة دين الله جلّ جلاله.

سئل أحد الذين ينكرون قضية المدد: من الذي يهب الأولاد؟ قال: الله، قيل له: فماذا تقول في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]؟ فقال: سبب.

ثم سئل: من يرزق الناس؟ قال: الله، قيل: فماذا تقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨]؟ قال: سبب.

ثم سئل: من الذي يخلق؟ قال: الله، قيل: فما تقول في قوله تعالى عن سيدنا عيسى: ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩]؟ قال: تصوير بمعنى السبب.

ثم سئل: من يعين الخلق؟ قال: الله، قيل: فماذا تقول في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]؟ قال: سبب.

ثم سئل: من يُغيث الخلق؟ قال: الله، قيل: فماذا تقول في حديث البخاري: «تدنو الشمس من رؤوس الناس يوم القيامة فينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم» قال: سبب.

قلت: يا أخي! لطالما عرفت أن تلك المعاني تأتي بمعنى السبب، فلم تكفر المسلمين ليلاً ونهاراً وترميهم بالشرك؟!!

كذلك الاستعانة، فإذا نظرنا للمسبب قلنا: "إذا استعنت فاستعن بالله"،... الحديث<sup>(١)</sup>، وإذا نظرنا إلى السبب قلنا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] «والله

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦).

في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»<sup>(١)</sup>. فإذا قال المؤمن لأخيه: أعني على حمل هذا المتاع؛ فهل يكون مشرکاً مع الله تعالى أحداً، أو مستعيناً بغير الله؟! المؤمن ينظر بعينه، فيرى المسبب والسبب، وكل من يتهمه بالشرك مع هذه النظرة فهو ضال مضل.

حتى الهداية إذا نظرنا للمسبب قلنا: الهادي هو الله تعالى وحده، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، لكن إذا لاحظنا السبب؛ نرى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ أي: تكون سبباً في هداية من أراد الله هدايته، والعلماء العارفون المرشدون هم ورثة الرسول في هداية الخلق ودلالتهم على الله، فإذا استرشد مرید بشيخه؛ فقد اتخذ سبباً من أسباب الهداية التي أمر الله بها، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]، وبما أن الشيخ هو سبب هداية المرید: إذا تعلق المرید بشيخه وطلب منه المدد؛ لا يكون قد أشرك بالله؛ لأنه يلاحظ هنا السبب مع اعتقاده أن الهادي والممد هو الله تعالى، وأن الشيخ ليس إلا سبباً أقامه الله لهداية خلقه، ورسول الله هو البحر الزاخر الذي يستمد منه هؤلاء الشيوخ، وعنه يصدر<sup>(٢)</sup>.

ومبدأ البركة أو المدد معروف في الفكر الإسلامي، قال عنه الإمام أبو حامد الغزالي: "إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين؛ فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين، بل شفاعة العلماء والصالحين، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) «حقائق عن التصوف».

معاملة؛ فإن له شفاعَةً في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه، فكن حريصًا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة<sup>(١)</sup>.

وذكر محمد زكي إبراهيم: أن طلب الدعاء والشفاعة من الحي أو روح الميت طلبٌ عبوديةٍ لله، وهو مباح في مبادئ الإسلام، وطلب المدد من الحي معناه: دعاؤه، وإرشاده، وروحانيته، وتوجهه، وبركة صلاحه، وتقواه، وسره مع الله، وطلب المدد من الميت: طلب من روحه الحي بخصائصه في برزخه السامع المدرك الذي له ما يشاء عند ربه<sup>(٢)</sup>.  
فمعنى المدد هنا: هو طلب التوسل إلى الله والاستشفاع به إليه عزَّ وجلَّ في قضاء الحوائج ودفع الجوائح، والتماس بركة مقامه عند الله تعالى، والاستمداد من مدد الله وسره، وهذا تعلمناه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٣)</sup>.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٥ / ٢٠٥).

(٢) أتعرفون أنَّ طلب المدد من الميت أسرع إجابة من طلب الحي؟! لأنَّ الميت روحه منطلقة في السَّمَاوَاتِ غير مقيدة بجسد؛ لذلك تظهر كرامة الولي بعد موته أكثر من حياته.

(٣) «أصول الوصول» لمحمد زكي إبراهيم (ص ٢٢٤).

(٤) ماذا قال النَّبِيُّ الأَعْظَمُ؟ قال: «إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوْ أَرَادَ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ؛ فَلْيَقُلْ: يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، فَإِنَّ اللَّهَ عِبَادًا لَا نَرَاهُمْ» أخرج الطبراني، وأبو يعلى، والبخاري، وحسنه الحافظ ابن حجر في «أمالي الأذكار»، قال الطبراني: وإذا جازت الاستغاثة بالغائب الذي لا يعرف المستغيث عينه، ولا يتحقق سماعه؛ فلأنَّ تجوز بمن عرف أعيانهم، وتحققت حياتهم، وثبت في السُّنَّةِ سماعهم من باب أولى، وليس نداء النَّبِيِّ وخطابه أقلَّ من عباد الله الذين أمرنا بمناذاتهم والاستغاثة بهم في ردِّ الدَّابة، ومقصوده جعل الله منهم التَّسبب، فإنَّ الله ربط الأمور بالأسباب، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الوسائل والأسباب، حتَّى إنَّ بعض العلماء ألَّف كتابًا سمَّاه: «مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير

والتوسل ليس معناه التوسل بالذات المشخصة من اللحم والدم والعظم والعصب، وإنما هو التوجه إلى الله تعالى بالمعنى الطيب في الإنسان، والمعنى الطيب ملازم للروح، سواء تعلقت بالجسم في الحياة أم تخلصت منه بالموت واستقرت في برزخها على مقامها هناك.... ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

ولهذا يؤكد أهل الطريقة على أن مسألة الحكم على إيمان الناس يجب أن تأخذ مسألة النيّات والمعتقدات القلبية بنظر الاعتبار<sup>(١)</sup>، ولا تقف عند حدود الظن الذي نهى عنه الحق تعالى في قوله:

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤].

وقد ثبت أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: أريد مرافقتك في الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: "أعني على نفسك بكثرة السجود"<sup>(٢)</sup> أي: العبادة.

---

الأنام» أتعرفون ماذا كان نداء سيّدنا خالد؟ المسلمون في معركة اليمامة كان شعارهم: يا محمداه، أو تذكرون قصة الوالد بالحج؟ قال: مدد يا سيدي أحمد البدوي.

(١) لم تطلب المدد من المخلوق؟ من باب الخالقية والإيجاد أم من باب المساعدة والسبب؟ أنه سبب لانقاذك من محنة أنت بها.

(٢) هل انتبهتم إلى معنى الآية: إن ترجعا يا حفصة وعائشة إلى الله؛ فقد وجد منكما ما يوجب التوبة حين مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله من إفشاء سره، وإن تتعاوننا عليه بما يسوءه؛ فإن الله وليه وناصره وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد نصر الله أعوان له ونصراء على من يؤذيه ويعاديه، هذا مدد من الله ومن الملائكة ومن المؤمنين لنبيّه الكريم.

(٣) رواه مسلم (٤٨٩).

فالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله هذا طلب العون من الصَّحَابِي! فهل فعل النَّبِيِّ بدعةٌ أو حراماً؟! والعياذ بالله!! ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصفات: ١٥٤] يعني: على مبدأ الوَهَابِيَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ فعل ما لا يجوز حين طلب العون من الصَّحَابِي، وهو يقول: «إذا استعنت فاستعن بالله»، فهؤلاء الوَهَابِيَّةِ لم يدعُوا أحداً من الأُمَّةِ إِلَّا كَفَرُوهُ، يا ويلهم من عذاب الله وغضبه!!

هذه كلها أدلة -من اللُّغة، ومن الكتاب والسُّنة وفعل النَّبِيِّ والصَّحَابَةِ- تؤكد مشروعية طلب المدد من الله تعالى عن طريق عباده الصالحين وأوليائه المتقين، وكل ذلك متوقف على حسب نية المؤمن واعتقاده... فطلب المدد من الأنبياء والأولياء -أحياءً ومنتقلين- من الأمور المشروعة، وذلك محمول على السَّببية والاكْتساب، لا على الحُلُق والإيجاد، ومن كَفَرَّ المسلمين في هذه المسألة؛ فهو شأن الخوارج الذي عمدوا إلى آيات نزلت في المشركين، فجعلوها في المسلمين!!

وهكذا تبين لنا خطأ من ينكر على من يقول: (مدد يارسول الله..). فليثق الله امرؤ صان دينه عن تكفير الناس..

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الثالث والثمانون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الرقص الصوفي بـ(الحضرة)<sup>(١)</sup>

تتَّسَّمُ التجربة الصوفية بأذواق ورفائق قلبية رفيعة، ومعان ومقامات إيمانية سامية، قلَّما تجدها عند غيرهم، وقد تحدَّثت النصوص القرآنية والحديثية في ديننا الحنيف عن عدة أذواق قلبية، وأصول إيمانية، ومعان روحية، كدنا - أو نكاد - نفقدها اليوم؛ بل أصبحت هذه الأذواق والرفائق على حد قول الشاطبي في «الموافقات»: كالنسي المنسي، وصار طالب العمل بها كالغريب المقيصي.

وإنَّ من هذه التجليات والأذواق الإيمانية:

خُشوع القلب<sup>(٢)</sup>، قشعريرة الجلد<sup>(٣)</sup>، بكاء العين<sup>(٤)</sup>، تصدُّع الجوارح<sup>(٥)</sup>، خرور وصعق<sup>(٦)</sup>،... إلى غير ذلك من الأحوال التي ثبتت في النصوص الشرعية...، وكل ذلك يَحْصُلُ نتيجة انفعال باطني ناشئ عن حزن أو عن خوف أو عن شوق.

---

(١) وسمَّيت حضرة ل حضور القلب فيها.

(٢) ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

(٣) ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣].

(٤) ﴿إِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، ﴿وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ

خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»، «عينان لا تمسها النار: عين بكت من

خشيت الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله».

فمِنْ تجليات الإيمان:

"التمايل والاهتزاز والاضطراب"<sup>(٣)</sup>

ويُطلق عليه اصطلاحًا "الرقص الصوفي" وذلك اقتباسًا مِنْ حديث الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن رقص الحبشة في المسجد النبوي بين يدي سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وهُم يقولون بكلامٍ لهم: "محمدٌ عبدٌ صالح" فالحركة في الذكر أمر مستحسن؛ لأنّها تنشّط الجسم لعبادة الذكر، وهذا الحديث أحد الأدلّة وأشهرها على جوازها، ومعلوم أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينكر عليهم، والأحكام الشرعيّة تؤخذ من قوله وفعله وتقريره، فلمّا أقرّهم ولم ينكر عليهم؛ تبيّن أنّ هذا جائز.

وفي الحديث دليل قوي على إباحة الرقص في المسجد وأثناء مدحه صلى الله عليه وسلم، وفيه كذلك دليل على صحّة الجمع بين الاهتزاز المباح ومدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنّ الاهتزاز بالذكر جائز، ولا يُسمى رقصًا محرّمًا، بل هو جائز؛ لأنّه يساعد على حضور القلب مع الله تعالى إذا صحّت النيّة.

والاهتزاز عند الصوفية تعبيرٌ نبيلٌ عن شعورٍ أصيل، وهو نتيجة انفعالٍ باطني ناشئ عن قوّة الوارد، فتهتز الأجسام لتؤدّي ما لا يؤدّيه البكاء والصعق، ولتُخفّف من قوّة التأثير الباطني العنيف<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] وإذا كان الجبل يتصدّع من خشية الله؛ فكيف الجوارح؟، وإذا تصدّعت دخلها نور الله؛ لذلك تفيض وجوه المؤمنين بنور الله.

(٢) ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٣) أي: الحركة في الذكر، حركةٌ مباحة، ولا يقال عنها: حلال، ولا: حرام، ولو كانت حرامًا لحرم الطّواف والسّعي في الحجّ والعمرة، ولحرم الرُّكوع والسُّجود في الصّلاة.



وهذه الأحوال التي يقترن بها البكاء والوجل والقشعريرة والصعق والغشي ونحو ذلك؛ إذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقاً عاجزاً عن دفعها؛ كان فعله محموداً، قال حجة الإسلام: "وذلك يكون لفرح أو شوق، فحُكْمُهُ حُكْمُ مُهَيِّجِهِ، إن كان فرحه محموداً والرقص يزيدُه ويؤكده؛ فهو محمود، وإن كان مباحاً فهو مباح، وإن كان مذموماً فهو مذموم".

والاهتزاز والتمايل أثناء الذكر أمرٌ فطري، وجداني وتلقائي، يلاحظه كثير من الناس أثناء تلاوة القرآن، عندما يعيش المرء مع معاني آي الذكر الحكيم، فيجد نفسه يتمايل بلا شعور... ويزدادُ الاهتزاز والتمايل قوَّةً بحسب قوَّةِ الشعور والذوق، وقوَّةِ التجلِّي والوارد...

قال سيدنا عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهه وهو يصفُ أصحاب سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله، فما أرى أحداً يُشبههم، والله إن كانوا ليُصْبِحون شعثاً غبراً صُفراً، بين أعينهم مثلُ ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحن بين

(١) الإمام أبو مدين الغوث يقول:

تحركنا	ذكر الأحاديث	عنكم
فقل للذين ينهى عن الوجد أهله:	إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا	ولولا هواكم في الحشا ما تحركنا
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا	نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى	إذا ذكر الأوطان حنَّ إلى المعنى
أما تنظر الطير المقفص يا فتى	فيرج بالتغريد ما بفؤاده	فتضطرب الأعضاء في الحس والمعنى
ويرقص في الأقفاص شوقاً إلى اللقا	فيهتز أرباب العقول إذا غنى	تهزها الأشواق للعالم الأسنى
كذلك أرواح المحبين يا فتى		

أقدامهم وجباههم، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح<sup>(١)</sup>،

فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم<sup>(٢)</sup>.

وعن سيدنا عليّ كذلك قال: "أتينا النبي صلى الله عليه وسلم أنا وجعفر وزيد، بعد فتح خيبر [قدموا من الحبشة] فتلقى النبي جعفرًا، وقبّل جبهته، وعانقه، وقام له، ثمّ قال: «ما أدري بأيّهما أفرح؟! بفتح خيبر أم بقدم جعفر؟!» فقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»، فحجّل. وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي»، فحجّل وراء حجّل زيد، وقال لي: «أنت مني وأنا منك» فحجّلت وراء حجّل جعفر". أي: رقص من لذة هذا الخطاب، فلم ينكر النبيّ صلى الله عليه وسلم الرقص على أحد منهم، وهذا الحديث بذكر الحجّل أخرج البيهقيّ وأبو يعلى وابن أبي شيبة، وجعل أصلًا لرقص الصّوفية عندما يجدون لذة المواجيد في مجالس الذكر والسّماع.

قال الإمام البيهقي رحمه الله (ت ٤٥٨ هـ) شارحًا الحديث: "والحجّل: أن يرفع رجلًا ويقفز على الأخرى من الفرح، فإذا فعله الإنسان فرحًا بما آتاه الله تعالى من معرفته أو سائر نعمه؛ فلا بأس، وما كان فيه تشنّ وتكسر حتى يباين أخلاق الذكور؛ فهو مكروه؛ لما فيه من التشبه بالنساء".

---

(١) هذا لفظ صريح في الاهتزاز، ويبطل قول من يدعي أنّه بدعة محرّمة، ويثبت إباحة الحركة في الذكر مطلقًا، وقد استدلل الإمام الشّيخ عبد الغني النّابلسي بهذا الحديث في إحدى رسائله على نذب الاهتزاز، وقال: وهذا صريح بأنّ الصّحابة كانوا يتحركون حركة شديدة في الذكر، على أنّ الرّجل غير مؤاخذ حين يتحرك ويقعد على أيّ نوع كان، حيث إنّ لم يأت بمعصية.

(٢) وهذا مذكور في «البداية والنهاية» لابن كثير: (٨/ص ٦)، وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (١/٧٦).

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى (٧٧٣-٨٥٢هـ) عند شرح الحديث: "وَحَجَلٌ - بفتح المهملة وكسر الجيم - أي: وقف على رجلٍ واحدة، وهو الرقص بهيئة مخصوصة".

وفي "الفتاوى الحديثية" قال الإمام الحافظ ابن حجر الهيتمي رحمه الله - من علماء القرن العاشر - بعد أن سُئِلَ عن رقص الصوفية: "نعم له أصل، فقد رُوي في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له: «أشبهت خَلقي وخُلقي» وذلك من لَذَّة الخطاب، ولم يُنكر عليه صلى الله عليه وسلم" (١). وكذلك استدلل للحَجَل والرقص بهذا الحديث كُلُّ من حُجِّجَ الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي في كتابه "الإحياء" وذكره محمد بن طاهر المقدسي في "صفوة التصوف".

وكان سلطان العلماء العز بن عبد السلام - وهو الذي برع في الفقه والأصول والعربية، ودرَّس وأفتى وصنَّف، وبلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة المذهب مع الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلابة في الدين... - كان مع شدته فيه حسنٌ محاضرةٍ بالنوادِر والأشعار، يحضر السماع ويرقص، وقد جعل الإمام الياضي رقص سلطان العلماء العز بن عبد السلام وسماعه دليلاً على جواز ذلك؛ لأن فعله حجة، فهو من كبار العلماء.

---

(١) وذكر الألويسي في «تفسيره» عن سيِّدنا ابن عمر وسيِّدنا عروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم: أُنِّهْم خرجوا يوم العيد إلى المصلَّى، فجعلوا يذكرون الله تعالى، فقال بعضهم: أما قال الله تعالى: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران: ١٩١]، فقاموا يذكرون الله تعالى على أقدامهم.

كما قال الإمام السيوطي: "وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة؛ منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام".

ومن المعاصرين كثير؛ منهم: شيخ الشَّام الشَّيخ مُحَمَّد هاشم الخطيب، ومعه السَّيد الوالد في الجامع الأموي، وكان يحضر هذا المجلس يقظةً سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنشد المنشد وهم جلوس:

صفا وقتنا طاب الزَّمان بمدحه      فقوموا على مدح الحبيب إلى الرَّقص

فسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما الرَّقص المحمَّديُّ؟ فقام وأخذ بيد الشَّيخ هاشم ووالدي، وصار يقوم ويركع، ويقول: الله الله، الحضرة الشاذلية، فقام كلُّ من في المجلس، وصاروا يذكرون مع الشَّيخ هاشم ووالدي، وجاء من أقصى الجامع الأموي الشَّيخ رشيد الحَبَّال شيخ ورد السَّحر مع جماعته، وشاركوا بالحضرة، وكان مشهدًا تقشعر منه الأبدان من كثرة التَّجلي، وقد ذكر هذا والدي في مجموعة رسائله إلى إخوانه في مصر.

وقال ابن قيم الجوزية غفر الله له في "مدارج السالكين": "اختلف الناس في التواجد؛ هل يُسَلَّم لصاحبه؟ على قولين؛ فقالت طائفة: لا يسلم لصاحبه؛ لما فيه من التكلف وإظهار ما ليس عنده، وقوم قالوا: يُسَلَّم للصادق الذي يرصد لوجدان المعاني الصحيحة؛ كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا» والتحقيق: أن صاحب التواجد إن تكلَّفَهُ لِحَظٍّ وشهوة ونفس؛ لم يُسَلَّم له، وإن تكلفه لاستجلاب حال أو مقام مع الله؛ سَلَّم له. وهذا يُعرف من حال المتواجد، وشواهد صدقه وإخلاصه". انتهى.

وهذا الإمام مالك كان إذا ذكر سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني، حتى يصعب ذلك على جلسائه.

وفي «تفسير القرطبي»: "قال هشام بن حسان: انطلقت أنا ومالك بن دينار إلى الحسن، وعنده رجلٌ يقرأ: ﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: ١] حتى بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ٧] فبكى الحسن وبكى أصحابه، فجعل مالك يضطرب حتى غشي عليه".

وثبت التمايل في الحديث الصحيح لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعن عبد الله بن عمر قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: «ياخذ الجبار سماواته وأراضيه بيده» وقبض يده فجعل يقبضها ويسطها، ثم يقول: «أنا الجبار، أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟» قال: ويتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟!"<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أحمد: "...حتى رجف به المنبر، حتى ظننا أنه سيخرب به".

بل ثبت كذلك في الصحيح اهتزاز العرش في عليائه فرحًا بقدم الروح الطاهرة لسيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه، وذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اهتز العرش لموت سعد بن معاذ"<sup>(٢)</sup>.

وانظر إلى هذا النص الوجداني الكريم الذي يقول فيه الحق تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٠٣).

يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [الحشر: ٢١] فَضْرُبُ المثل من الأساليب القرآنية المعهودة التي تعمل على تقريب المعنى، وكأنَّ المعنى هنا هو: إِذَا كَانَ الجبل على صلابته وتناهي قساوته وقُوَّتِهِ لو أُنزل عليه القرآن لتأثر منه بالخشوع والتصدع؛ فكيف يكون الحال للقلوب؟!، والله تعالى ضرب للناس المثل بالجبال الرواسي؛ ليعلموا أنهم أولى بذلك الخشوع والتصدع! فهذا النص الإلهي بلغ من التأثير ما لا إمكان للزيادة وراءه، فهَلَّا رَأَيْتُمْ رَجُلًا تَصَدَّعَتْ جَوَانِحُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ؟... نَعَمْ؛ عِنْدَنَا قِرْآنٌ يَتَلَى، فِيهِ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] صدق الله العظيم.

أختم البحث بشهادة الإمام ابن عابدين شيخ المذهب الحنفي له رسالة سمَّاهَا: «شفاء العليل»، عرَّض فيها بالدُّخلاء على الصُّوفِيَّة، واستعرض بدعهم ومنكراتهم في الذِّكر، وحذَّر منهم ومن الاجتماع بهم، ثمَّ قال: ولا كلام لنا مع الصُّدِّق من ساداتنا الصُّوفِيَّة المبرِّئين من كلِّ خصلة رديَّة، فقد سئل إمام الطَّائِفَتَيْنِ سيِّدنا الجنيد: إِنَّ أَقْوَامًا يَتَوَاجِدُونَ وَيَتَمَايَلُونَ، فَقَالَ: دَعُوهُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى يَفْرَحُونَ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ قَطَعَتِ الطَّرِيقَ أَكْبَادَهُمْ، وَمَزَّقَ النَّصْبَ [التَّعَب] فَوَادَهُمْ، وَضَاقُوا ذُرْعًا، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ إِذَا تَنَفَّسُوا مَدَاوِئَهُمْ، وَلَوْ ذَقْتَ مَذَاقَهُمْ عَذْرَتَهُمْ...، ثمَّ قال: وبمثل ما ذكره الإمام الجنيد أجاب العلامة النُّحْرير ابن كمال باشا لما استفتي عن ذلك حيث قال:

ما في التَّوَجُّدِ إِذْ حَقَّقْتَ مِنْ حَرَجٍ      وَلَا التَّمَايُلِ إِذْ أَخْلَصْتَ مِنْ بَاسٍ

فَقَمْتَ تَسْعَى عَلَى رِجْلِ وَحُقِّ لِمَنْ      دَعَاهُ مَوْلَاهُ أَنْ يَسْعَى عَلَى الرَّاسِ

فالرَّقْص رخصة عند الذِّكر والسَّمْع للعارفين الصَّارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال، السَّالِكِينَ المَالِكِينَ لضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال، فهم لا يستمعون إِلَّا من الإله، ولا

يشْتاقون إِلَّا له، إن ذكروه ناحوا، وإن شكروه باحوا، وإن وجدوه صاحوا، وإن شهدوه استراحوا، وإن سرحوا في حضرات قربه ساحوا، إذا غلب عليهم الوجد بِغَلْبَاتِهِ، وشربوا من موارد إرادته؛ فمنهم من طرقته طوارق الهيبة فخرَّ وذاب، ومنهم من رقت له بوارق اللطف فتحرك وطاب، ومنهم من طلع عليهم الحب من مطلع القرب فسكر وغاب، هذا ما عنِّي في الجواب، والله أعلم بالصواب.

ثمَّ قال: ولا كلام لنا مع من اقتدى بهم، وذاق من مشربهم، ووجد من نفسه الشَّوق والهيام في ذات المَلِكِ العَلَّامِ، بل كلامنا مع هؤلاء العوام الفسقة اللئام<sup>(١)</sup>.

---

(١) «شفاء العليل وبل الغليل» من رسائل ابن عابدين (ص ١٧٢-١٧٣).

نفهم مما سبق أنّ الحركة في الذكر مباحة شرعاً، هذا إضافة إلى أنّ الأمر بالذكر مطلق يشمل جميع الأحوال، فمن ذكر الله قاعداً أو قائماً، جالساً أو ماشياً، متحرّكاً أو ساكناً؛ فقد قام بالمطلوب، ونفذ الأمر الإلهي، والذي يدّعي تحريم الحركة في الذكر أو كراهتها هو المطالب بالدليل؛ لأنّه يخصّص ما هو مطلق من الأدلّة، فالحركة وسيلة للنشاط، وتشبهه بأهل الوجد إن صحّت النية...

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق



## الدرس الرابع والثمانون

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

الشيخ الأكبر<sup>(١)</sup>

سيدي محيي الدين بن عربي

(٥٥٨ - ٦٣٨ هـ) (١١٦٤ - ١٢٤٠ م)

### المرحلة العلمية

في قمة معاريج الحب الإلهي تنكشف سبحات الجلال عن جمال الذات العلية؛ لتغذي  
أرواح أهل الاختصاص الذين سُقيت ذواتهم من معين أسرار قول الحق تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ  
وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]

فهم أولياء الحق تعالى وخواصه، الذين زجُّوا بأرواحهم في محيط النور الأزلي تعشقاً  
للجمال المطلق، فارتوت قلوبهم من معين السر المحمدي، وأثمرت أغصان المحبة في  
قلوبهم قطوفاً دانية من كرم الوصال، تشعشت به أرواحهم فهاموا في حبه سكارى،  
وراح الروح تجذبهم إلى رحاب القدس حيث هُتكت لهم الأستار وكُشفت لهم الأسرار.  
هنالك قمة الوصول، لأهل الفتح والقبول، من عباد الحق المقربين، وخواصه  
العارفين.

---

(١) له ألقاب عدّة: الشيخ الأكبر، البحر الزّاهر، بحر الحقائق، محيي الدّين، سلطان العارفين، إمام  
المحقّقين، شيخ الطّريقة الأكبرية.

وفي الذروة العليا من سنام الولاية العظمى والفتوح الرباني يتربع إمام من صدور الأئمة الربانيين والأقطاب المحققين، بل هو آية الله في أوليائه، وَمِنْحَتُهُ العلوية لِحُلُصِّ أَصْفِيَائِهِ، إنه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، سلطان العارفين وختم الأولياء المحمديين، سيدي ومولاي الإمام محيي الدين بن عربي، أعلى في الوجود ذكره، ورضي عنه وعنَّا به، وأمدنا منه بالمدد الأعلى في الدارين. آمين.

هو شمس الولاية التي تكتحل بضيائها بصيرة كل عارف، وتستمد من أقباسها روح كل صوفي، تعشقت روحه سر الصفاء الرباني، ومن عجبٍ أن الشمس بكل جلالتها وظهورها وإشراقها لا تتناول إليها قوى الإدراك لتلمس حقيقتها وجوهرها، ولعل مناط العجب أن سر تقاصر الأبصار عن إدراك جوهرها يكمن في شدة ظهورها، كذلك الأمر فيما يتعلق بشمس الولاية سيدي محيي الدين، فأينما تحسست سر الصفاء الرباني في ولي الله رأيت فيه قبساً من نور هذا الإلهام، ومع ذلك مما يثير العجب - كل العجب - أن نجد بعض أذعياء الفكر والمعرفة ينكرون ولاية هذا الإمام العارف بالله<sup>(١)</sup>!! جاهلين أو

---

(١) وصفه أعداؤه وأعداء التصوف بالفيلسوف الصوفي الملحد الذي خرج بمذهب وحدة الوجود، فأحرقوا كتبه وأتلفوها، ورفضه ابن تيمية وغيره (من الإخوان المسلمين والوهَّابية وآخرهم الدَّواعش)، وخرجت كتب في تكفيره، ورد الشُّيوطي عليهم في «تنبيه الغبي بتهرئة ابن عربي»، وسارع أنصاره فردُّوا على معارضيه، ومنهم: الإمام الشُّيوطي، والإمام ابن حجر الهيتمي، وابن كمال باشا مفتي الدولة العثمانية، ورأى الوهَّابية أن عقيدته باطلة تمثل كفراً لم تعرف البشرية أعظم منه؛ لأنَّهم لم يفهموا أقواله، وابن تيمية نفسه كان منحرفاً وضالاً كبيراً، وكانت فتواه مصدراً

متجاهلين ما له من منزلة دونها مرتقى الأفهام ومطمح البصائر، بيد أن شواهدا ملء السمع والبصر، ولا تقل دلالة في محيط الإدراك العقلي والوجداني عن دلالة الشمس على وجود النهار، فليس أمامنا من رد لهؤلاء المحجوبين سوى قول الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وإذا ما استرسلنا في مقارنة شمس الولاية بشمس الكون أدركنا أن سر خفاء الحقيقة مشترك بينهما، فما المانع من إدراك حقيقة الشمس الكونية إلا عجز الأبصار عن الرؤية لشدة ضياء الشمس من جهة ولبعد مرتقاها من جهة أخرى، كذلك ليس المانع من

---

لجهل عظيم، كان نملة! وابن عربي لم يضلل أحداً، ولكنه سبق زمانه، وتعاليمه كانت تنضح بالإسلام، وكل من ذمّه لم ينل نور حكيمته!

أعرف اثنين من المعاصرين كانا يكفّران ابن عربي؛ أحدهما يلقبه بالشيخ الأَكفر، والثاني يتناول عليه لسوء ظنه به، ولأنّه لم يفهم كلامه، أمّا الأول؛ فقتل زوجة أخيه وباء بالخسران، والثاني: طرده الله من الشّام وعاش في الغربة والكربة، ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب».

وثالث كتب كتاباً كفر فيه ابن عربي، وقدم لكتابه شيخ القراء، وحين راجعته قال: لست أوّل من كفر ابن عربي، فكان عاقبتها أنّ الكاتب بالسّجن، وشيخ القراء شرّده الله خارج بلاده، هذا ما شهدناه في حياتنا، وهو نفسه كان يقول: نحن قوم يجرم النّظر في كتبنا! وذلك لأنّ الصّوفيّة تواطؤوا على ألفاظ اصطلحوا عليها، وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة فيها، فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العِلْم الظّاهر؛ كفرهم وكفّر، وربما تطالعنا أسماء لامعة في سماء الإسلام من المعارضين، فهؤلاء لم تصلهم كتب ابن عربي ولا فهموا كلامه ولا مصطلحاته، وليس حسناً أن نحكم على شخص سبق فهمه أعوامك ويضيء الطّريق أمامك!!

تعرف حقيقة شمس الولاية إلا عجز العقول عن إدراك الحقيقة لقوة ضيائها من جهة ولبعدها عن مطمح الإدراكات من جهة أخرى، وثمة أمر مشترك آخر يتمثل في أن مناط الانتفاع بالشمس إنما هو الاهتداء بها لا إليها، وعلى هدى ضوئها يتسنى الوصول إلى الحقيقة، فمن هنا نهتدي إلى الطريق، وعلى الدرب نسير.

ولسوف نخوض في هذه المقالة - مع يقيننا بعدم الأهلية لذلك - عباب بحر متلاطم الأمواج، خفي الأبعاد، بعيد الأعماق، وكل ما نعرفه عنه أنه بحر، لكن مياهه ضياء، وأعماقه كنوز، وشواطئه موصلة إلى الحقيقة، يصفه فريق من المحجوبين بأنه بحر الظلمات، ويراه أهل الكشف بحر الأنوار الربانية، فبه تحيا الروح ويشمل العقل براح المحبة، وتستشعر النفس برَد الرضا والطمأنينة، وإذا لم تكن أهلية الخوض متوفرة فلنستمد من بحور النور قطرة فيها سر الضياء، وليمدنا بها سلطان العارفين شيخ الصوفية الإمام محيي الدين بن عربي رضي الله عنه وأرضاه وقدّس سرّه.

فمن أي الجوانب ترى يكون البدء؟

لعله الجانب التاريخي:

فلنتعرف إلى ملامحه في عجالة عاجلة:

إن شيخنا الأكبر هو سيدي أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من نسل عبد الله بن حاتم أخي عدي بن حاتم الطائي، ويعرف بابن العربي في

بلاد المغرب وبابن عربي في بلاد المشرق؛ تفرقة بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي المالكي<sup>(١)</sup>.

وقد آثرت ترجمته هنا بابن العربي تأسياً به حيث كان يسمي نفسه في كتبه بالتعريف، ولقد قال التاريخ كلمته عن هذا الإمام ومنذ فجر ميلاده:  
فجاء به في يوم من أخلد أيامه؛ وهو يوم بدر حيث سجل أول نصر للإسلام.  
ولد سيدي محيي الدين في يوم الاثنين السابع عشر من رمضان المعظم سنة ٥٥٨هـ  
أو ٥٦٠هـ في مدينة (مرسية) ببلاد الأندلس<sup>(٢)</sup>، قبل عامين من وفاة سيدنا الجيلاني،  
وأسرة سيدي محيي الدين من أعرق الأسر ببلاد المغرب، ولها في الفضل والجود والعلم  
والتصرف منزلة سامقة شادت بها الألسنة والأقلام.  
فوالده الشيخ علي بن محمد بن عربي من أئمة رجال الفقه والحديث، وكان على قدم في  
طريق القوم، وقد ذكر سيدي محيي الدين في «فتوحاته» بعض الكرامات التي وقعت  
لوالده يوم وفاته فقال: (وكان قبل أن يموت بخمسة عشر يوماً أخبرني بموته وأنه يموت  
يوم الأربعاء وكذلك كان، فلما كان يوم موته وكان مريضاً شديد المرض استوى قاعداً  
غير مستقر وقال لي: يا ولدي! اليوم يكون الرحيل واللقاء.

---

(١) كلاهما لقبه أبو بكر، لكن الأول محمد بن علي، والثاني محمد بن عبد الله، يعدُّه المالكية المجدد الخامس للأئمة (٤٦٨هـ - ٥٤٣هـ) من فاس المغرب، كان حافظاً مسنداً، مؤرخاً مفسراً فقيهاً، من أشهر كتبه: «أحكام القرآن».

(٢) في إسبانية اليوم، جنوب شرق إسبانية، تطل على البحر المتوسط، من أهم شخصياتها الإمام أبو العباس المرسي تلميذ الإمام أبي الحسن الشاذلي الذي استوطن الإسكندرية ودفن فيها، وبها مسجده الشهير.

فقلت: . كتب الله سلامتك في سفرك هذا وبارك لك في لقاءك.

ففرح بذلك وقال لي: يا ولدي جزاك الله عني خيرًا، فكل ما كنت أسمعك تقوله ولا أعرفه - وربها كنت أنكر بعضه - هو ذا أنا أشهده.

ثم ظهرت على جبينه لمعة بيضاء تخالف لون جسده من غير سوء، لها نور يتلألأ، فشعر بها الوالد، ثم إن تلك اللمعة انتشرت على وجهه إلى أن عمّت بدنه، فقبلت يده وودعته وخرجت من عنده وقلت له: أنا أسير إلى المسجد الجامع إلى أن ياتيني نعيك.

فقال لي: رح ولا تترك أحدًا يدخل علي، وجمع أهله وبناته، فلما جاء الظهر جاءني نعيه، فجئت إليه فوجدته على حالة يشك الناظر فيها بين الحياة والموت، وعلى تلك الحالة دفنناه وكان له مشهد عظيم).

هذا هو والده ولي من أولياء الله الواصلين.

وأما والدته فهي السيدة (نور) وهل ينبج النور إلا النور؟؟؟<sup>(١)</sup>.

قد كانت من القانتات العابدات الصالحات، ومع عير أنفاسها الطاهرة تصاعدت دعوات إلى الله تعالى أن يصطفي ابنها لحضرتة وقد كان.

وفي محيط الأسرة الصالحة أيضًا نجد أن جد سيدي محيي الدين كان من قضاة الأندلس العلماء الورعين.

أما عن الشيخ عبد الله بن محمد الجد الثالث له فقد كان من أهل الكشف والمعرفة.

---

(١) أعرفتم لماذا ينبغي للمسلم أن يتزوج بنت أصول وصلاح؟ لأنها تؤثر على أولاده، والله تعالى

يقول: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

وأما عن أخواله فقد سجل أصحاب الطبقات الصوفية لهم مناقب جليلة، فمن أخوال الشيخ الأكبر سيدي أبو مسلم عبد الله بن ثوب الخولاني<sup>(١)</sup> الصوفي الزاهد المجاهد الذي كان يقضي الليل قائماً لربه، فإذا ما أدركه الإعياء ضرب رجله قائلاً: (أنتم أحق بالضرب من دابتي!! أيظن أصحاب محمد أن يفوزوا به دوننا؟؟؟ والله لأزاحمهم عليه حتى يعلموا أنهم خلّفوا من بعده رجالاً).

كذلك من أخوال سيدي محيي الدين سيدي (يحيى بن يغان) الذي كان ملكاً على تلمسان، فجذبتة العناية الإلهية ففر من ملكه ومن نفسه إلى الله، وآثر أن يعتلي القمة، فتصوف وتزهد حتى إن سيدي محيي الدين كان يقول لبعض من يطلبون منه الدعاء: (التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان فإنه ملك وزهد، ولو ابتليت بما ابتلي به من الملك ربما لم أزهد)، وقبره مشهور يزار في تلمسان.

هذه لمحات عن البيئة الأسرية لسيدي محيي الدين التي كانت تتسم بالصفاء والنقاء، وتؤثر حق الروح على فضول المادة، فارتقت في سلم الفلاح إلى مدارج الوصول. وفي (مرسية) درج الشيخ الأكبر في أجواء النور، فحفظ كتاب الله تعالى واستقى قلبه من هداه العظيم.

---

(١) سيّد التّابعين، وزاهد العصر، ت ٦٨٤هـ، سكن داريا، وأصله من اليمن، أسلم أيام النّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ولم يلتقه، دخل المدينة في خلافة الصّدِّيق، وهو الذي ألقاه الأسود العنسي في النّار فلم تحرقه، فنفاه إلى المدينة، فالتقاه الفاروق واعتنقه وقال: الحمد لله الذي لم يمّنتني حتى أراني من أمة محمّد من صنع به كما صنع بإبراهيم الخليل.

ثم انتقل سنة ٥٦٨ هـ إلى (إشبيلية)<sup>(١)</sup> وعمره ثمانية أعوام فالتقى بصفوة من علماء عصره، وارتوى على أيديهم من مناهل العلم أيما ارتواء. فقرأ كتاب (الكافي) في القراءات السبع على الشيخ أبي بكر بن خلف<sup>(٢)</sup> (عميد الفقهاء) وأبي القاسم الشراط<sup>(٣)</sup>، وقرأ كتاب (التيسير) لأبي عمرو الداني<sup>(٤)</sup> على أبي بكر محمد بن أبي جمرة<sup>(٥)</sup>، ودرس علم الحديث والفقه واللغة على أساطين العلم وفحوله في عصره؛ مثل: أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون<sup>(٦)</sup>، والحافظ ابن الجد فقيه الأندلس<sup>(٧)</sup>، وأبي الوليد الحضرمي، وأبي الحسن بن نصر، وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي، وأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال<sup>(٨)</sup> وغيرهم.

وقد استوعب الشيخ الأكبر كل ما وقع بيده من مصنفات وما سمعه عن شيوخه من أقوال، فتألفت عبقريته العلمية وعلا نجمه على أقرانه وارتفع إلى مرتبة الشيوخ وصار

---

(١) جنوب إسبانية، رابع أكبر مدينة في إسبانية، كان يطلق عليها في الفتح الإسلامي حمص؛ لنزول جند الشام فيها لأول مرة، من أشهر حكامها المعتمد بن عباد.  
(٢) أبو بكر الطرطوشي، فقيه مالكي، صاحب كتاب «سراج الملوك في سلوك الملوك»، (٤٥١-٥٢٠هـ).

(٣) القرطبي، من محدثي الأندلس.

(٤) عالم القراءات، ومحدث ومفسر، أندلسي (ت ٤٤٤هـ).

(٥) (٥١٨-٥٩٩هـ) الشيخ الإمام، المعمر، مسند المغرب، فقيه، محدث، اهتم بمذهب مالك ونشره.

(٦) (٥٠٢-٥٨٦هـ) محمد بن سعيد، مسند فقيه، تلميذ القاضي عياض، و(زرقون) لقب جدّه.

(٧) وحافظها وزعيمها من غير منازع، إليه انتهت رئاسة الفقه.

(٨) محدث قاضي، مؤرخ، أندلسي (ت ٥٧٨هـ).



إمامًا في المعقول والمنقول، وأجازه جهابذة العلم بمروياتهم ومصنفاتهم؛ كابن عساكر وابن الجوزي والحافظ السلمي وعبد الحق الإشبيلي وغيرهم، وعرف كل أولئك ومن جاء بعدهم منزلة الشيخ الأكبر التي لا تسامى. (وهذا كله قبل أن يكون صوفيًا... لقد أصبح عالمًا قبل أن يصبح صوفيًا، وهذه نقطة مهمة انتبهوا إليها).

وقد ذكر الشيخ المفسر المحدث إسماعيل العجلوني<sup>(١)</sup> في كتابه: (كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) عن الشيخ حجازي الواعظ شارح «الجامع الصغير» للإمام السيوطي: أن الشيخ محيي الدين بن عربي معدود من الحفاظ. و(الحافظ) في مصطلح المحدثين يطلق على من يحفظ مئة ألف حديث.

ثم وصل الشيخ الأكبر أيضًا في حياته إلى مرتبة الاجتهاد المطلق<sup>(٢)</sup> وصرح بذلك

---

(١) من أبرز علماء الأردن الشقيق الذين أنجبتهم عجلون، برع في علوم شتى، وتصانيفه تدلُّ على غزارة علمه وقوة بيانه، ولد قرابة عام ١٠٨٧هـ، وقدم دمشق وعمره ١٣ سنة عام ١١٠٠هـ، واشتغل على علمائها، ثم رحل إلى تركيا، ثم عاد إلى دمشق مدرسًا تحت قبة النسر بدلًا من شيخه الشيخ يونس المصري، وبقي مدرسًا أربعين سنة تحت قبة النسر، وانتشر علمه في الدنيا، لقَّب بالشيخ الإمام الحجَّة الرَّحالة، من مشايخه الشيخ عبد الغني النَّابلسي وغيره كثيرون.

(٢) الإمام ابن عربي له في علم التصوف من الكتب والرَّسائل ما زاد عدده على ٥٠٠ كتاب على حدِّ قول عبد الرَّحمن جامي صاحب كتاب «نفحات الأندلس»، من أهمها: «الفتوحات المكيَّة» (٢٠ مجلدًا)، وكتاب «التفسير» الذي يقول فيه صاحب كتاب «فوات الوفيات»: «إنَّه يبلغ ٩٥ مجلدًا، بلغ فيه إلى سورة الكهف إلى قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وتوفي قبل أن يتمَّه، وقام الدكتور عثمان يحيى بذكرها في كتابه «مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها»، وهو بالفرنسية ترجمه د. أحمد الطيبي إلى العربية، ونشرته عام ٢٠٠١م الهيئة المصرية العامة للكتاب، وأجمع

في «فتوحاته»<sup>(١)</sup> في (الباب السابع والستين وثلاث مئة) فقال: (ليس عندنا بحمد الله تعالى تقليد إلا للشارع).

كما قال أيضًا (من البحر الحفيف):

لست ممن يقول: قال ابن حزم<sup>(٢)</sup> لا ولا أحمد ولا النعمان  
أي: أنه ليس مقلدًا لأي مذهب.

---

الكتّاب والباحثون المختصون أنّ الشَّيخ الأكبر لم يكن مؤلِّفًا عاديًّا مثل غيره من المؤلِّفين، بل كان يتميز من غيره بالكمِّ والكيف، ووصفه بروكلمان بأنّه من أخصب المؤلِّفين عقلاً وأوسعهم خيالاً، ووردت ترجمته في العديد من كتب التَّراجم.

وفي «الفتاوى» (٢١٥) لابن حجر الهيتمي الشَّافعي يقول عنه: إنّهُ من أولياء الله العارفين، ومن العلماء العاملين، وقد اتفقوا أنّهُ كان أعلم أهل زمانه بحيث إنّهُ كان في كلّ فن متبوعًا لا تابعًا، وأنّهُ في التَّحقيق والكشف والكلام عن الفرق والجمع بحر لا يجارى، وإمام لا يغالط ولا يبارى، وأنّهُ أروع أهل زمانه، وألزمهم للسُّنَّة، وأعظمهم مجاهدة، ومثله الشَّعراني، وابن عابدين، والفيروزآبادي، والعز بن عبد السَّلام، قال عنه الشَّيخ النَّابلسي:

كتبهُ النُّور لمن يبصرها وهي تروي كلّ صادي القلب ري  
من كتاب الله والسُّنَّة قد خرجت تحتال في أبهى حلي

(١) كتاب «الفتوحات» اشتمل على حقائق لا يدركها إلا أرباب النِّهايات، وتضر بأرباب البدايات؛ لذا نهى بعضهم عن مطالعته.

(٢) لأنّهُ اتهم بأنّهُ ظاهري، أي: لست من جماعة ابن حزم الذي أنكر القياس في الدِّين.

وعلى هذا البيت يعلّق ابن العماد<sup>(١)</sup> في «شذرات الذهب»<sup>(٢)</sup> قائلاً: (وهذا صريح في الاجتهاد المطلق، كيف لا وقد قال: عرضت أحاديثه<sup>(٣)</sup> جميعها عليه فكان يقول عن أحاديث صحت من جهة الصناعة: ما قلتها<sup>(٤)</sup>)، وعن أحاديث ضعفت من جهتها - جهة الصناعة الحديثة-: قلتها<sup>(٥)</sup>؟؟ وإذا لم يكن مجتهداً فليس لله مجتهد. إن لا تراه فهذه آثاره) اهـ.

لكنّ المطّلع على بعض رسائله يستدلُّ أنّه كان ظاهريّاً قبل أن يجتهد لنفسه والله أعلم. هذه لمحة عن الجانب العلمي عند الشيخ الأكبر، ولا بد منها قبل إبراز الجانب الصوفي العملي.

كلُّ الصُوفيّة كانوا قبل تصوّفهم علماء وطلاب عِلْم، وكانَّ هذا الطّريق لا يعطى إلّا لطالب العِلْم حتّى يميّز الصّحيح من السّقيم في مبادئ الإسلام... يميز المبادئ الإسلامية عن الدّخيلة.

من كتبه غير التي ذُكرت: «فصوص الحِكم» ورّعه على ٢٧ نبيّاً، ولكلِّ منهم حكمة تحدّث عنها، «شجرة الكون»، «الإعلام بإشارات أهل الإلهام»، كتاب «اليقين»، «مواقع

---

(١) عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ).

(٢) من كتب التّاريخ «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» عشرة مجلدات مرّتبة على السّنين من الهجرة النبويّة.

(٣) التي نقلها في كتبه.

(٤) طبقوا أسانيد صحيحة على أحاديث ليست لها؛ ولذا أنكرها.

(٥) يعني: كان يميز بين الأحاديث الصّحيحة وغيرها من حفظه.

النُّجوم ومطالع الأهلّة الأسرار العلوم»، «رسائل ابن عربي»، «ذخائر الأعلام شرح  
ترجمان الأشواق»، «محاضرة الأبرار»، «التدبيرات الإلهية»، «كشف المعنى في أسماء الله  
الحسنى»، «المعارف الإلهية»، «الفتوحات المدنيّة»، «ماهية القلب»، وله ١٢ كتابًا في  
الحديث الشّريف، و٣ كتب في التّفسير.

## المصادر:

- «هكذا تكلم ابن عربي» نصر حامد أبو زيد.
- «ابن عربي ومولد لغة جديدة» د. سعاد الحكيم.
- «محيي الدين ابن عربي حياته ومذهبه» فاروق عبد المعطي (٤٩ سلسلة أعلام الفلاسفة).

- «جامع كرامات الأولياء» الشيخ يوسف النّبّهاني ١/١٩٨.

- «نفح الطيب» للإمام المقري ٢/٣٦١.

- «سير أعلام النبلاء» للذهبي ٢٣/٤٨-).

- «البداية والنهاية» لابن كثير ١٣/١٥٦.

- «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلي ٣/١٩٠.

- «لسان الميزان» لابن حجر ٥/٣١٠.

- «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ٦/٣٣٩.

- «الوافي بالوفيات» للصفدي ٤/٩٧٢.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الخامس والثمانون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### تصوُّف الإمام ابن عربي

#### (مقالات التَّصَوُّف)

ليعلم الجميع أن الشيخ الأكبر حينما تصوف تصوف على أساس متين من العلم والتبحر في الشريعة إلى درجة الاجتهاد المطلق<sup>(١)</sup> كما أسلفنا.

وقد ذكر بعض أصحاب الطبقات أن سيدي محيي الدين تقلد بعض وظائف الدولة قبل أن يتجرد للتصوف، فالإمام الشعراني يقول في «طبقاته»: (وكان -أي: الشيخ الأكبر- أولاً يكتب الإنشاء لبعض ملوك العرب، ثم تزهد وتعبد وساح، ودخل مصر والشام والحجاز والروم (تركية اليوم)، وله في كل بلد دخلها مؤلفات).

إذن بقي عاكفاً على العلوم والمعارف أينما حلَّ وارتحل حتَّى ظفر بأكبر قدر ممكن من الأسرار، وحتَّى استقر في دمشق سنة ٦٢٠ هـ، وكان أميرها أحد تلامذته.

ولقد كانت العزلة هي نقطة التحول والمنطلق الروحي عند الشيخ الأكبر؛ إذ إنه بينما كان يعمل بالكتابة لبعض ملوك المغرب تجاذبته دواعي الحضرة الإلهية ليرك الكل وينقطع لربه<sup>(٢)</sup>، وأياً ما كان شكل هذا الانقطاع فإن البحث عن الغاية قد ملك عليه قلبه

---

(١) قامة روحية عليا، والحقُّ أنَّه لو ولد في الهند لسمَّوه هناك بالمهاتما؛ أي: الرُّوح العظمى؛ لأنَّه فعلاً منارة من منارات الإسلام، وأحد فلاسفة المسلمين على مرِّ العصور، تشع حقائق وأسرار، ولك أن تقول: بحر كوني يدفع بأواجه على عتبات الكون الدرُّ والجوهر.

(٢) تقدم الكلام على مكانة الخلوة وفائدتها العظيمة.

وعقله، فلم تعد لديه القدرة على المضي في طريقين، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤].

يا إخوة؛ وحدوا وجهاتكم في السير إلى الله وأتقنوا علماً علماً، هذا منهج الإمام الشافعي لا يدخل علماً على علم، وإلا تشتت قلبه ولم يظفر بمراده، «إِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى».

ما حوى العلم جميعاً أحد لا ولو مارسه ألف سنة  
إنما العلم كبحر زاخر فابتغ من كل علم أحسنه  
العلم أكثر من أن يحاط به...

ولقد شاءت الأقدار أن يدخل في محيط الربانيين، وأن ينغمس في النور الإلهي، وأن يأخذ علمه عن الله تعالى بلا واسطة<sup>(١)</sup>، وفيما يتعلق بفترة التعبد والخلوة والتحنث يقول الإمام الشعراني في «اليواقيت والجواهر»:

(ثم إنه طرَّق طارقةً من الله، فخرج في البراري هائماً على وجهه إلى أن نزل بقبر فمكث فيه مدة طويلة، ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التي نقلت عنه، ولم يزل سائحاً في الأرض يقيم في كل بلد بحسب الإذن، ثم يرحل عنها يخلف ما ألفه من الكتب فيها....).

هذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلو في غار حراء، ثم تأتيه الشريعة والوحي الإلهي، فالخلوة لا تأتي إلا بخير.

الإمام الشافعي يقول: (من أراد أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم؛ فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء)<sup>(١)</sup>.

---

(١) ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] علم وهبي، وستمّر هذه المسألة.

وحين خرج سيدي محيي الدين بن العربي من خلوته خرج وقد فتحت له خزائن العلم اللدني وغمره الفيض الإلهي، ولم يكن سلوكه الطريق منذ البدء تلقائياً بلا واسطة، فقد صحب شيوخاً عديدين ترجم لهم في كتاب أسماه (الدرر الفاخرة في ذكر ما انتفعت به في طريق الآخرة) ويصل عدد شيوخ سيدي محيي الدين - كما ذكرهم - إلى خمسة وخمسين شيخاً.

### الرّحلة الأولى له في الأندلس وما حولها:

من أبرز الشيوخ الذين أخذ عنهم شيخنا سلطان العارفين القطب العارف سيدي محيي الدين من ذكره الشيخ محمد رجب حلمي في كتابه (البرهان الأزهر في مناقب الشيخ الأكبر) معرفاً ببعض شيوخه يقول:

(وأخذ العلوم الباطنية عن حضرة العارف بالله الشيخ أبي مدين المغربي<sup>(١)</sup>، وجمال الدين يونس بن يحيى القصار، وأبي عبد الله التميمي، وأبي الحسن بن جامع، بالذات،

---

(١) «بستان العارفين» للإمام النووي (ص ٤٧).

(٢) قطب الأقطاب أبو مدين الغوث شبيب بن الحسن، وهو الرّجل الثّاني بعد سيّدنا عبد القادر الجيلاني في تسلسل الشّاذلية، والثّالث: عبد السّلام ابن مشيش، والرّابع: هو أبو الحسن الشّاذلي، أجمعوا على تعظيمه وإجلاله، عرف بولده مدين، عاش ٨٠ سنة، آخر كلمة قالها وهو في المسجد: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]، الله الحي، ثم فاضت روحه، وله مقام وضريح زرتة مراراً وتبركت به، مات في تلمسان، من أشهر قصائده:

ما لذّة العيش إلا صحبة الفقرا      هم السّلاطين والسّادات والأمرأ  
أحب لقا الأحباب في كلّ ساعة      لأنّ لقا الأحباب فيه المنافع



وأخذها بالواسطة<sup>(١)</sup> عن حضرة الغوث سيدنا عبد القادر الجيلاني<sup>(٢)</sup>، وحصل له الفيوضات الغزيرة والفتوحات الكثيرة).

ومن شيوخه أيضًا الإمام العارف أبو العباس المريني، والشيخ أبو محمد بن عبد الله، وعنه يحدثنا سيدي محيي الدين قائلًا: (دخلت على شيخنا أبي محمد بن عبد الله بقرنطة سنة خمس وتسعين وخمس مئة، وهو من أكبر من لقيته في هذا الطريق، ولم أر في طريقته مثله في الاجتهاد، وكان ممن أوتوا فهمًا في القرآن إرثًا محمديًا، فقال لي: الرجال أربعة:

\*رِجَالٌ ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وهم رجال الظاهر.

\*وَرِجَالٌ ﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] وهم رجال الباطن،

جلساء الحق تعالى، ولهم المشورة.

---

وكان المنجد ينشد له:

عيدوا علي الوصال عيدوا      فَإِنَّ شوقي لكم يزيد  
الله قل وذر الوجود وما حوى      إن كنت مرتادًا بلوغ كمال

(١) التقاء أرواح المؤمنين ثابت في عالم البرزخ، ففي الحديث: «أَحْسِنُوا كَفَنَ مَوْتَاكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ وَيَتَزَاوَرُونَ بِهَا فِي قُبُورِهِمْ» أخرجه الترمذي وابن ماجه بإسناد حسن، وفي آخر: «إِنَّهُمْ لِيَتَعَارَفُونَ كَمَا تَتَعَارَفُ الطَّيْرُ فِي رُؤُوسِ الشَّجَرِ» ذكره ابن أبي الدنيا، وفي آخر: «إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تَلْتَقِي عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ مَا رَأَى أَحَدُهُمْ صَاحِبَهُ قَطُّ» أخرجه أحمد والطبراني، ودخل محمد بن المنكدر على جابر بن عبد الله وهو يموت، فقال له: اقرأ على رسول الله السَّلام، وحديث: «الرُّوحُ لَا تَلْقَى الرُّوحَ» ضعيف لا اضطراب سنده.

(٢) توفي بعد ولادته بعامين.

\*ورجال الأعراف، وهم رجال الحد، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾

[الأعراف: ٤٦] وهم أهل الشم والتمييز، والسراح عن الأوصاف، فلا صفة لهم، كان منهم أبو يزيد البسطامي.

\* ورجال إذا دعاهم الحق يأتون رجالاً؛ لسرعة الإجابة لا يركبون، قال

تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحُجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧] وهم رجال المطلع..... اهـ.

ومن شيوخه أيضًا الإمام العارف سيدي يوسف الكومي، ولسيدي محيي الدين معه

هذا الموقف العرفاني الذي يرويه قائلًا: (سألني شيخي يوسف الكومي سنة ست وثمانين

وخمس مئة عن مسألة من مشكلات التصوف فقال: إذا اجتمع عارفان في حضرة شهودية

عند الله تعالى؛ ما حكمها؟ قلت: يا سيدي؛ هذه مسألة تفرض ولا تقع؛ لأن الحضرة لا

تسع اثنين ولا تشهدها عين زائدة، فإن افترضناها مثالًا: فاذا اجتمعا فلا يخلو كل واحد

منهما أن يجمعها مقام واحد أو لا يجمعها، ثم حكم التجلي من حيث الظهور واحد،

ومن حيث المتجلي له مختلف، فالذوق متباين لاختلافهما في أعيانها، ولا يجتمع شهود

وخطاب وتجل ورؤية غير).

أرأيتم هذا المنطق العرفاني النضاح بالنور الذي فاض به لسان الشيخ الأكبر مع

شيخه؟ إنه حديث العارف الذائق، وما أجمله من حديث ذي شجون بين الشيخ وشيخه!

فسبحان من أعطى وأنعم!!

ثم لا ننسى ونحن بصدد الحديث عن شيوخ الشيخ الأكبر أنه التقى في مطلع شبابه

بأم روحية له في الطريق؛ وهي السيدة فاطمة بنت المثني القرطبية، فكان يخدمها وكان لها

من العمر آنذاك خمس وتسعون سنة، على حين أن الذي يراها يحسبها بنت أربع عشرة

سنة، وكانت من القانتات العارفات بالله، يقول سيدي محيي الدين: (وكانت تقول لي: أنا أمك الإلهية<sup>(١)</sup>)، ونور أمك الترابية، وإذا جاءت والدتي لزيارتي تقول لها: يا نور؛ هذا ولدي فبريّه ولا تعقيه!!). يعني: كأنها كانت تعرف المستقبل الباهر الذي ينتظر ولدها، فإساسة صادقة أو إلهام غريزي.

ثم يذكر لنا الشيخ الأكبر أن له سندًا في الطريق عن سيدنا الخضر<sup>(٢)</sup> عليه السلام عن طريق شيخه علي بن عبد الله بن جامع حين زار الموصل، فيقول في الجزء الأول من «الفتوحات»: (واجتمع به - أي: بالخضر - رجل من شيوخننا؛ وهو علي بن عبد الله بن جامع، من أصحاب علي بن المتوكل وأبي عبد الله قضيب البان، كان يسكن بالمقلى خارج الموصل في بستان له، وكان سيدنا الخضر قد ألبسه الخرقة<sup>(٣)</sup> بحضور قضيب البان<sup>(٤)</sup>،

---

(١) أي: في الدين الأم الربانية.

(٢) اسمه بلياء، كان من أبناء الملوك، وجمهور العلماء ومنهم الإمام النووي وابن الصّلاح أنّه حيٌّ موجود بين أظهرنا، وهو ما اتفق عليه الصّوفيّة وأهل المعرفة، والذين أنكروه هم المحدثون، والصّحيح الصّواب أنّه حي، والقرطبي في «تفسيره» صحح حياته (ج ١١ ص ٤١)، والمرجح أنّه نبي، ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وفي البخاري أنّ اسمه الخضر.

(٣) الخرقة: لباس يلبسه المريد من شيخه الذي دخل في إرادته، وفي لبسها معنى المبايعه، فهي تمثل عتبة دخول المريد في صحبة الشيخ الذي يتولى تربيته وتهذيبه وأخلاقه وتقويم سلوكه، والظاهر أنّها كانت من صوف، وكان اشتهارها بين القرن الخامس والسّابع حيث يندر أن يذكر عالم من دونها، والقرن السّابع هو ذروة التّصوف في العالم الإسلامي، والخرقة زينة لأولياء الله يعزُّ بها العوام فيحترّمهم الخلق، ويعزُّ عليهم إتيان المعاصي، ويعتقدون أنّها تذهب الكبر، وتقرب إلى

وألبسنيها الشيخ بالموضع الذي ألبسه فيه سيدنا الخضر في بستانه، وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إياها). سنة ٦٠١ هـ وكان عمره ٣٩ سنة.

لقد كان هناك اتصال مباشر للشيخ الأكبر بسيدنا الخضر وتلقى عنه<sup>(٢)</sup>؛ إذ روى الإمام الشعراني في (الكبريت الأحمر)<sup>(٣)</sup> أن سيدي محيي الدين قال في (الباب الخامس

---

الحق، مع الاقتداء بسيدنا عمر؛ لأنه كان يلبس مرقعته، وكان إذا لبس غيرها يقول: أنكرت نفسي.

لبس الخرقه ارتباط بين الشيخ والمريد، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه، وهي محلُّ بركة، يسري حال الشيخ من باطنه إلى باطن المريد، وفيه إشارة إلى قميص سيدنا يوسف الذي يرتد به بصيرًا، ويذهب عنهم العمى الذي حصل على من أحب الدنيا والتصرف فيها، يتم عبر مراسم بين الشيخ ومريده وجماعة من الحضور، فيتطهر المريد والشيخ، ثم توضع الخرقه بين أيديهما، ويقرأ الشيخ الفاتحة، ثم يقوم بإلباسها للمريد، ويبيّن له سنة وصولها إليه، ثم يأخذ عليه عهد الوفاء لشروطها، ويعرفه حقوق الخدمة، ولبس الخرقه خاص بالرفاعية والسهروردية والقادرية، ينتهي نسبها إلى سيدنا علي بن أبي طالب، والأصح أنّها لا تنسب إليه، بل إلى سيدنا الحسن البصري، وعلى كلِّ هو مباح، وليس سنة وطريقاً إلى الله.

(١) الحسين بن عيسى (٤٧١-٥٧٣ هـ) صهر سيدنا الجيلاني، من الأبدال، من محافظة نينوى، كردي

موصلي زاهد، وفي عام ٢٠١٤ قامت داعش بتفجير الصريح والجامع الخاص به.

(٢) أصبح ابن عربي تلميذاً للشيخ لا مرثي، وهو الشيخ الباطني، وكلُّ المتصوّفة الذين ليس لهم مرشد مرثي - أي: دنيوي مثلهم هم حاضر وه - يدعون بالأوسيين.

(٣) هو المختصر لـ «الأنوار القدسية» الذي اختصر فيه «الفتوحات» لابن عربي.

والعشرين) من «الفتوحات»: (كنت لا أقول بلباس الخرقة التي يقول بها الصوفية حتى لبستها من يد الخضر عليه السلام تجاه باب الكعبة).

وحتى لا يرتاب أحد في مشروعية لبس الخرقة قال الإمام الشعراني عقب هذا الكلام مباشرة: قلت: ذكر الحافظ ابن حجر أن حديث لبس الخرقة متصل ورواته معروفون كما أوضحت ذلك في «مختصر الفتوحات»، والله أعلم.

ويخلص لنا من كل ما سلف أن الشيخ الأكبر قد تربى في رياض الصوفية تربية الأكاابر على يد الأكاابر، ثم ارتقى إلى مرتبة التفرد المطلق والاتصال المباشر، فجاءته البشارة المؤذنة بالاتصال الكامل والمباشر، يقول رضي الله عنه: (ولقد أنعم الله علي ببشارة عظمت بشري بها وكنت لا أعرفها، فأوقفني عليها الإمام خليفة القطب، فقد نهاني عند التقائي به عن الانتماء إلى من لقيت من الشيوخ، وقال لي: لا تنتم إلا إلى الله، فليس لأحد ممن لقيت عليك يدٌ مما أنت فيه، بل الله تولاك برعايته وعنايته، فاذكر فضل من لاقيت إن شئت ولا تنتسب إلا إلى الله) لقد صار عبداً إلهياً لا نسبة له إلا إلى مولاه.

وتوالت عليه الإمدادات والفتوحات، وذاق الأحوال والمقامات.. وأصبح لا تمر عليه ساعة إلا وهو في مزيد من الترقى والعروج، ولقد تحقق بجميع أحوال الصوفية ومقاماتهم التي أحصاها بنفسه في «الفتوحات» فبلغت ستين ألفاً، استمع إليه وهو يقول: (وقد دخلنا في كل ما ذكرناه في هذه الإمدادات الإلهية ذوقاً مع عامة أهل الله، وزدنا عليهم باسم إلهي هو «الآخر» أخذنا منه الرياضة وروح الله الذي يناله المقربون من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] ونلت هذا المقام في دخولي هذه الطريقة سنة ثمانين وخمس مئة) أي: وعمره عشرون

عامًا!! لأنَّ القول الثَّاني لولادته هو ٥٦٠هـ وليس ٥٥٨هـ، يا ترى هل دخل الإمام في هذه المقامات كلها خلال عشرين سنة!، يا ترى متى كانت أيام لعبه ولهوه؟!، فاعتبروا يا طلاب العِلْم، ٥٠٠ مؤلَّف خلال ٨٠ سنة، تعالوا نوزعها على أيام عمره، إذا قسمناها على سنين عمره يكون قد ألَّف في كلِّ سنة منذ ولادته ستة مؤلِّفات، وتذكروا أنَّ مؤلِّفًا منها هو «التَّفسير» ٩٥ مجلِّدًا، وكتاب «التَّاريخ» عشرة مجلِّدات، و«الفتوحات» ١١ مجلِّدًا، مع سَفَره في العالم الإسلامي مرَّتين غير السَّياحة في بلاد المغرب.

ثم لقد تحقَّق سيدي محيي الدين بمقام (الصدقية العظمى)<sup>(١)</sup> وهو المقام الذي يراه جل الصوفية خاتمة مقامات الولايات وأعلاها، بيد أنَّه بعد أن حظي بها وجد أن ثمة مقامًا فوقه أعلى منه، هو فوق الصديقية ودون النبوة مباشرة، ويسمى (مقام القربة) وهو مقام سيدنا الخضر على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

وعنه يحدثنا الشيخ الأكبر رحمه الله قائلًا: (هذا المقام دخلته في شهر المحرم سنة سبع وخمس مئة وأنا مسافر بمنزل إنجيل ببلاد المغرب، فتهت في هذا المنزل فرحًا ولم أجد فيه

---

(١) المراد من سلوك طريق التَّصوُّف ترقِّي النَّفس شيئًا فشيئًا إلى المقام الأكمل حتَّى يصل إلى مقام الصِّدِّيَّة الذي هو مقام الولاية الكبرى، والخلافة العظمى، ومنه تنشأ جميع منازل السَّالِّكين، وعوام المسلمين لا يعرفون منه إلَّا مقام الصِّدِّق في الأقوال، ولكنَّ مفهومه عند الصُّوفيَّة عامٌّ يشمل صدق القلب، وصدق الأفعال والأحوال، ونستطيع أن نعرِّفه أنَّه استواء السِّر والعلانية، والظَّاهر والباطن، ومقام الصِّدِّيَّة درجات بلغ أقصاها سيِّدنا أبو بكر: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدِّقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣] وفي الحديث جعل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصِّدِّقَ مِفْتَاحَ الصِّدِّيَّةِ: «وإنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا».

أحدًا غيري، فاستوحشت من الوحدة وتذكرت دخول أبي يزيد بالذلة والافتقار<sup>(١)</sup>، رضي الله عنه وعن سيدي أبي يزيد المقربين في مقام القربة، وقربنا بهما إليهما ومعهما انتهاء لجنابهما الشريف.

تلك هي أبرز مقامات الشيخ الأكبر، وذلك هو مركزه الشامخ في الولاية، لتطلع إليه من بعيد وهو يحتل قمة التصوف والتحقيق وأنى لنا الرؤية؟!!

هل نسينا أن البصر أعجز من أن يحدق في الشمس الصغرى - شمس الدنيا؟ وأن البصيرة أعجز من أن تحدق في الشمس الكبرى - شمس الولاية؟ وهل لدينا من القدرة ما نخترق به تلك الحجب وهذا البون الشاسع ما بين السماء والأرض؟ رضي الله عنه.

عذرا يا شمس الولاية فإننا نحن عاشقون لضياك، فلتسمح لنا في أن نتعرف إليك في أعلى عليائك.

نعود إلى رحلتنا مع الشيخ الأكبر عبر مسافات التاريخ فنذكر أنه أقام في إشبيلية فيما بين عامي ٥٦٨-٥٨٩هـ، وخلال هذه العشرين عامًا -أو تقول: ٣٠ عامًا منذ ولادته- صعد الشيخ إلى القمة وتربع عليها، كما أنه خلال هذه الفترة قام بعدة سياحات داخل بلاد المغرب، زار خلالها عديدًا من المدن والبلدان؛ مثل: مورور والزهراء وقرطبة وتونس وفاس وسنبلة وغرناطة، وكلها سياحات صوفية التقى فيها بشيوخه وحظي بأحواله ومقاماته.

الرحلة الثانية من سياحة الإمام إلى مصر والحجاز والعراق:

---

(١) لا يصل أحد إلى الله إلا بمقام الذلة والافتقار، فانظر ماذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم لما خيره الله بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا؟ اختار نبيًا عبدًا.

ثم في سنة ٥٨٩هـ - وفي رواية: (٥٩٧-٦٢٠) = كان عمره ٣٦ سنة - ارتحل إلى بلاد  
المشرق حاجاً إلى بيت الله الحرام (١٢٠١م)<sup>(١)</sup>.

وفي مكة التقى بالشيخ أبي شجاع<sup>(٢)</sup> أمام مقام سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة  
والسلام، وبنى الشيخ الأكبر بابنته<sup>(٣)</sup> الصوفية الصالحة.

وفي مكة أيضاً ألف سيدي محيي الدين ديوانه الشعري (ترجمان الأشواق)<sup>(٤)</sup> الذي يعد  
آية في الشعر الرمزي والذوق الصوفي الرفيع؛ كما ألف أعظم موسوعة صوفية في الإسلام

---

(١) ارتحل الشيخ الأكبر إلى المشرق يؤكد لنا على عظمة المشرق الرُّحية؛ لأنَّ الغرب قد غرق في  
أحوال المادة والتَّرف والعنف (صراعات سياسية ضد القوى الأوربية الآتية من الشَّمال مهددة  
الوجود العربي بالأندلس) ونسي رسالته الحضارية التي أتى بها علماءه، رحل إلى المشرق ليغذي  
ينابيع التَّصوُّف التي خرج منها الإمام السَّهروردي في القرن الثاني عشر الميلادي (ت ١١٩١م)  
والإمام أبو يزيد البسطامي (ت ٢٦١هـ)، وفريد الدِّين العطار النِّيسابوري (ت ١٢٢٠) الذي حمل  
جلال الدِّين الرُّومي بين يديه حين كان طفلاً وتنبأ له بمستقبل صوفي كبير، والتقى بالإمام الشَّيخ  
الأكبر في بلاد الأناضول، وهذه حقيقة: حين وطأت قدماه تراب دمشق حوَّلتها ذهباً، وحين ترك  
رفاته فيها ترك بركته على هذه المدينة المقدَّسة.

(٢) شيخ إيراني، وقور جليل، من أهل العقل، والعلم، والخلق، والصَّلاح.

(٣) اسمها نظام، كان فيها من الميزات الرُّوحية الحظ الأوفر، ونقلوا أنَّها أسهمت معه في تصفية حياته  
الرُّوحية، وتعلَّم منها مذهب العاشقين.

(٤) خصَّصه لمذح نظام التي عرفها في مكة سنة ٥٩٨ عندما قدم إليها لأوَّل مرَّة من المغرب.



وهي (الفتوحات المكية) وتقع في أربعة مجلدات عظيمة (طبعت في تسعة مجلدات) تشتمل على خمس مئة وستين باباً<sup>(١)</sup>، وهي مقسمة ستة أقسام:

أولها: في المعارف. عقد فيه أبواباً: في معرفة الرُّوح، في معرفة مراتب الحروف، في معرفة الحركات، في معرفة بدء الخلق، في معرفة الأرض، في معرفة الأرواح النارية، في معرفة دورة الملك، في معرفة الأقطاب، عقد له عدّة أبواب...

وثانيها: المعاملات؛ الأخلاق والسلوك.

وثالثها: في الأحوال، (الباب ١٩٠): معرفة المسافر إلى الله والسفر والحال وأسراره.

ورابعها: في المنازل<sup>(٢)</sup>.

وخامسها: في المنازل<sup>(٣)</sup>.

وسادسها: في المقامات<sup>(٤)</sup>، وهو من سرِّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...﴾ [الشورى: ٥١] وهو من الحضرة المحمّديّة.

---

(١) أصلها رسالة سمّاها: «الفتح المكي»- ما فتح الله عليه من أفكار في مكّة- ثم أكملها إلى أكثر من ٤٠٠٠ صفحة، وقرأه الشيخ الهاشمي على طلابه، وشيخنا الشاغوري قرأه علينا، ووصل إلى المجلد الثاني ص ٣١٢.

(٢) منازل القمر الثمانية والعشرين، وكما تتفاضل المنازل الجسائية كذلك تتفاضل المنازل الرُّوحية، وما تحويه من أمهات العلوم، وهو (الباب ٣٣٠).

(٣) (الباب ٣٨٤): المنازل الخطابية القرآنية، فيما شرعه الله قولاً وفعلاً.

(٤) أقطاب-أوتاد-أبدال-عارفين، موزعة على ٥٦٠ فصلاً، أحدث طبعاتها ٨ مجلدات كبار، وأقدم طبعة في أربعة مجلدات طبعها الأمير عبد القادر الجزائري، وأحسن نسخة نشرت عنه محققة

ومن عظمة الكتاب أنّ فهرسته بلغت ٦١ صفحة.

ومن أراد أن يقف على مكانة الشيخ الأكبر في علوم القوم وأذواقهم ويطلع على قمة الذوق الروحي والعلم اللدني<sup>(١)</sup> ويعرّف منزلة هذا الإمام في الاطلاع على الأسرار الإلهية؛ فليطالع كتاب «الفتوحات المكية» الذي يؤكد لنا أن سيدي محيي الدين هو ترجمان الصوفية الأكبر بحق، وحسبنا شهادة سيدي عبد الوهاب الشعراني لهذا الكتاب<sup>(٢)</sup> إذ يقول:

(طالعتُ من كتب القوم ما لا أحصيه وما وجدت كتباً أجمع لكلام أهل الطريق من كتاب «الفتوحات المكية»...).

ثم يقول الإمام الشعراني بعد أن أشار لما تضمنه كتاب «الفتوحات» من معارف: (وقد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم منها في كتابنا المسمى «تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء» فإن علوم الشيخ كلها مبنية على الكشف والتعريف، ومطهّرة من الشك والتحريف)<sup>(٣)</sup> اهـ

---

ومعتمدة في الدراسات الجامعية نشر د. عثمان يحيى، وتعدّ طبعة نادرة، نشرتها دار الكتب العلمية، سنة ٢٠٠٦، في ٤٠٠٠ صفحة، وزنها ٥-٦ كغ.

(١) يقول فيه الإمام ابن عربي: واعلم أنّ جميع ما أتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنّما هو من حضرة القرآن وخزائنه؛ فأني أعطيت مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه.

(٢) الإمام الشعراني (ت ٩٧٣هـ) اختصر كتاب «الفتوحات»، وسماه «لواحق الأنوار القدسيّة»، ثمّ حلّصه ثانياً وسماه «الكبريت الأحمر»، ولم يخرج عن ترتيب الشيخ على ٥٦٠ باباً.

(٣) سأذكر لكم بعد قليل كيف دسّ أعداؤه في كتبه ضلالات كُشفت عن طريق مقابلة المخطوطات.

هذا عن كتاب «الفتوحات» وهو أحد مصنفات الشيخ التي بلغت خمس مئة كتاب كما يقول صاحب «البرهان الأزهر»: (وقد بلغت مصنفات الشيخ زهاء خمس مئة وإنه ليتمثل بها بين العامة).

ولقد نشر الأستاذ كوركيس عواد إحصاء المؤلفات الخمس مئة للشيخ الأكبر في مقالات نشرها بمجلة المجمع العلمي بدمشق، وذكر الإمام الشعراني في «اليواقيت» أن الشيخ مجد الدين الفيروزابادي قال: (وقد رأيت إجازة بخط الشيخ - محيي الدين - كتبها للملك الظاهر بيبرس صاحب حلب، ورأيت في آخرها: وأجزت له أيضًا أن يروي عني جميع مؤلفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفًا وأربع مئة مؤلف؛ منها «تفسيره الكبير» في خمسة وتسعين مجلدًا وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] فاصطفاه لحضرتة.. أي: توفي بعدها الإمام.

### الحلول والاتحاد:

والآن نتكلم على القضية الأخيرة التي اتهم بها سيّدنا ابن عربي زورًا وهبتانًا لعبارات وجدوها في كتبه، دسّها الزنادقة كما دسّوا على سيّدنا أبي يزيد البسطامي، والإمام الجيلاني، وابن الفارض؛ ليشوهوا حقيقة الولاية عندهم، وانقسم العلماء بناء على تلك العبارات قسمين:

القسم الأوّل: تسرعوا وأطلقوا ألفاظ الكفر على الإمام ابن عربي.

والقسم الثّاني: كانوا منصفين، وقالوا: إنّ من يقول هذه العبارات زنديق أو كافر، ولم يتّهموا الإمام ابن عربي كما فعل القسم الأوّل، بل حكموا على الكلمة أنّها مكفّرة.

والذي عرّفنا أنّ هذه العبارات مسدوسة على الإمام ابن عربي شيّتان:

الأوّل: وجود عبارات مناقضة لهذه العبارات المدسوسة في ثنايا كتبه تدلنا دلالة واضحة على أنّ هناك يدًا عبثت بالكتاب حتى اختلفت عباراته وتناقضت.  
الثاني: عدم وجود هذه العبارات في المخطوطة التي كتبها الإمام بخط يده.  
فما هذه التّشويّهات التي اتهم بها الإمام؟، إنّها القول بالحلول والاتحاد.  
وقبل الدّفاع وإظهار حقيقة الأمر دعونا نعرّف هذين الكلمتين -أو المصطلحين-  
ونبين من أين أتيا؟.

الحلول والاتحاد مصطلحان بوزيان هنديان من الوثنيات اليونانية واليهودية.  
(الحلول): أن يحلّ شيء في آخر؛ كحلول ماء الورد في الورد، أو حلول الماء في الكوز.  
ويريدون به حلول الله عزّ وجلّ في بعض مخلوقاته، ويعبرّون عن ذلك بقولهم: حلول  
اللاهوت (الإله الخالق) بالناسوت (المخلوق)؛ كاعتقاد بعض الفرق الضّالة أنّ الله عزّ  
وجلّ حلّ في علي بن أبي طالب، وفي ذريته من الإمام الحسين ومن بعده.  
وقد ادعى ذلك الحاكمُ بأمر إبليس الفاطمي، قال: إنّ دوره قد جاء ليحلّ فيه الإله،  
فادعى الألوهية، وحمل بعض النّاس على عبادته، وقام ابنه بعد وفاته فكذبه وفضح كفره.  
و(الاتحاد): معناه كون الشّيئين شيئاً واحداً، واختلاطهما حتّى يصيرا شيئاً واحداً.  
ويريدون به اتحاد الله بمخلوقاته؛ أي: أنّ وجود الكائنات هو عين وجود الله، ومعناه:  
القول بوحدة الوجود باعتقاد كون الوجود هو عين وجود الله، يقولون: اللاهوت اتحد  
بالناسوت فصارا شيئاً واحداً.

فصار عندنا مصطلحان: حلول واتحاد، وكلاهما كفر من وثنيات الهند واليونان  
واليهود.

(وحدة الوجود): أن تجعل الله والخلق شيئاً واحداً، الإنسان والإله في مرتبة واحدة.

فعلى هذه الفرية يتَّهمون ابن عربي أنَّه يقول: ليس هناك خالق ولا مخلوق، فكل ما يراه الإنسان هو الخالق في صور متعدّدة: الجبل، والشَّجر، والدَّواب، والرَّجل، والمرأة، كلُّهم عنده صور لله، ونقلوا عنه ألفاظًا لا يقوها مسلم.

وعلى هذه الفرية من عبد فرعون ناجٍ، ومن عبد العجل ناجٍ، ومن عبد عيسى ناجٍ، فلا حساب ولا عقاب عليه.

وحدة الوجود تعني: أنَّ كلَّ هذا العالم بما فيه هو أجزاء من الله تعالى، حتَّى إنَّ أحدهم يقول: أنا الله وأنتَ الله، وقد حُكِمَ على الحلاج بالإعدام يوم أن قال: ما في الجبَّة إلاَّ الله.

والحلول: أنَّ يحلَّ الله في قلوب عباده وأجسادهم، والعقيدتان كفريتان. والذي زاد الطين بلَّةً أنَّ يقوم أحد شيوخ الطرق اليسرطية فيفتري على الشَّيخ الأكبر أنَّه قاله.

هذا الشَّيخ اليسرطي ألَّف كتابًا سماه: «الإلهامات الإلهية على الوظيفة اليسرطية»، ونصَّ عبارته: (قال سيِّدي محيي الدِّين بن عربي في كتابه «شرح الوصايا اليوسفية»: يجب على المرید أن يعتقد في شيخه أنَّه المتحكّم في موته وحياته، وأنَّ الله تجلّى في صورته)، وهذا ليس من دين الله، وهو مناف للتَّوحيد، مدسوس على ابن عربي، غرَّ هذا الجاهل اليسرطي، ولم يحتكم إلى الشَّرع في عبارته.

ومن المدسوس على الشَّيخ الأكبر ما نقل في «الفتوحات»: (إنَّ عذاب الكفار في النَّار ينقلب عذوبة، فيتلذذون به بعد انقضاء مدَّة الآلام)، فهو أمر مبني على الكشف، وليس إلهام الوحي من أسباب العِلْم القطعي، فهو ليس بحجَّة كما ذكر النَّسفي، والمنام أقل

شأنًا، وقد قال الإمام الجنيد: (ربما تخطر لي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة)، والنكتة هي الوارد أو الإلهام.

والسؤال المهم الذي يسأل: هل في كتابات ابن عربي ما يكذب هذه الفرية الكفرية؟  
والجواب: الإمام ابن عربي له أكثر من تصريح في «الفتوحات المكية» بكفر من يقول بالحلول والاتحاد، وهؤلاء المكفرون ما قرؤوا كتبه ليكتشفوا زيف ما نقل عليه، بل كانوا كحاطب ليل ينقلون كل ما يقال لهم، و«كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع».  
في (باب الأسرار) من «الفتوحات» قال: (من قال بالحلول؛ فهو معلول، فإن القول بالحلول مرض لا يزول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد؛ كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول).

أنا تكفيني هذه العبارة في التصريح الواضح على براءة ابن عربي، ولكن الله أراد تبرئته رضي الله عنه.

وقد صرح العلماء الذين قرأوا كتب ابن عربي بأن هذه النقول مدسوسة على الشيخ بعد مقابلتها بالمخطوط؛ منهم الإمام الشعراني، وشهادة الإمام الشعراني مهمة؛ لأنه قرأ كتبه واختصر بعضها، وقد قال: (وليحذر من مطالعة كتب الشيخ محيي الدين بن العربي؛ لما فيها من الكلام المدسوس على الشيخ لا سيما في «الفصوص» و«الفتوحات»)، بل قال أحد فقهاء الحنفية: (تيقنًا أن اليهود دسوا عليه)، وكذا قاله الإمام أبو الهدى الصيادي شيخ السلفية العثمانية.

إن الإمام الشعراني اختصر كتاب «الفتوحات» في كتابه «الأنوار القدسية»، وقد قدم لنا تقريرًا مهمًا يفيدنا في قضيتنا اليوم، قال فيه: (وقد توقفتُ حال الاختصار في مواضع

كثيرة منه، لم يظهر لي موافقتها لما عليه أهل السنة والجماعة، فحذفتها من هذا المختصر، وربّما سهوت، فتبعت ما في الكتاب كما وقع للبيضاوي مع الزمخشري، ثمّ لم أزل كذلك أظنُّ أنّ المواضع التي حذفت ثابتة عن الشيخ محيي الدين حتّى قدم علينا الأخ العالم المدني المتوفى سنة ٩٥٥هـ، فذاكرته في ذلك، فأخرج إليّ نسخة من «الفتوحات» التي قابلها على النسخة التي عليها خط الشيخ محيي الدين نفسه بقونية، فلم أر فيها شيئاً من النسخة التي دسّوا على الشيخ فيها ما يخالف عقائد أهل السنة والجماعة كما وقع له ذلك في كتاب «الفصوص» وغيره)، هذه الشهادة من أهمّ شهادات تبرئة الإمام.

واسمعوا ماذا يقول الشيخ الأكبر نفسه في (الباب التاسع والتسعين والمئة) من «الفتوحات» يقول: (القديم لا يكون قط محلاً للحوادث، ولا يكون حالاً في المحدث)، فمن المحال أن يتحد الله في خلقه، أو يحلّ في خلقه؛ لاستحالة اشتراك صفات القديم مع صفات المحدث.

مقام الواحد يتعالى أن يحلّ فيه شيء، أو يحلّ هو في شيء، أو يتحد في شيء، ثم قال: (الرّبُّ لا يجتمع مع عبده في مرتبة واحدة أبداً).

فهذه عدّة شهادات، وكلُّ من يتهم ابن عربي هو متجنّ عليه، يكذب عليه وعلى الأمة الإسلامية، وإن ابن عربي بريء من هاتين الكفريتين براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

ثمّ اعلموا أنّه لم يقل أحد من الصّوفية إطلاقاً بوحدة الوجود، بل هذا من عند الفلاسفة المستشرقين، وليس من عند المسلمين، والإمام اليافي في «ديوانه» يقول:

جلّ عن حلول وعن اتحاد وعن العقول في فهم المراد

والصّوفيّة كلهم على هذه العقيدة، فلا تنسبوا لنا ما أنكرناه.

المسلمون عندهم وحدة الشُّهود؛ وهي ألا يشهدوا غير الله خالقًا ورازقًا، فهو الممد لكلِّ الممكنات بالوجود.

والصُّوفي يكون في حال شهود لله، فيقول: لا أرى شيئًا غير الله، فتلك حال من الفناء. ابن عجيبة يقول: (إنَّ الفناء هو أن تبدو لك العظمة فتنسبك كلَّ شيء، وتغيبك عن كل شيء سوى الواحد الذي ليس كمثله شيء)، وليس معه شيء، أو تقول: هو شهود حق بلا خلق، يعني: ألا تشهد إلا الله خالقًا، ورازقًا، وشافيًا، وممدًا، تفنى به، وتنجذب إلى حضرته.

الصُّوفي لم يُثبت مع الله شيئًا؛ يعني: الوجود بحق هو لله تعالى وحده، تقول في العقيدة: الله واجب الوجود، وما سواه مفقود، وليس للخلق إلا وجود اعتباري؛ لذلك يمكن القول: لا وجود إلا للحق تعالى وحده، هو القائل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وهذا يعني: وحدة الشُّهود، وهي عقيدة صحيحة، فعندما تقول: (أشهد أن لا إله إلا الله) فقولك هذا قريب جدًا من قول الصُّوفي: لا أرى شيئًا غير الله.

ولذلك كان الإسلام هو وعي هذه العلاقة القائمة على أساس أن لا وجود لغير الحق إلا بالحق، وهو ما يعبر عنه قول الصُّوفي: (لا أرى شيئًا إلا وأرى الله فيه)، ماذا تقول السَّيدة رابعة؟:

وما شربت لذيذ الماء من ظمًا      إلا وجدت خيالًا منك في الكأس

أعرف أن هذه النعمة منك... هذه وحدة الشُّهود.

كلُّ هذا الكون سيفنى ولا يبقى إلا الله تعالى، فالوجود الحقيقي له تعالى، وهذه العقيدة بناها الإمام الغزالي والإمام الجيلاني، وهي درجة الصِّديقية؛ أن يفنى بالكلية عن



نفسه وأحواله؛ أعني: أنّه ينساها، فلا يبقى له التفات إليها، فيسمع بالله، وفي الله، ومن الله.

سأعبر لكم عن وحدة الشهود تعبيراً تعرفونه جميعاً، انظروا إلى حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف حتىّ العشق، وسقط إحساسهن من شدة شهود جمال سيّدنا يوسف، حتىّ نسين كلّ شيء وغبن عن وعيهنّ حال وحدة الشهود، وأشد من حال هؤلاء النسوة من يفنى عن نفسه وعن الخلق، ويبقى بالله وحده.

ولكن أعداء الصوفية رفعوا ألوية التشهير بسيدي محيي الدين؛ للدس عليه من جهة ولعلو أذواقه وإغلاق عباراته وتأبيها على مدارك غير الخاصة من جهة أخرى، ولما وقع الإنكار على الشيخ قيض الله له من يرد عنه، فقد صنف الإمام جلال الدين السيوطي كتاباً يرد فيه على المنكرين على الشيخ الأكبر، وسماه: (تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي) وشهد له أئمة العام والولاية بفضله وسمو منزلته في معاريج التحقيق، وحسبنا أن نعلم أن الذي سماه بالشيخ الأكبر ولقبه بسُلطان العارفين إنما هو القطب أبو كدسين المغربي؛ كما ذكره الإمام الشعراي في «طبقاته»: هو سيدي مصطفى البكري في «السيوف الحداد». وناهيك بشهادة الإمام فخر الدين الرازي الذي كان يقول: (كان الشيخ محيي الدين ولياً عظيماً).

وبالإمام السهروري الذي كان يقول عن سيدي محيي الدين: (إنه بحر الرقائق) وقد التقى به في العراق عندما رحل إليها سنة ١٢١١م في اجتماع صامت لم يتكلما بكلمة، وحين افترقا قال عنه السهروردي: إنّه بحر الحقائق، وقال هو عن السهروردي: مملوء سُنّة من الرّأس إلى قدمه.

ثمَّ زار عددًا من المدن، وأخيرًا ألقى عصاه في دمشق سنة (١٢٢٣) وقضى السَّنوات السَّبْع عشرة الأخيرة من عمره في سلام وطمأنينة وإنتاج غزير.

وهذا هو سلطان العلماء سيدي عز الدين بن عبد السلام يشهد للشيخ الأكبر كما روى الإمام الشعرائي في «طبقاته» قائلًا: (وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ مصر المحروسة يحط عليه -أي: على سيدي محيي الدين- كثيرًا، فلما صحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي وعرف أحوال القوم؛ صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطيبانية).

وفي «اليواقيت والجواهر» يقول الإمام الشعرائي: (ومن أثنى عليه -أي: الشيخ الأكبر- من مشايخنا محمد المغربي الشاذلي شيخ الإمام جلال السيوطي، وترجمه بأنه مربي العارفين؛ كما أن الجنيد مربي المريدين، وقال: إن الشيخ محيي الدين روح التنزلات والإمداد، وألف الوجود وعين الشهود وهاء المشهود الناهج منهاج النبي العربي).

وأما عن كرامات الشيخ الأكبر فهذه كرامة نسوقها للمنكرين على سيدي محيي الدين خاصة ولأعداء التصوف عامة، يقول سيدي عبد الوهاب الشعرائي في «الطبقات»: (وأخبرني أخي الشيخ الصالح أحمد الحلبي: أنه كان له بيتٌ يشرف على ضريح الشيخ محيي الدين، فجاء شخص من المنكرين بعد صلاة العشاء بنار يريد أن يحرق تابوت الشيخ، فحسف به دون القبر بتسعة أذرع، فغاب في الأرض وأنا أنظر، ففقدته أهله من تلك الليلة، فأخبرتهم بالقصة فجاءوا وحفروا فوجدوا رأسه، فكلما حفروا نزل وغار في الأرض إلى أن عجزوا ورددوا عليه التراب).

وقد ذكر شيخ شيخنا سيدي أحمد ضياء الدين النقشبندي في «جامع الأصول» أن الشيخ محيي الدين صاحب طريقة بالاستدلال لدى أهل الحقائق كبقية الطريق، وقد

انتهت إلى سيدي أحمد ضياء الدين بجانب النقشبندية طريقة الشيخ الأكبر عن طريق  
شيخه سيدي أحمد بن سليمان الطرابلسي، ولقنها هو لمولانا الإمام العارف سيدي الشيخ  
جودة إبراهيم؛ لتغمر أنوارها الوجود في هذا العصر كما غمرته دائماً من قبل.

وبعد: فما ذكرت عن مولاي الشيخ الأكبر إلا بعض قطرة من سناه، فبحق النور  
المحمدي أسالك يا سيدي محيي الدين يا سلطان العارفين أن تفيض علينا من أنوارك وأن  
تلحقنا بركابك، رضي الله عنك في زمرة المحمديين.

بقي الإمام ابن العربي في دمشق من (١٢٢٣-١٢٤٠م) وكان أميرها أحد تلاميذه،  
والتقى بها بشيوخ كثير منهم الإمام جلال الدين الرومي، وكان مجلسه في دمشق عامراً  
بالعلماء والفقهاء والعلم، وكان واحداً من أعلامها حتى وفاته ٢٨ ربيع ثان، عام ٦٣٨هـ-  
١٢٤٠م، ودفن في سفح جبل قاسيون جبل الأنبياء.

وقام السلطان سليم العثماني بعمل مقام له ومسجد بجوار قبره الشريف، وما زال  
قبره معلماً من معالم دمشق القديمة.

## المصادر:

كتاب «الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية»، للأستاذ الدكتور جودة محمد أبو

اليزيد المهدي، ص ٤٥٩-٤٧٤.

- «الخيال الخلاق في تصوّف ابن عربي» هنري كوربان.
- «تنبيه الغبي بتهرئة ابن عربي» جلال الدّين السّيوطي.
- «الاغتباط بمعالجة ابن الخياط» الفيروزآبادي.
- «الرّد على المعترضين على الشّيخ محيي الدّين» الفيروزآبادي.
- «الرّد المتين على منتقص العارف محيي الدّين» الإمام عبد الغني النّابلسي.
- «الكبريت الأحمر في بيان علوم الشّيخ الأكبر» عبد الوهّاب الشّعراني.
- «القول المبين في الرّد عن الشّيخ محيي الدّين» عبد الوهّاب الشّعراني.
- «الفتح المبين في ردّ المعترض على الشّيخ محيي الدّين» عمر العطار.
- «لبس الخرقة» لابن عربي.
- «الرّقة المدهشة في لبس الخرقة الصّوفيّة» لأبي المحاسن القاوقجي الطّرابلسي الشّامي.
- «السفينة العراقية في لباس الخرقة الصّوفيّة» لمحمّد بن عراق الدّمشقي (ت ٩٣٣هـ).
- «البرقة المشيقة في ذكر الخرقة الأنيقة» لعلي بن أبي بكر السّقاف (ت ٨٩٥هـ).
- «الفتوحات القدسيّة في الخرقة العيدروسية» لعبد القادر بن الشّيخ العيدروس (ت ١٠٣٨هـ).

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس السادس والثمانون

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

سيدنا الإمام أحمد الرفاعي

الفقيه الشافعي الأشعري الصوفي

شيخ الطريقة الرفاعية

(٥١٢ - ٥٧٨) هـ

الملقب بـ "أبي العَلَمين" و"شيخ الطرائق" و"الشيخ الكبير" و"أستاذ الجماعة"، إليه تنتسب الطريقة الرفاعية من الصوفية، وهو أحد أقطاب الصوفية المشهورين.

ولقّب بشيخ العرجا؛ امرأة كانت حذاء عرجاء كبرت ولا شَعْر لها؛ لعاهة فيها؛ وصارت النساء يستهزئن بها، فقدم الإمام الرفاعي على أهلها، فبكت أمامه، وقالت: أنت شيخي وشيخ والدتي وذخري، أشكو إليك ما أنا فيه؛ لعل الله ببركتك وقرابتك من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعافيني، فأخذته الشَّفقة عليها، وبكى لحالها، ثمّ دعاها، فدنت منه، فمسح بيده على خمارها وظهرها، فنبت شعرها، وذهب احديداها، وتقوّمت رجلاها؛ ولذلك سمّي شيخ العَرِيْجاء.

نسبه ومولده:

هو السيد أبو العباس أحمد بن علي بن يحيى (نقيب البصرة المهاجر من المغرب إلى البصرة) ابن ثابت بن الحازم علي أبي الفوارس ابن أحمد المرتضى بن علي بن الحسن الأصغر المعروف برفاعة ابن مهدي المكي أبي رفاعة ابن أبي القاسم محمد بن الحسن القاسم المكنى بأبي موسى ابن الحسين عبد الرحمن لقبه الرضي المحدث ابن أحمد الصالح

الأكبر ابن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>.  
قدم به والده من المغرب إلى العراق، وسكن قرية أم عبيدة، وتزوج من فاطمة أخت القطب الشيخ منصور البطاحي الزاهد، ورزق منها أولادًا أعظمهم الإمام أحمد الرفاعي.

ولد الإمام أحمد الرفاعي في ١٥ رجب سنة ٥١٢ هـ في قرية حسن بالبطائح (والبطائح عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة) وفي السابعة من عمره توفي أبوه في بغداد، فكفله خاله الشيخ الزاهد منصور البطاحي (دفين بلد روز-العراق) وهو الذي رباه تربية دينية، وعنه تلقى علم التصوف، وهو أول شيخ للإمام الرفاعي في سلسلة الشيوخ الرفاعية، وهي سلسلة تتضمن ١٥ إمامًا تنتهي بأمر المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنهم.

وكان الإمام الرفاعي معاصر الإمام النووي في القرن السابع الهجري ينقل عن:

- ١- شيخه عمر الفاروقي.
- ٢- الشيخ بدر الأنصاري.
- ٣- الشيخ الإمام منصور البطاحي الربّاني.

---

(١) ذكر نسبه الشريف مجموعة من الأكابر؛ منهم: برهان الدّين علي الحلبي القاهري صاحب «السيرة النبوية»، والحافظ الزبيدي، والشيخ عبد العزيز الدريني، والشريف النسابة شرف الدّين محمد بن عبد الله الحسيني في «مشكاة الأنوار»، والنسابة ابن الأعرج الحسيني في «بحر الأنساب»، والنسابة ابن ميمون نظام الدّين الواسطي في مشجرة، والعلامة محمد الموصلبي وغيرهم...

قال: (رأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وِلَادَةِ ابْنِ أُخْتِي الشَّيْخِ أَحْمَدَ الرَّفَاعِيِّ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي الرُّؤْيَا، فَقَالَ لِي: يَا مَنْصُورُ! أَبْشُرْكَ أَنْ اللهُ يُعْطِيكَ بِعَدِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَدًا يُكُونُ اسْمُهُ أَحْمَدَ الرَّفَاعِيِّ، مِثْلًا أَنَا رَأْسُ الْأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ هُوَ رَأْسُ الْأَوْلِيَاءِ، وَحِينَ يَكْبُرُ تَأْخُذُهُ إِلَى الشَّيْخِ عَلِيِّ الْقَارِيِّ الْوَاسِطِيِّ، وَأَعْطَاهُ لَهُ كَيْ يَرِيْبِيهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ عَزِيزٌ عِنْدَ اللهِ وَلَا تَغْفَلُ عَنْهُ، فَقَالَ: الْأَمْرُ أَمْرُكُمْ يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

نشأ الإمام أحمد الرفاعي منذ طفولته نشأة علمية، وأخذ في الانكباب على العلوم الشرعية، فقد درس القرآن العظيم وترتيله على الشيخ عبد السميع الحربوني في قريته وله من العمر سبع سنين، وانتقل مع خاله ووالدته وإخوته إلى بلدة "نهر دفلي" من قرى واسط في العراق، وأدخله خاله على الإمام الفقيه الشيخ أبي الفضل علي الواسطي<sup>(١)</sup> وكان مقرراً ومحدثاً وواعظاً عالي الشأن، فتولى أمر الإمام وقام بتربيته وتأديبه.....

---

(١) أبو الفضل هذا أخذ عن الإمام أبي بكر الشَّيْبَلِيِّ تلميذ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرِ الشَّيْبَلِيِّ، والشَّيْبَلِيِّ تلميذ الإمام الجنيد، والجنيد أخذ عن خاله السَّريِّ السَّقَطِيِّ، عن معروف الكرخي، عن داود الطائي عن حبيب العجمي، عن الحسن البصري، عن الإمام سيِّدنا علي، هذا نسب الطَّريقة العالِي، فصار عند الإمام الرفاعي نسباً للطَّريقة، ولبس الخرقة الأول عن خاله الشَّيْخِ مَنْصُورِ الْبَطَّائِحِيِّ، والنَّسَبُ الثَّانِي طَرِيقَ آلِ الْبَيْتِ مِنْ طَرِيقِ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ عَنْ عَلِيِّ الرِّضَا، عَنْ مُوسَى الْكَاطِمِ، عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ، عَنْ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ، عَنْ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، عَنْ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ، عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ.

وتعليمه<sup>(١)</sup>، فجدّد السيد أحمد الرفاعي في الدرس والتحصيل للعلوم الشرعية حتى برع في العلوم النقلية والعقلية، وأحرز قصب السبق على أقرانه.

كذلك يجب أن نعلم هنا أن الإمام كان عالماً قبل أن يبلغ رتبة التّصوّف؛ لأنّ أعداء التّصوّف يتهموننا بالجهل في ديننا، وهذا خطأ بيّن.

كان الإمام أحمد الرفاعي يلازم دروس العلم ومجالس العلماء، فقد كان يلازم درس خاله الشيخ أبي بكر سلطان علماء زمانه، كما كان يتردد على حلقة خاله الشيخ منصور البطائحي، وتلقى بعض العلوم على الشيخ عبد الملك الحربوني، وحفظ عنه كتاب "التنبيه" في الفقه الشافعي للإمام أبي إسحاق الشيرازي، وقام بشرحه شرحاً عظيماً، وأمضى أوقاته في تحصيل العلوم الشرعية على أنواعها، وشمّر للطاعة وجدّ في العبادة حتى صار عالماً وفقهياً شافعيّاً وعالماً ربانياً رجع مشايخه إليه وتأدب مؤدبوه بين يديه.

وحتى قيل: إنّه انتهت إليه الرّئاسة في علوم الشريعة والحقيقة وفنون القوم، وانعقد عليه إجماع الطوائف، واعترف رجال وقته بعلو قدمه، ورفعة مرتبته، ووراثته للنبي صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) مرّ على جماعة من الأولياء في صغره، فنظروا إليه وهو يجمع الخطب، فقال أحدهم: لا إله إلا الله محمّد رسول الله، ظهرت هذه الشجرة المباركة، فقال الثاني: عمّا قليل يكثر ثمرها ويشرق قمرها، فقال الثالث: عمّا قليل يرى الناس منها العجب ويكثر نحوها الطّلب، فقال الرابع: عن قليل يعلو شأنها ويظهر برهانها، وصدقت فراسة الأولياء وتحققت بشاراتهم.



وكان الشيخ الجليل أبو الفضل علي محدث واسط وشيخها قد أجاز الإمام أحمد الرفاعي وهو في العشرين من عمره إجازة عامة بكل علوم الشريعة والطريقة وأعظم شأنه ولقبه بأبي العَلَمين؛ أي: عالم الظاهر والباطن.

وفي الثامن والعشرين من عمر الإمام أحمد الرفاعي الكبير عهد إليه خاله منصور بمشيخة المشايخ ومشيخة الأروقة المنسوبة إليه، وأمره بالإقامة في أم عبيدة برواق جده لأمه الشيخ يحيى النجاري والد الشيخ منصور الذي تولى كفالاته العلمية وتعليمه منذ طفولته، وهناك دراسات أكاديمية تؤكد أنه التقى بالشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه وكانا على اتصال وتنسيق عال، وخاصة بعد تقبيل يد المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ كان الإمام الجيلاني حاضرًا فيها سنة ٥٥٥هـ.

## المصادر:

«وفيات الأعيان» ١/ ١٧١

«الوفاي بالوفيات» ٧/ ٢١٩

«سير» الذهبي ٢١/ ٧٧

«الكامل في التاريخ» ١١/ ٤٩٢

«العبر» ٤/ ٢٣٣

«شذرات الذهب» ٤/ ٢٥٩

«مرآة الزمان» ٨/ ٣٧٠

«طبقات الشافعية» لقاضي شهبة ٢/ ٥

«طبقات الشافعية» للسبكي ٤/ ١٤

«النجوم الزاهرة» ٦/ ٩٢

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس السابع والثمانون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### تصوف الإمام الشيخ أحمد الرفاعي

مولانا السيد أحمد الرفاعي كان شافعي المذهب أشعري العقيدة، وصل إلى درجة الاجتهاد المطلق، وكان فقيهاً محدثاً مُفسِّراً، وكان أعلم أهل زمانه<sup>(١)</sup>.

قال في كتابه «البرهان المؤيد»: (يا ولدي!... ما أكلته تفنيه... وما لبسته تبليه، وما عملته تلاقيه... والتوجه إلى الله حتم مقضي... وفراق الأحبة وعد مأتي... والدنيا أولها ضعف وفتور... وآخرها موت وقبور... لو بقي ساكنها ما خربت مساكنها...)

وسلّم في جميع أحوالك لله... واجعل سلوكك في طريق الفقراء بالتواضع، واستقم بالخدمة على قدم الشريعة...

واحفظ نيتك من دنس الوسواس، وأمسك القلب عن الميل للناس<sup>(٢)</sup>، وكُل خبزاً يابساً، وماءً مالحاً من باب الله، ولا تأكل لحماً طرياً وعسلًا من باب غير الله<sup>(٣)</sup>، وتمسك بسببٍ لمعيشتك بطريق الشرع من كسب حلال<sup>(٤)</sup>.

---

(١) له مؤلّفات كثيرة أكثرها فُقد في موقعة التتار، وقام تلاميذه بجمع أقواله في كتب أربعة؛ ذكر فيها موضوع الطريقة الرفاعية، وآداب المرید، وأخلاق الصوفية، وخاصة في كتابه «البرهان».

(٢) السّلامة في العزلة عن النّاس.

(٣) فالأول حلال ١٠٠٪، والثاني لا تعرف مصدره أهو حلال أم لا؟

(٤) أوجد لك خرقة يوافق عليها الشرع.

وإياك من كسر خواطر الفقراء<sup>(١)</sup>... (وَصِلَ الرَّحْمَ، وَأَكْرَمَ الْأَقْرَبَ، وَاغْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ...، وتواضع لمن تكبر عليك... ولا تتردد لأبواب الوزراء والحكام<sup>(٢)</sup>)، وأكثر من زيارة القبور، وليّن كلامك للخلق، وكلّمهم على قدر عقولهم، وحسّن خلقك، وامتزج [مع] النَّاسِ بحسن المزاج<sup>(٣)</sup>، وأعرض عن الجاهلين، وقم بقضاء حوائج اليتامى وأكرمهم، وأكثر التّردّد لزيارة المتروكين الفقراء<sup>(٤)</sup>، وبادر لخدمة الأرامل<sup>(٥)</sup>، وارحم تُرَحِمَ<sup>(٦)</sup>، وكُنْ مع الله تر الله معك، واجعل الإخلاص رفيقك في سائر الأقوال والأفعال؛ لأنّ مدار القَبُولِ على الإخلاص، واجتهد بهداية الخلق لطريق الحقّ، لأنّها مهنة الأنبياء:

(١) إذا انكسر خاطر الفقير هانت عليه نفسه، وارتكب الآثام، من يهن يسهل الهوان عليه؛ لأنّ الإحساس بالكرامة تمنع الإنسان من أشياء كثيرة، سيقول الشّخص عن نفسه: بما أنّ أفضل ما عندي قد رفض فسوف ارتكب الشرّ، ولن أبالي بشيء.

(٢) الإمام السيوطي له كتاب لطيف: «ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين» وفي حديث أبي داود: «من أتى السّلطان افتتن»، وأخرج الطبراني: «إياكم وأبواب السّلطان»؛ لأنّه لن يستطيع أن ينكر المنكر، والسّلطان نفسه سيقول: لولا أنّي على صواب لأنكر عليّ الفقيه، وكيف لا أكون مصيبًا وهو يأكل مالي؟! وقال سفيان الثوري: لا أخاف من إهانة السّلطان لي، إنّما أخاف من إكرامه، فيميل قلبي إليه.

(٣) النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «وخالق النَّاسِ بخُلُقِ حَسَنٍ».

(٤) ﴿يُحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(٥) «السّاعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم اللّيل الصّائم النّهاري» أخرجه البخاري.

(٦) «الرّاحمون يرحمهم الرّحمن».

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

وستمر مؤلفاته آخر الترجمة، ولكن أحببت أن أقرأ عليكم من كتابه: «البرهان» هذا النص لتسمعوا معي كلام الإمام بالسند المتصل إليه؛ لأنني مجاز وخليفة في الطريقة الرفاعية عن طريق سيدي عبد الحكيم عبد الباسط إلى الشيخ عبد الرحمن السبسي والشيخ محمد سعيد النعسان مفتي حماة.

وكان رضي الله عنه يُضرب به المثل في التواضع والانكسار ولين الجانب ورحمة الناس والشفقة عليهم، وقد وصفه الإمام الرافعي (محرر المذهب الشافعي) فقال: كان متمكناً في الدين، سهلاً على المسلمين، صعباً على الضالين، هيناً لينا بشاً لين العريكة (أي: سلسلاً)، وكان حسن الخلق كريم الخلق حلوا المكاملة لطيف المعاشرة، لا يملّه جلسه ولا ينصرف عن مجالسه إلا لعبادة، حمولاً للأذى<sup>(١)</sup>، وفيّاً إذا عاهد، صبوراً على المكاره متواضعاً، وستمرُّ أقوال العلماء فيه والثناء عليه.

التصوّف عنده أساسه احترام الشريعة أولاً وآخراً، والطرق التي تخالف الشريعة زندقة، وما لم تشرق مناهجها بنور علم النبي صلى الله عليه وسلم وعمله؛ فهي باطلة، فطريق الحق هو طريق النبي صلى الله عليه وسلم.

والصوفي المتبع هو الذي يعظم شأن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه الداعي إلى الله والمخبر عنه، وهو باب الحضرة الرحمانية، من اتصل به اتصل، ومن انفصل عنه انفصل.

---

(١) بعض الناس في عصره كانوا يحسدونه ويكيدون له، ومنهم من كان يفترى عليه.

التَّصَوُّفُ الحَقُّ عنده لا يُؤخذ بالرَّأي، فما هلك من هلك إلا بالرَّأي، والتَّصَوُّفُ لا يحكم فيه بالرَّأي إلا في المباحات، والأساس في الطَّريقة الرِّفَاعِيَّة المحمَّديَّة إحياء السُّنَّة، والصُّوفي على الدِّين ما دام على السُّنَّة، فمن حاد عنها زلَّ عن الطَّريق، فما رأيكم دام فضلكم؟ هل في شيء من هذا سوء أو خطأ؟!

كان لا يجمع بين لبس قميصين، ولا يأكل إلا بعد يومين أو ثلاثة أكلة.  
وإذا غسل ثوبه ينزل في الشَّطِّ كما هو قائم يفركه، ثم يقف في الشَّمس يَحْتَى يحف.  
كان كثير الاستغفار، عالي المقدار، رقيق القلب، غزير الإخلاص.  
مرَّةً اجتمع الأولياء، فطلب كلُّ واحد شيئاً، فقال مولانا الرِّفَاعِي: أي ربِّ علمك محيط بي وبطلبي... فكرروا عليه القول... فقال: أي مولاي أريد ألا أريد، وأختار ألا يكون لي اختيار... وهذا منتهى التَّوكل على الله...

وكان الإمام السيد الرفاعي حينما يقعد مع الناس يقول لهم:  
أي سادة؛ لست بشيخ عليكم، لست مقدماً على هذا الجمع.  
كان يذهب إلى المرضى المصابين بالجذام، ويبحث عنهم، فيقعد معهم يُطعمهم ويأكل معهم ويتعهدهم بالدواء والطعام، ثم يأخذ ثيابهم فيغسلها لهم؛ من قوة يقينه..  
وكان يقول: الشَّفقة على الإخوان مما يقرب إلى الله تعالى، وصلنا إلى ما وصلنا إليه بالشَّفقة على عباد الله.

وكان يقول: إذا رأيتُ يتيماً يبكي يتقلقل كلُّ عضوٍ منِّي، حتى لقبَّ أبا الأيتام والمساكين، وأخبار شفقتة على الخلق أكثر من أن تحصى.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الثامن والثمانون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### طريقة الإمام الشيخ أحمد الرفاعي

يعدُّ الإمام الرَّفَاعِي المتوفى عام (٥٧٨هـ) من أبرز المتصوِّفة وأشهرهم في العصر العباسي الثاني، فقد استمرت طريقته من ذلك الحين إلى الوقت الحاضر، والسَّبب أنَّ المريِد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة؛ ليهديه إلى سواء السَّبيل، فإن سبيل الدِّين غامض، وسبيل الشَّيطان كثيرة ظاهرة.

الإمام الغزالي يقول: فمن سلك البوادي المهلكة بغير خفير؛ فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشَّجرة التي تنبت بنفسها، فإنَّها تجفَّ على القرب، وإن بقيت مدَّة وأورقت لم تثمر، فمعتصم المريِد شيخه فليتمسك به<sup>(١)</sup>.

سيِّدنا موسى قال لسيِّدنا الخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]؛ ولذلك استمرَّت الطَّريقة الرَّفَاعِيَّة، ومن أسباب استمرارها أيضًا أنَّها تقوم على العمل بمقتضى الكتاب والسُّنة.

تقوم الطريقة الرفاعية على العمل بمقتضى ظاهر الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>، ثم أخذ النفس بالمجاهدة والمكابدة، والإكثار من الذكر، وقراءة الورد، وذلك وفق إرشادات الشيخ

---

(١) (الإحياء ٣/ ٣٥).

(٢) قبل الأخذ بتعاليم الشَّيخ الطَّريق عنده أن تقول: آمنت بالله، ووقفت عند حدود الله، وعظمت ما عظم الله، وانتهيت عمَّا نهى الله.

وتوجيهاته، مع ضرورة التسليم والانقياد له والانصياع لأوامره، وعلى المرید أن يتمسك بالكتاب والسنة ثم تعاليم الشيخ ويعمل بما قاله من التزام السنّة، وموافقة السلف الصالح على حالهم<sup>(١)</sup>، وليلبس ثوب التعرية من الدنيا والنفس، وتحمل البلاء، ولبس الوقار واجتناب الجفاء، وقد اشتهر عن بعض أتباع الرفاعي حديثاً القيام بأفعال عجيبة؛ كاللعب بالثعابين، وركوب الأسود، والدخول في النيران المشتعلة دون أن تحرقهم أو تؤثر فيهم<sup>(٢)</sup>، وغيرها، فهذه لم تكن معروفة عند الشيخ الرفاعي، لكنها استحدثت بعد وفاته وإن كان الشيخ قد عُرف بحنانه الشديد على الإنسان والحيوان، وكان أشد ما يكون حذباً ورعاية للحيوانات الضالة والمريضة<sup>(٣)</sup>.

---

الرّفاعية كلّهم يقولون: من لم يعرف أدب الظّاهر؛ لا يؤتمن على أدب الباطن، وكلّ الآداب منحصرة في متابعة النّبي قولاً وفعلاً وحالاً وخُلُقاً، فالطّريقة الرّفاعية هي طريقة الإمام الجنيد نفسها، ويزيد عليها مجلس الذّكر والإرشاد بما نعرفه اليوم بالحضرة، و«ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، فالذّكر مسنون وواجب، والإنشاد مستحب، والحركة مباحة لا يقال عنها: حلال ولا: حرام، فهل يفهم هذا أولو الألباب؟!.

(١) الرّفاعية عندهم كتاب: «الحكم الرّفاعية»، وهو نصائح الإمام الرّفاعي وتوجيهاته، يعملون بها.  
(٢) وهذا يدل على أحوالهم السّامية؛ كما جرى لسيدنا إبراهيم معجزة أن النار لم تحرقه، وما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، وهذا أبو مسلم الخولاني رماه الأسود العنسي المتنبّي في النّار ثلاث مرات، ولم تؤثر فيه، ثمّ بسبب مشايخ الرّفاعية أسلم السّلطان أحمد بن هولاقو ملك التّتار.

(٣) من مزايا هذه الطريقة مكافحة عقيدة الحلول والاتحاد، وهذا حاربه الإمام الرّفاعي نفسه، ولم يقتصر على إنكار اعتقادهما، بل ينكر اللفظ بهما ولو من غير اعتقاد معنى الحلول والوحدة.



دأب الإمام الرفاعي - كغيره من العلماء العاملين - في تعليم الناس أمور دينهم، وجدَّ في الوعظ والإرشاد، وعقد حلق العلم حتى كان نبراسًا يستضيء به الناس فيما ينفعهم، وكان لا يفتر عن تعليم الناس هدي الرسول وأسرار القرآن العظيم.

---

يقول الإمام أبو القاسم الرفاعي: إِنَّ الإمام الرَّفَاعِي قال في الحَلَّاج: ما أراه رجلًا عارفًا، ما أراه شرب، ما أراه سمع إلا رنةً أو طنينًا، فأخذه الوهم من حال إلى حال، من ازداد قربًا ولم يزد خوفًا؛ فهو ممكور، يذكرون عنه أنه قال: أنا الحقُّ، أخطأ بوهمه، لو كان على الحقِّ؛ ما قال: أنا الحقُّ.

وقال الإمام الرفاعي رضي الله عنه: لفظتان ثلمتان في الدين [أي: ثغرة في الدين، هدم للدين] والقول بالوحدة والشطح المجاوز حدَّ التحدُّث بالنعمة، فقوله هذا صريح في أنَّ القول بالوحدة المطلقة مهلك لصاحبه؛ لأنَّ هذه الفرقة تعتقد أنَّ هذا العالم هو الله.

وكتب الإمام الرَّفَاعِي إلى أحد مربيه الشيخ عبد السَّمِيع الهاشمي الواسطي قدَّس الله سرَّه يوصيه به قال فيه: إِيَّاكَ والقول بالوحدة التي خاض بها بعض المتصوِّفة، وإِيَّاكَ والشُّطح.

قال سيِّدنا الإمام أبو الهدى الصيادي أحد علماء الرَّفَاعِيَةِ في القرن الرَّابِع عشر الهجري ما نصُّه: من قال: (أنا الله)، أو: (لا موجود إلا الله)، أو: (ما في الوجود إلا الله)، أو: (هو الكل)؛ فإن كان في عقله حكم برَّدته.

لم يقل أحد من الصوفية بالحلول والاتحاد، وكلُّكم يحفظ القصيدة للإمام عبد الغني النابلسي:

إِيَّاكَ تشهد غيره ودع العنا	لا أنت في هذا الوجود ولا أنا
يا ابن الحوادث لا تظنَّ فلا تكن	أنت القديم وإن بدا بك واعتنى
إن الحلول من الجهول توهم	في قول أهل الله يجعل ديدنا
ما إن سمعت ولست أسمع	أبدًا يظن الحق يسكن ممكنا

وفي رسالة "سواد العينين في مناقب أبي العلمين"<sup>(١)</sup> للإمام أبي القاسم عبد الكريم الرافعي الشافعي<sup>(٢)</sup> قال: أخبرني الفقيه العالم الكبير بغية الصالحين قال: كنت في "أم عبيدة" زائراً عند السيد أحمد الرافعي في رواقه وحوله من الزائرين أكثر من مئة ألف إنسان؛ منهم الأمراء والعلماء والشيوخ والعامّة، وقد احتفل بإطعامهم وحسن البشر لهم كلُّ على حاله، وكان يصعد الكرسي بعد الظهر، فيعظ الناس، والناس حلّقاً حلّقاً حوله، فصعد الكرسي بعد ظهر خميسٍ وفي مجلسه وُعَاظٌ واسط، وجمٌّ كثير من علماء العراق وأكابر القوم، فبادر القومُ بأسئلة من التفسير وآخرون بأسئلة من الحديث، وجماعة من الفقه، وجماعة من الأصول، وجماعة من علوم أخرى<sup>(٣)</sup>، فأجاب عن ممّتي سؤال من علوم شتى ولم يتغير حاله حال الجواب، ولا ظهر عليه أثر الحدة، فأخذتني الحيرة من سائليه، فقمت وقلت: أما كفاكم هذا؟ والله لو سألتموه عن كل علم دُونَ؛ لأجابكم بإذن الله بلا تكلف، فتبسم وقال: دعهم أبا زكريا يسألوني قبل أن يفقدوني، فإن الدنيا زوال، والله محول الأحوال، فبكى الناس وتلاطم المجلس بأهله وعلا الضجيج، ومات في المجلس خمس رجال، وأسلم من الصابئين ثمانية آلاف رجل أو أكثر، وتاب أربعون ألف رجل.

## يتبع دروس التصوف

(١) وهو مشهور في مناقب الإمام الرّفاعي.

(٢) ت٦٢٣هـ ودفن بقزوین ایران، من أعمدة قرنه السّادس الهجري وشيوخه؛ لأنّه ولد عام ٥٥٧هـ، من أهم أعماله أنّه وحد بين طريقتي العراقيين والخراسانيين في الاستدلال الفقهي، وحذا حذوه الإمام النّووي، وكلاهما مجتهد مذهب.

(٣) تقدّم معنا أنّ الإمام بلغ درجة الاجتهاد المطلق.

هنا دمشق

## الدرس التاسع والثمانون

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

سيرة الإمام الشيخ أحمد الرفاعي

وأخلاقه ومؤلفاته وتلامذته

سيرته وأخلاقه<sup>(١)</sup>:

كان الإمام الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه يأمر في مجلس وعظه بالتزام حدود الشرع، ويحذر الناس من أهل الشطح والغلو ويقول: "هؤلاء قطاع الطريق فاحذروهم" وكان يكره أصحاب القول بالحلول والوحدة المطلقة الذين يقولون: إن الله يحل بالعالم، ويقول: "هؤلاء قوم أخذتهم البدعة من سروجهم، إياكم ومجالستهم".

وكان يأمر باتباع هدى الشريعة والسير على طريقة المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقول: "اتبع ولا تبتدع، فإن اتبعت بلغت النجاة وصرت من أهل السلامة، وإن ابتدعت هلكت".

زهده وتواضعه:

كان الإمام الشيخ أحمد الرفاعي الكبير متواضعاً في نفسه خافضاً جناحه لإخوانه غير مترفع ولا متكبر عليهم<sup>(٢)</sup>، وروي عنه أنه قال: "سلكت كل الطرق الموصلة، فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الافتقار والذل والانكسار"<sup>(٣)</sup>، ف قيل له: يا سيدي

---

(١) من أهم الكتب التي ذكرت حياة الإمام الرفاعي كتاب «قلادة الجواهر».

فكيف يكون؟ قال: تعظم أمر الله، وتشفق على خلق الله، وتقتدي بسنة سيدك رسول الله".

وكان الإمام الرفاعي يخدم نفسه، ويخسف نعله، ويجمع الحطب بنفسه ويشده بحبل ويحمله إلى بيوت الأرامل والمساكين وأصحاب الحاجات، ويقضي حاجات المحتاجين، ويقدم للعميان نعالهم، ويقودهم إذا لقي منهم أناسًا إلى محل مطلوبهم، وكان يمشي إلى المجذومين والزمنى ويغسل ثيابهم ويحمل لهم الطعام، ويأكل معهم ويجالسهم ويسألهم الدعاء.

وكان يعود المرضى، وإذا سمع بمريض في قرية ولو على بعد يمضي إليه ويعوده. وكان شفيقًا على خلق الله، يرأف باليتيم، ويكي لحال الفقراء ويفرح لفرحهم، وكان يتواضع كل التواضع للفقراء.

وكان لا ينظر إلى الأمراء، ولا يقوم لهم ويقول: النظر في وجوههم يقسي القلوب. وقد قال مشايخ أهل عصره: كل ما حصل للرفاعي من المقامات إنما هو من كثرة شففته على الخلق وذل نفسه.

- 
- (١) ومن أقواله لمريديه: من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له، ومن مدَّ يده إليكم لتقبّلوها فقبّلوا رجلاه، ومن تقدّم عليكم فقدّموه، وكونوا آخر شعرة في الذنب، فإنَّ الضربة أوّل ما تقع على الرأس.
- (٢) كان يدعو أصحابه، ويقدم لهم التمر الفاخر، وينقي لنفسه التمر الرديء، ويقول: أنا أحقُّ به منكم، ثمَّ يقول هذه المقولة.

وكان من رقة قلبه لا يسمح بقتل نملة، يقول أصحابه: إنَّ هرة نامت على كُفِّ الإمام، ونودي للصلاة، فقصَّ كَمَّه وما أزعجها، فلمَّا انتهت الصَّلَاة وقامت الهرة؛ عاد ووصله ثانيًا، وقال: عاد الكُفُّ كما كان.

وكان الإمام الشيخ أحمد الرفاعي يعظّم العلماء والفقهاء ويأمر بتعظيمهم واحترامهم ويقول: هؤلاء أركان الأمة وقادتها.

**سخاؤه وسلامة طويته:**

كان للإمام ليلة يسمونها ليلة الإحياء، يجتمع في زاويته نحو مئة ألف إنسان، وكان هو من يقوم بكفائتهم بالطعام والشَّراب.

كان الإمام الشيخ أحمد الرفاعي متجردًا من الدنيا، ولم يدخر أموالها، بل كان لا يجمع بين لبس قميص وقميص لا في صيف ولا في شتاء، مع أن ريع أملاكه كان أكثر من ريع أملاك الأمراء، وكان كل ما يحصل منها ينفقه في سبيل الله على الفقراء والسالكين والواردين إليه، وكان يقول: الزهد أساس الأحوال المرضية والمقامات السنية.

وكان يقول: طريقي دين بلا بدعة، وعمل بلا كسل، ونية بلا فساد، وصدق بلا كذب، وحال بلا رياء.

**كراماته:**

أشهر كرامة للإمام الرِّفَاعِي قضية تقبيله يد المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسماع صوته الشَّريف، فيما نقله الإمام الشُّيُوطِي فِي رسالته الشَّهيرة من عدَّة طرق، وقال: إنَّها بلغت عدد التَّواتر، قال: حدثنا شيخ الإسلام الشَّيخ كمال الدِّين إمام الكاهية، عن شيخ مشايخنا الإمام العلامة الهمام الشَّيخ شمس الدِّين الجزري، عن شيخه الإمام زين الدِّين

المراغي، عن شيخ الشيوخ، البطل، المحدث، الواعظ، الفقيه، المقرئ، المفسر، الإمام، القدوة، الحجّة، الشيخ عز الدين الفاروقي الواسطي، عن أبيه الأستاذ الأصيل، العلامة الجليل، الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الفاروقي، عن أبيه إمام الفقهاء والمحدثين، وشيخ أكابر الفقهاء والعلماء العاملين، الشيخ عز الدين أبي الفرج الفاروقي الواسطي، قدّست أسرارهم جميعاً قال:

كنت مع شيخنا ومفزعنا وسيدنا أبي العباس القطب الغوث الجامع الشيخ السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه عام خمس وخمسين وخمس مئة العام الذي قدر الله له فيه الحجّ، فلما وصل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلّم؛ وقف تجاه حجرة النبي عليه الصلّاة والسّلام وقال على رؤوس الأشهاد: السّلام عليك يا جدي، فقال له عليه الصّلاة والسّلام: وعليك السّلام يا ولدي، سمع ذلك كلّ من في المسجد النبوي، فتواجد سيّدنا أحمد، وأرعد، واصفر لونه، وجثا على ركبته، ثمّ قام، وبكى وأنّ طويلاً، وقال: يا جداه!

في حالة البعد روعي كنت أرسلها      تُقبّل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت      فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يده الشريفة العطرة من قبره الأزهر المكرّم، فقبّلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل، والنّاس ينظرون اليد الشريفة، وكان في المسجد مع الحجّاج الشيخ حياة بن قيس الحراني، والشيخ عبد القادر الجيلي المقيم ببغداد، والشيخ خميس، والشيخ مدين مسافر الشامي وغيرهم، وتشرفنا معهم برؤية اليد

المحمدية الزكية، وفي يومها لبس الشيخ حياة بن قيس الحراني خرقة السيّد أحمد الكبير،  
واندرج في مسلك أصحابه<sup>(١)</sup>.

يقول الرّاوي: أمر الشيخ الرّفاعي النّاس في الحرم ألا يخرج واحد منهم حتى يطأ  
بقدمه على عنق الشيخ حتّى لا تتكبّر نفسه، وبويع إمامًا وشيخًا رضي الله عنه.  
ومرّة قام الذّاكرون للذّكر، وكان بالمجلس طفل لأحدهم نائم، فطاب السّماع، وأخذ  
القوم الحال، فداس بعضهم على الطفل حتّى مات، فلمّا انتهى اللّيل؛ رفع الخادم الغطاء  
والفُرش، فوجد الطفل ميتًا، فأخبروا مولانا الرّفاعي الذي قام من فوره إلى الطفل،  
وبسط خرقة، وصلى ركعتين، ثمّ مدّ يده يدعو، فلمّا انتهى نادى على الطفل: يا فلان اقعد  
بإذن الله، ثمّ أمرّ يده المباركة عليه، فقام كأنّه كان نائمًا...

ستقولون: الإمام أحيّا الموتى!! أقول: نعم بإذن الله، وإن لم تصدّقوا؛ فاقروا:  
﴿وَأُحْيِي الْمُوتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وما كان معجزة لنبيّ جاز أن يكون كرامة  
لولي.

سمع أصحابه عن كرامات الإمام، ولم يشك أحد أنّ الإمام بلغ مبلغًا عظيمًا من  
الولاية، جاءه مرّة ضيف، فقال له: لي عشرون يومًا لم أذق طعم الأكل، فقال: تمنّى عليّ،  
فقال: أشتهي إحدى هذه الإوزات الطّائرة.

يقول الرّاوي: رفع سيّدنا الإمام أحمد يديه، وقال: يا رب عجلّ بشهوة الرّجل، قال:  
فوقعت الإوزة مشوية بين يدي الشيخ بإذن الله تعالى، ومدّ الرّفاعي يده إلى حجرين كانا

---

(١) وليس معناه أنّه دخل في عداد الصّحابة؛ لأنّ الحجّة استمرار حياته صلى الله عليه وسلّم، وهذه  
الحياة أخروية، وبهذا قال السخاوي.



إلى جانبه، فأمسك بهما، فإذا هما رغيقان ساخنان بإذن الله تعالى، فأكل الضيف وشرب، ثم أخذ الإمام الرفاعي عظام الإوزة وجمعها مع ريشها، وقال: أيتها العظام المتفرقة والأوصال المتقطعة؛ اذهبي وطيري بأمر الله تعالى، بسم الله الرحمن الرحيم، فعادت الإوزة حيّة وطارت في الجو تمامًا كما كان يفعل سيّدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصّلاة والسّلام.

حكى الإمام الياضي في كتابه «روض الرياحين» أنّه دعي مع شيخه علي بن القارئ إلى طعام، فلمّا أكلوا بدأ الإنشاد وضرب الدّف، فلمّا طاب القوم وتواجدوا وثب الشيخ الرفاعي إلى المنشد وثقب الدّف، فالتفت المشايخ إلى شيخه ابن القارئ، ونافروه فيما صدر عن سيدي أحمد، فقال لهم: اسألوه فإن أتى بجواب وإلا غرمت لكم قيمة الدّف، فسألوه: لمّ كسرت الدّف؟ قالوا: نرجع إلى أمانة المنشد نخبرنا بالذي خطر بباله، فسألوا المنشد فقال: كنت البارحة عند قوم يشربون الخمر، فسكروا وتمايلوا كتمايل هؤلاء الشيوخ، فخطر لي: هؤلاء كأولئك، فلم يتمّ خاطري حتّى قام هذا الصبي وخسف الدف، فعند ذلك قام المشايخ إلى سيدي أحمد، وقبّلوا يده، واعتذروا إليه.

تلاميذه والمنتسبون إليه بالطريقة:

شيخ الشريعة يمثله أركان الإسلام.

شيخ الحقيقة يمثله أركان الإيمان.

شيخ الطريقة يمثله أركان الإحسان.

الشريعة هي الأساس، والطريقة هي الوسيلة في السلوك إلى الله، والحقيقة هي الثمرة، وهذه الأشياء الثلاثة متكاملة منسجمة، فمن تمسك بالأولى منها سلك إلى الثانية فوصل

إلى الثالثة، وليس بينها تعارض ولا تناقض؛ لذلك يقول الصوفيّة في قواعدهم المشهورة: كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة، فلإمام الرفاعي فضل كبير.

فكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة؛ كذلك حفظ علماء التصوف آدابها وروحها، وكما أبيع لعلماء الظاهر الاجتهاد في استنباط الأدلة واستخراج الحدود والفروع، والحكم بالتّحليل والتّحريم على ما لم يرد فيه نص؛ فكذلك لعلماء الصوفيّة أن يستنبطوا آداباً ومناهج لتربية المريدين وتهذيب السالكين.

كثّر تلاميذ الإمام أحمد الرفاعي<sup>(١)</sup> في حياته وبعد مماته حتى قال ابن المهذب في كتابه "عجائب واسط": بلغ عدد خلفاء السيد أحمد الرفاعي وخلفائهم مئة وثمانين ألفاً حال حياته<sup>(٢)</sup>، ومن عظيم فضل الله على السيد أحمد الرفاعي أنه لم يكن في بلاد المسلمين مدينة أو بليدة أو قطر تخلو زواياه وربوعه من تلامذته ومحبيه العارفين المرضيين.

إذا أحبّ الله عبداً وضع له القبول في الأرض، كما في حديث: «إذا أحبّ الله عبداً نادى جبريل: يا جبريل؛ إني أحبّ فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثمّ ينادي في السماوات: إنّ الله يحبّ فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثمّ يوضع له القبول في الأرض».

---

(١) الرفاعي نسبة لأحد أجداده الملقب رفاعه، واسمه الحسن المكي كما تقدم.

(٢) كانت تظهر لهم الكرامات؛ كدخول الأفران الحامية، كان أحدهم يدخل الفرن الحامي ينام في جانب، والخباز يخبز في الجانب الآخر لا يتأذى بالنار؛ لأنّ النار لا تخلق الإحراق، إنّما خالقها هو

الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا...﴾ [الأنبياء: ٦٩].

كان أقسم على أصحابه: إن كان فيه عيب أن ينهوه عليه، فقال الشيخ عمر  
الفاروقي: يا سيدي أنا أعلم فيك عيباً، قال: وما هو؟، قال: يا سيدي عيبك أننا من  
أصحابك، فبكى الشيخ والفقراء، وقال: أي عمر إن سلم المركب حمل من فيه.

ومن الذين ينتمون إليه:

الشيخ الحافظ المحدث عز الدين الفاروقي الواسطي.

الشيخ حسن - من قطنا - المعروف بالشيخ حسن الراعي.

الإمام الشيخ حياة بن قيس الحراني.

الإمام الشيخ أحمد البدوي.

الإمام العارف بالله أبو الحسن الشاذلي.

العارف بالله الشيخ إبراهيم بن محمد الكازروني صاحب «شفاء الأقسام».

الشيخ السيد عبد الله الحراكي الحسيني ابن عمته.

الشيخ نجم الدين الأصفهاني شيخ الإمام إبراهيم الدسوقي.

الشيخ أحمد علوان المالكي.

الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.

الشيخ المقداد بن محمد الرفاعي.

الشيخ عقيل المنبجي.

الشيخ علي الخواص.

العارف بالله السيد أحمد الضرغامى.

قال العلماء عنه:

إن فضائل الإمام ومناقبه أكثر من أن تحصر، فهو  
شيخ على قدم النبي سلوكه فطريقه عن جده مسنون  
وإمام صدق لو فهمت طريقه أدركت سرَّ الشرع كيف يكون

القاضي أبو شجاع الشافعي<sup>(١)</sup>، أحمد بن الحسين الأصفهاني، صاحب المتن المشهور في  
الفقه الشافعي<sup>(٢)</sup>، نقل عنه الإمام الرافعي ما نصه: حدثني الشيخ الإمام أبو شجاع  
الشافعي فيما رواه قائلاً: كان السيد أحمد الرافعي علماً شامخاً، وجبلاً راسخاً، وعالماً  
جليلاً، محدثاً فقيهاً، مفسراً ذا روايات عاليات، وإجازات رفيفات، قارئاً مجوداً، حافظاً  
مجيداً، حجة رحلة، متمكناً في الدين... أعلم أهل عصره بكتاب الله وسنة رسوله،  
وأعملهم بها، بحرّاً من بحار الشرع، سيفاً من سيوف الله، وارثاً أخلاق جده رسول الله  
صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) ولد بين (٤٣٣-٥٣٣هـ)، كان من أفراد الدهر، درس المذهب الشافعي في مدارس البصرة ٤٠  
سنة، وعاش ١٦٠ سنة، لم يختل له عضو من أعضائه، سئل عن ذلك فقال: أعضاء حفظناها في  
الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، صار قاضياً، واستوطن المدينة آخر حياته، وعمل خادماً  
للحجرة النبوية، وقبره داخل الحرم اليوم، عند باب جبريل، ورأسه قريب من الحجرة الشريفة، لم  
يصل إلينا من مؤلفاته غير كتابين «شرح الإقناع» للهاوردي، و«غاية الاختصار» (متن الغاية)،  
توفي سنة ٥٩٣هـ.

(٢) وكان من تلاميذه وتخرّج على يديه.

الإمام الذهبى: الإمام، القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين... توفي سنة ثمان وسبعين وخمس مئة.

الشيخ المؤرخ ابن الأثير الجزري: وكان صالحًا ذا قبول عظيم عند الناس، وعنده من التلامذة ما لا يحصى.

المؤرخ الفقيه صلاح الدين الصفدي: الإمام القدوة العابد الزاهد، شيخ العارفين.

الشيخ المحدث عبد السميع الهاشمي الواسطي: كان السيد أحمد آية من آيات الله.

شيخه الشيخ منصور البطائحي: وزنته بجميع أصحابي وبى أيضًا فرجنا جميعًا.

صاحب «القاموس» الفيروز آبادي:

أبا العَلَمِينِ أَنْتَ الْفَرْدُ لَكِنْ إِذَا حُسِبَ الرَّجَالُ فَأَنْتَ حَزْبٌ

المؤرخ ابن خلكان: كان رجلًا صالحًا، فقيهاً شافعيّ المذهب.

المؤرخ ابن العماد الحنبلي: الشيخ الزاهد القدوة.

ابن قاضي شهبة ذكره في «طبقات الشافعية» وعده من فقهاءهم.

الإمام تاج الدين السبكي<sup>(١)</sup>: الشيخ الزاهد الكبير، أحد أولياء الله العارفين،

والسادات المشمرين، أهل الكرامات الباهرات.

الشيخ عبد الوهاب الشعراني: هو الغوث الأكبر، والقطب الأشهر، أحد أركان

الطريق وأئمة العارفين الذين اجتمعت الأمة على إمامتهم واعتقادهم.

---

(١) جعله في عداد الفقهاء والشافعية، وذكر أنه لما أتى عليه رمضان، وهو رضيع امتنع عن شرب

الحليب نهارًا حتى انقضى رمضان وأنه كان لا يجلس مع الصبيان إلا قليلاً، ويألف مجالس الشيوخ

ويعمل بنصائحهم.

أوراده:

للإمام الرِّفَاعِي أوراد وأحزاب تفوق ٦٦٠ حزبًا ووردًا؛ منها: حزب المناجاة، وحزب الحراسة، وحزب الستر، والحزب الصغير، والحزب الكبير.

ورد الطَّريقة الرِّفَاعِيَّة:

١٠٠ مرَّة لا إله إلاَّ الله.

١٠٠ مرَّة أستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

١٠٠ مرَّة اللهم صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

ثمَّ قراءة الفاتحة الشَّريفة وآية الكرسي ١٢ مرَّة صباحًا ومساءً بعد الغروب.

هذا ورد الطريقة الرفاعية هو الورد نفسه في الطريقة الشاذلية إلا أنهم يقرؤون الفاتحة الشريفة وآية الكرسي كل واحدة منهما اثنتي عشرة مرة.

وفاته:

عندما بلغ الإمام أحمد ٦٦ من عمره مرض بداء البطن (الإسهال الشديد) وبقي مريضًا أكثر من شهر، وكان مع خطورة مرضه يتحمل الآلام الشديدة من دون تأوه أو شكوى، مستمرًا وثابتًا على تأدية الطاعات والعبادات التي اعتادها بقدر استطاعته<sup>(١)</sup> إلى أن وافته المنية يوم الخميس ١٢ جمادى الأولى عام ٥٧٨ هـ، ودفن في قبة جدّه لأُمّه الشيخ يحيى البخاري في بلدته أم عبيدة، وكان يومًا مهيبًا.

للسيد الإمام أحمد الرفاعي مؤلفات كثيرة أكثرها فُقد في موقعة التتار، ومما وصل إلينا

من كتبه:

---

(١) وكان آخر كلمة قالها: أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أن محمَّدًا رسول الله.

«الحكم الرفاعية» - ط بغداد - ١٩٩٠ - طبعة نادرة أخرى في بيروت ١٣٠١ - طبعة

حلب ١٤٠٧ هـ.

«حالة أهل الحقيقة مع الله».

«الوصايا» طبعة دار الشعب ١٩٧٤ م.

«الصراط المستقيم».

«الكليات الأحمديّة» (مجموع مواعظ الإمام الرفاعي)

كتاب «الحكم شرح التنبيه» (فقه شافعي).

«البرهان المؤيد».

«معاني بسم الله الرحمن الرحيم».

«تفسير سورة القدر».

«البهجة».

«النظام الخاص لأهل الاختصاص».

«المجالس الأحمديّة» جمع فيه الإمام المحدث المنذري كلام الإمام وحكمه.

«الطريق إلى الله».

«التحفة الرفاعية».

كتاب «قلادة الجواهر» وهو من أشمل الكتب وأروعها في ذكر تاريخه ومناقبه وسيرة

حياته وأوراده.

«أسرار العبادات».

وللحافظ جلال الدين السيوطي: «الشرف المحتم فيما من به على وليه السيد أحمد الرفاعي من تقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم».

### المراجع:

١. موقع يوسف الرفاعي.
٢. د. جمال الدين فالح الكيلاني: «الإمام أحمد الرفاعي المصلح المجدد»، ص ٤٥.
٣. «ترياق المحييين في سيرة سلطان العارفين» لابن عبد.
٤. «النجم الساعي في مناقب القطب الكبير الرفاعي» لأبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني.
٥. «سواد العينين في مناقب أبي العلمين» للإمام عبد الكريم الرفاعي.
٦. «غوث الزمان سيدنا أحمد الرفاعي» الشيخ عبد العزيز الدريني.
٧. «قرة العين في مناقب أبي العلمين» للإمام علي بن المبارك باسويه الواسطي.
٨. الإمام أحمد الرفاعي: المصلح المجدد، جمال الدين الكيلاني، زياد الصميدعي، المنظمة المغربية، مراكش، ٢٠١٢، ص ٢١.

### مصادر الترجمة:

- وفيات الأعيان ١/١٧١.
- الوافي بالوفيات ٧/٢١٩.
- سير الذهبية ٢١/٧٧.
- الكامل في التاريخ ١١/٤٢٩.
- العبر ٤/٢٣٣.



شذرات الذهب ٩٥٢ / ٤ .

مرآة الزمان ٣٧٠ / ٨ .

طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٥ / ٢ .

طبقات الشافعية للسبكي ١٤ / ٤ .

النجوم الزاهرة ٩٢ / ٦ .

«الموسوعة الصوفيّة» ١٧٨ .

«جامع كرامات الأولياء» ٤٩٠ / ١ .

انظر أيضًا:

الطريقة الرفاعية .

منصور البطائحي .

المقداد بن محمد الرفاعي .

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس التسعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الطريقة القادرية<sup>(١)</sup>

الطريقة القادرية: إحدى الطرق الصوفية السنية التي تنتسب إلى سيدنا الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٧١ هـ - ٥٦١ هـ)، وابتثرت أتباعها في بلاد الشام والعراق ومصر وشرق إفريقية وشرق آسية.

وقد كان لرجالها الأثر الكبير في نشر الإسلام في قارة إفريقية وآسية، وفي الوقوف في وجه المد الأوروبي الزاحف إلى المغرب العربي.

#### مؤسس الطريقة

#### الإمام عبد القادر الجيلاني أو الجيلاني أو الكيلاني

(٤٧٠ هـ - ٥٦١ هـ)

هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله، يعرف ويلقب في التراث المغربي بالشيخ "بوعلام الجيلاني"، وبالمشرق "عبد القادر الجيلاني"، ويعرف أيضا بـ "سلطان الأولياء"، وهو إمام صوفي وفقه حنبلي، لقبه أتباعه بـ "باز الله الأشهب"

---

(١) انظر رسالتنا: «جدي الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه» آخر هذا الكتاب#،

وكتابتنا: «الشخصيات الإسلامية» ففيه الحديث أيضًا عن سيدنا الجيلاني قدس الله سره، وانظر

كتابتنا «أعلام التصوف».

"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد"، وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية.

نسبه:

هو: سيدنا أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن سيدنا الحسن بن سيدنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خُزَيْمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدَّ بن عدنان.

مولده ونشأته:

ولد في ١١ ربيع الثاني - وهو الأشهر - سنة (٤٧٠ هـ) الموافق (١٠٧٧ م)، وهناك خلاف في محل ولادته وروايات متعددة؛ أهمها: القول بولادته في جيلان في شمال إيران حالياً على ضفاف بحر قزوين، والقول أنه ولد في جيلان العراق وهي قرية تاريخية قرب المدائن ٤٠ كيلو متراً جنوب بغداد، وهو ما أثبتته الدراسات التاريخية الأكاديمية وتعتمده الأسرة الكيلانية ببغداد.

وقد نشأ الإمام عبد القادر في أسرةٍ وصفتها المصادر بـ(الصالحة)، فقد كان والده أبو صالح موسى معروفاً بالزهد، وكان شعاره مجاهدة النفس وتزكيتها بالأعمال الصالحة؛ ولذا كان لقبه "محب الجهاد".

وتفقه الإمام عبد القادر على عدد من المشايخ، جلس للوعظ سنة ٥٢٠ هـ، وحصل له القبول عند الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، وانتفعوا بكلامه ووعظه.

اشتهر عن سيدنا الشيخ عبد القادر ما يدل على فقهه وعلمه، وظهرت على يديه الكثير من الكرامات، وتاب وأسلم على يديه العديد من الناس.

توفي وعمره ٩٠ عامًا، ودفن في رواق مدرسته سنة ٥٦١ هـ.

أهم قواعد الطريقة القادرية وأسسها:

#### ١- التزام الكتاب والسنة:

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: الجِدُّ والكَدُّ ولزوم الحدِّ حتى تنقذ.

ومعنى (جَدَّ) الجدِّيَّة في سلوك الطريق إلى الله، ومعنى (كَدَّ) بذل الجهد والجوارح والنفس والروح في السير إلى الله من دون هوادة ولا تراخٍ، ومعنى (لزوم الحد) التزام الشريعة وتحليل الحلال وتحريم الحرام والوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها، ومعنى (حتى تنقذ) حتى تجف النفس عن المعاصي والذنوب والشهوات والملذات والأخلاق السيئة ولا يبقى فيها إلا الله جل في علاه.

#### ٢- الاجتماع والاستماع والاتباع حتى يحصل الانتفاع:

ومعنى هذا: الاجتماع بالصالحين والعلماء والمرشدين والأخوة في الله، والاستماع لهم بأدب، وإتباع ما يقولون وما يأمرون من الهدي النبوي، وبذلك يحصل لنا الانتفاع والوصول إلى ما وصلوا إليه.

### ٣- الاعتقاد بشيخ الطريقة العقيدة الصحيحة:

ومعنى هذا أن يحبوه ويحترموه ويقدروه ولا يهملوه، ولا يعظموه فوق الحد المطلوب ولا يغلوا في حبه ولا يعتقدوا فيه العصمة؛ فإنه بشر يخطئ ويصيب لكنه محفوظ بعناية الله، إن أخطأ فسرعان ما يرجع إلى الله ويتوب إليه.

يقول سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه «الغنية»: (يا بني إياك أن تنظر إلى شيخك أنه معصوم، إنما هو بشر يخطئ ويصيب، فإن رأيت منه مخالفة فابحث له عن عذر شرعي، فإن لم تجد له عذراً فاستغفر له الله؛ فإنه بشر يخطئ ويصيب).

### ٤- حب الشيخ:

وهو المراد الحقيقي من السير والسلوك على يد الشيخ المرشد فهو دليلنا إلى حب الله ورسوله، لكن حب الله والرسول مقدم عليه.

### ٥- محبة آل البيت:

وحبهم مقدم على كل من سواهم من الناس؛ لأنهم بضعة النبي ووصيته لأمته، مع الحب والتقدير والإكبار والإجلال للصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين.

### ٦- حب كل الأولياء والصالحين:

وحب مشايخ الطرق الأخرى ومرشديهم، لا يفرقون ولا يميزون بين طريقة وأخرى، ولا يتعصبون لطريقتهم، ولا يطعنون بالطرق الأخرى التي تنهج منهج الكتاب والسنة، وذلك كله مع المحبة والتعظيم والتقدير لطريقتهم ولمشايخهم كما ينبغي أن يكون.

## ٧- الدعوة إلى الله وكثرة الذكر لله تعالى:

فالذكر هو المعراج في السير إلى الله في الطريقة القادرية، فمن أهم أعمال المريد كثرة الأذكار والمداومة عليها وعلى الاستغفار، والصلاة على الرسول بالليل والنهار، وبذلك يرتقي المريد في مقامات المحبة لله ولرسوله، والذكر هو الوسيلة العظمى لتزكية النفس وتربيتها وتحليتها بالأخلاق المحمدية.

وصية الغوث الأعظم سلطان الأولياء والعارفين الباز الأشهب زبدة العارفين ومرشد الطالبين القطب الرباني والغوث الصمداني سيدي محيي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره العالي لكل المريدين والسالكين:

أوصيك بتقوى الله، وحفظ طاعته، ولزوم ظاهر الشرع، وحفظ حدوده. التصوف ما هو مأخوذ عن القيل والقال، بل هو مأخوذ من ترك الدنيا وأهلها، وقطع المألوفات والمستحبات، ومخالفة النفس والهوى، وترك الاختيارات والإرادات والشهوات، ومقاساة الجوع والسهر، وملازمة الخلوة والعزلة. وأوصيك إذا رأيت الفقير ألاّ تبتدئه بالعلم، بل ابتدئه بالحلم والرفق؛ فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه.

وإن التصوف مبني على ثمان خصال:

الخصلة الأولى: السخاء وهي لإبراهيم عليه السلام.

الخصلة الثانية: الرضا وهي لإسحاق عليه السلام.

الخصلة الثالثة: الصبر وهي لأيوب عليه السلام.

الخصلة الرابعة: الإشارة وهي لذكريا عليه السلام.

- الخصلة الخامسة: الغربية وهي ليحيى عليه السلام.
- الخصلة السادسة: لبس الصوف وهي لآدم وموسى عليهما السلام.
- الخصلة السابعة: السياحة وهي لعيسى عليه السلام.
- الخصلة الثامنة: الفقر وهي لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ورد الطريقة القادرية

الاستغفار (٧٠ مرة).

الصلاة على النبي (٣١٣ مرة).

لا إله إلا الله (١١١ مرة).

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الحادي والتسعون

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

الإمام أحمد البدوي رضي الله عنه ١

(٥٩٦ - ٦٧٥ هـ)

شيخ ومريد وبيعة على التزام الطاعة تبدأ بالتوبة الخالصة النصوح، وذكر ومجاهدة، تلك هي عناصر الطريق الصوفي، فماذا يقول المتقدمون على التصوف في طريقة أوّل شرطها: تطهير القلب عمّا سوى الله تعالى، ومفتاحها استغراق القلب بالكلية بذكر الله تعالى، وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى.

هذه دعوة الإمام الذي يزورنا اليوم.

سيّدٌ أحدث دويًا هائلًا في حياته، وما زال هذا الدوي يملأ سمع الوجود على الرغم من أنّ صاحبه الشريف قد فارق الدنيا منذ أكثر من سبعة قرون، فإنّه ما زال يعيش في وجدان الزمن، ورويت عنه قصصٌ تبلغ حدّ الأساطير.

هو من أولئك النفر الذين تعلّموا العلم وعملوا به، وتادّبوا بأدب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشروه بين الناس.

هو غرسٌ طيبٌ في منبت طيب، فوالداه قرشيًّا النسب، ينتهي نسبه إلى جدّي سيدنا علي رضي الله عنه، نزع أجدادهما من مكّة بعد أن استولى عليها الحجاج بن يوسف الثقفي عنوة وضرب الكعبة بالمنجنيق سنة ثلاث وسبعين للهجرة، واستوطنوا مدينة فاس في المغرب، وعاش أجداده بأمان وبقوا يحنّون إلى مكّة موطنهم الأول، وطال بهم المكث ما يزيد عن خمس مئة عام (حتى سنة ٦٠٣ هـ).



يزورنا اليوم سليل بيت النبوة من نسل سيدنا علي زين العابدين بن سيدنا الحسين  
سبط سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.  
إننا مع الإمام الولي شيخ الطريقة البدوية  
سيدنا أحمد البدوي  
رضي الله عنه وأرضاه وأرضانا معه.  
\*إخوة الإيمان\*:

كانت والدة إمامنا تحدّث أنّ هاتفاً قد جاءها في المنام يبشرها بولدها الذي منّ الله  
تعالى به على الكون سنة (٥٩٦هـ)، وكان أصغر إخوته السبعة، وقد تولى والده سيدنا  
علي تربيتهم وتحفيظهم القرآن الكريم، ولد وعلى مفرقه تاج الولاية، وفي أنفاسه عبير  
شجرة النبوة، وشرع في أحضان المغرب يحفظ كتاب الله ويتفقه في الدين (\*واتخذ اللثام  
شعاراً له\*).

وما أن بلغ السابعة حتى انتقلت أسرته إلى رحاب بيت الله الحرام بهاتف هتف بوالده  
في المنام أن يقدم مع أسرته أرض الحجاز، وانتقلت الأسرة المباركة إلى مكّة بعد ما  
استغرقت رحلتها أربع سنوات.

\*أيها الأحبة والصحب\*:

فتحت مكة ذراعيها لاستقبال أسرة البدوي، وقدم أشرف المدينة يهتئون الأسرة  
بعودتها بعد خمسة قرون، وعلى رأس هذا الموكب والي المدينة، وما أن دخلوا البيت حتى  
سأل الوالي:

- أين الشريف أحمد المثلث؟

وتعجبت الأسرة، من أين علم الوالي بالصبي، ونادى الشريف علي ولده، فلما رآه  
الوالي أقبل عليه، وأخذه بين يديه وقال:

- إن جدي رسول الله وصفه لي في المنام وقال: يخرج من المغرب وهو ابن سبع سنين،  
ويدخل مكة وهو ابن إحدى عشرة سنة، وسيكون له شأن وأي شأن.

ثم دفع إليه صرة ممتلئة بالدنانير، فرفض أخذها وشكر الوالي، هكذا كان منذ الصغر  
معرضاً عن الدنيا، وكان لا يتكلم إلا للضرورة القصوى، ويبقى دائماً متطلعاً إلى السماء،  
ولا يلهو مع الصبيان، وكأنه يتلقى الهواتف الإيمانية.

\*معشر السادة\*:

وفي مكة شاء الله أن تكون نقطة البدء الروحي لسيدنا أحمد، بجوار بيت الله الحرام  
ومهبط الوحي وحيث ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبما أن سيدنا أحمد البدوي  
المثلث على القدم المحمدي؛ فلا بد أن يكون فتحه محمدياً بمعنى الكلمة.

هناك أتم سيدنا البدوي حفظ القرآن، وأتقن علم القراءات، وتفقه على مذهب الإمام  
الشافعي رضي الله عنه، وتعلم الفروسية حتى كان هو فارس مكة وشجاعها الذي لا

يُبَارَى، وقد ذُكر أمامه يوماً أَنَّ جَدَّهُ سَيِّدَنَا عَلِيًّا كَانَ يَضْرِبُ فِي الْقِتَالِ بِسَيْفَيْنِ مَعًا، فَصَارَ سَيِّدَنَا أَحْمَدُ يَضْرِبُ بِسَيْفَيْنِ حَتَّى تَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ شَجَاعَتِهِ.

\*إِخْوَتِي فِي اللَّهِ\*:

هَذِهِ هِيَ إِرْهَاصَاتُ وَلايَتِهِ، تَعَبُّدٌ فِي اللَّيْلِ، وَفُرُوسِيَّةٌ فِي النَّهَارِ، يَتَدَرَّبُ عَلَى رُكُوبِ الْخَيْلِ وَالرَّمَايَةِ وَكَأَنَّهُ يَسْتَعِدُّ لِحُوضِ مَعْرَكَةٍ، حَتَّى أُطْلِقُوا عَلَيْهِ: فَتَى الْفَتِيَانِ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ شَقِيْقُهُ الْأَكْبَرُ الْحَسَنُ بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهِ سَنَةَ (٦٢٧هـ) فَقَالَ: (لَمْ يَكُنْ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةَ مِنَ الْفَرَسَانِ أَشْجَعُ وَلَا أَفْرَسُ مِنْ أَخِي أَحْمَدَ، لِذَا سَمِيْتُهُ: الْعَطَابُ).

كَانَ وَرَاءَ هَذِهِ الْفُرُوسِيَّةِ عِنْدَ السَّيِّدِ الْبَدَوِيِّ دَرَجَةٌ مِنَ الشَّفَافِيَّةِ مِنْ كَثْرَةِ الذِّكْرِ، حَتَّى تَحَوَّلَتْ نَبْضَاتُ قَلْبِهِ إِلَى تَسَابِيْحٍ، وَأَصْبَحَتْ جَوَارِحُهُ فِي حَالَةِ صَلَاةٍ دَائِمَةٍ، وَرَجُلٌ هَذَا حَالُهُ يَسْبِقُ كُلَّ أَهْلِ عَصْرِهِ، أَتَدْرُونَ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ سَيِّدَنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ، قَالَ (م):

«سَبَقَ الْمَفْرَدُونَ»، قَالُوا: وَمَا الْمَفْرَدُونَ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيْرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

\*يَا شَبَابُ\*:

الذَّاكِرُ لِلَّهِ تَعَالَى لَا تَفَارِقُهُ رَحْمَتُهُ وَعِنَايَتُهُ، الذَّاكِرُ مَعَ اللَّهِ، أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وَاسْمَعُوا مَعِيَ إِلَى مَا يَقُولُهُ سَيِّدُ الذَّاكِرِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُويهِ عَنِ رَبِّهِ عَزَّ

وَجَلَّ (ق): «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنِ ذَكَرَنِي فِي

نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَإِنِ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ».

الذاكر - يا شباب - ليس عليه خطيئة، لذا شبّهوه بالملائكة، ذكر ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف حين قال (ق): «من قال: سبحان الله وبحمده في يومه مئة مرّة حطّت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر».

الذاكر لله غير غافل، والمقصود في الذكر ذكر القلب، فإن انضاف إليه ذكر اللسان؛ فهو أفضل وأكمل لنيل الثواب، وأمّا ذكر اللسان وحده؛ فقليل الجدوى، لكن الاستدامة على ذلك تكون سبباً لذكر القلب.

أستطيع أن أقول: إن السيد البدوي وصل إلى الله تعالى، وصل إلى الولاية بدوام الذكر، ولذلك قيل: \*الذكر منشور الولاية\*، فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور.

وكان لمكّة أكبر الأثر في ولايته، ففي ربوعها أطلق لروحه العنان، وأقبل على المجاهدات والطاعات بعزيمة الرجال، وأخذت روحه تستمد الفيض الإلهي وتقتبس من نور الأنوار حتى صارت نفسه نوراً، ومن شدة نوره كان يتلثم بثامين بحيث لا يرى الناس منه إلا عينيه، ومن ثم لقب بالبدوي لتوافق مظهره مع مظهر البدو.

\*يا شباب سيدنا محمد\*:

هذا درس لكم، ولكلّ من يريد الوصول إلى الله تعالى والانقطاع إليه. ولازم الصيام ظاهراً وباطناً، وبلغت مجاهداته إلى حدّ أنّه كان يطوي أربعين يوماً لا يتناول طعاماً ولا شراباً، سرت إليه نفحات «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» حتى فتح الله عليه، وظهر عليه الوكّه، وصار لا يكلم الناس إلّا بالإشارة.

وصل السيد البدوي رضي الله عنه إلى قمة الولاية، وسجد قلبه لله إلى الأبد، وصارت حياته كلها وقفًا على الطاعة والمشاهدة، وقد عرض عليه أخوه الشيخ حسن الزواج فأبى وقال:

- أنا موعود ألا أتزوج إلا من الحور العين.

وصار يلتقي بأرواح الأولياء أمثال: جدي سيدنا عبد القادر الجيلاني، وسيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنهما، ويحدثونه، فيعي كل كلمة، ويتعرّف على حقائق الأشياء وأسرار البرزخ، وتكررت هذه الرؤى حتى دعاه سيدنا الجيلاني والرفاعي لزيارة العراق (فرج الله عنها). فقص رؤياه على أخيه حسن، فأشفق عليه من زيارة العراق؛ لأنها برزخ الأولياء وبلاد الصالحين رضي الله عنهم، وتردد سيدنا أحمد البدوي، فإذا بهاتف يهتف به ليلاً:

- قم واطلب مطلع الشمس (العراق)، فإذا وصلت إلى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر إلى طنطا؛ فإن بها مقامك.

\*معاشر المسلمين\*:

أدعوكم الآن جميعًا أن نزور مع سيدنا السيد البدوي وبخدمته أرض العراق، وقد أصبح في سن الثامنة والثلاثين، فاستقبلوا أرواح الأولياء بالترضي عنهم.

وأرى بعين الإيمان واليقين جدي سيدنا الجيلاني وسيدنا الرفاعي معهم وقال له: يا أحمد قد جئناك بمفاتيح العراق واليمن والهند والسند والروم والمشرق والمغرب بأيدينا، فإن كنت تريد أي مفتاح شئت؛ أعطيناها لك، (اطلب المكان الذي تحب أن تشرف عليه من ناحية وظيفة الأولياء، اطلب وتمنّ) فقال لهما:

- أنا منكما، ولكني لا آخذ المفتاح إلا من الفتاح (لا آخذ الإمامة الروحية إلا من الله تعالى).

هذا منتهى الاتصال بالله تعالى، والأولياء يستحيون من الله تعالى أن يبسطوا أيديهم لأحد سواه.

\*أحبتني في الله\*:

لم يترك سيدنا أبو اللثامين مقاماً من مقامات الأولياء في العراق إلا زارها بدءاً من سيدنا الجيلاني وموسى الكاظم في بغداد، ثم الشيخ أبو الوفاء، ثم توجه لزيارة الإمام الرفاعي في قرية أم عبيد المقر الرئيس للطريقة الرفاعية.

وفي هذه القرية - أيها الإخوة - يوجد سيدة تسمى فاطمة بنت بري، كانت ذات جمال أخاذ وأنوثة طاغية، تتصدى بسحرها وجاذبيتها لكل من يدعي أنه من الأولياء، ولا يخضع لفتنة النساء، وكم وقع في هواها المدعون للولاية، وسقطوا في حباتها.

توجه النداء من سيدنا الرفاعي إلى سيدنا البدوي أن يتوجه إلى هذه المرأة لتقويم سلوكها المعوج وتأديبها في الحال، وذكر له خطورة هذه المرأة، وبشره بالانتصار عليها وإخراجها من بؤرة العفن الذي سقطت فيه.

فودع السيد البدوي أخاه وتوجه إلى بنت بري، وصار أهل القرية يقولون:  
(ها هي ضحية جديدة من ضحايا فاطمة).

ووقف التاريخ ليسجل للسيد البدوي نصره على الفتنة والسحر والجادبية والأنوثة، (وهكذا كل شاب من شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)، وفي ليلة أمسك فيها الزمن أنفاسه في قرية أم عبيد التقى السيد بفاطمة بنت بري، فإذا بالمرأة تزول رغبتها في

الرجال، وتدخل هيبة الإمام البدوي قلبها، فتخرجها من عالم الدنس إلى عالم الطهارة،  
تأر لمن سلبتهم من الرجال. فسلبها بإذن الله حالها، فتابت على يديه، وكان يومًا مشهودًا  
بين الأولياء وأهل القرية، ودعته للزواج منها، فردَّ عليها الإمام: لن أتزوج إلا من الحور  
العين.

\*أحبابنا في الله\*:

وسرى نبأ توبة المرأة في القرية وأقبل الناس على السيد البدوي يبائعونه، وأقام بهم  
مجالس الذكر والحضرة، وأدبهم بأدب الشريعة، ثم تركهم وسافر إلى شمال العراق وزار  
قبر سيدنا عدي بن مسافر رضي الله عنه، وختم بها زيارته التي استمرت سنة كاملة.  
عاد بعدها برصيد طيب من السمو القلبي والوجداني، وحدث أخاه الحسن بالرؤى  
التي رآها للأولياء وخاصة مولانا الجيلاني والرفاعي، فقال أخوه الحسن: إنَّ الدعاة إلى  
الله هم مفاتيح الخير، والرفاعي والجيلاني يريدان أن تسير على طريقتهما في الدعوة، وقد  
كان طريقتُهما الكتابُ والسنة، وهذا هو طريق الإسلام الصحيح.

ليسمع المخرّصون الذين يعترضون على التصوف:

\*طريق أهل الله جميعًا\*:\* الكتاب والسنة\*

شعار أهل الله جميعًا:

يا هذه الدنيا أصيخي واشهدي أنا بغير محمّد لا نقتدي

فإلى أين أمر السيد البدوي أن يتجه؟

وفي أي بقعة أسس دعوته وطريقته؟

ولماذا كان يُعدُّ نفسه بالفروسية وضرب السيف؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق



## الدرس الثاني والتسعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الإمام السيد البدوي رضي الله عنه ٢

في أعلى قمة الولاية لله عز وجل تربع الأقطاب المحمّديون الذين سبّحت أرواحهم في محيط النور المحمّدي، وجالت قلوبهم في حضرة الجمال القدسي، فاستمدت ذواتهم من نور الأنور، وشربت من رحيق الأسرار، وتحققت بكمالات الإرث المحمّدي الذي نالت بفضلته شرف الإمامة وتربّعت على عرش الكرامة، قلوبهم بذكره أحيائها، ومن الأرجاس والأكدار طهرها وجلّأها، أحياءهم الدين ونفع المريدين، وجلّأهم عن القلوب الصدأ، وأغاث بهم العباد، وأصلح بهم البلاد، هم الناطقون بالحق عن الحقيقة، والمرشدون إلى سلوك الطريقة، أولئك هم خواص الحق تعالى، الذين استخلصهم لنفسه، وأجلسهم على بساط أنسه، وقربهم إلى حضرة قدسه، وجعلهم شهود حضرته، وجنود مملكته، فافهم هذا أيها المسلم، وأصغ إلى ما قال فيهم المعلم:

فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه وأرواحهم في الحجب نحو العلى تسري  
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم وما عرجوا عن مسّ بؤس ولا ضر  
همومهم جواله بمعسكر به أهل الله كالأنجم الزهر

\*فالولي\* - يا سادة - \*تولّى طاعة الله تعالى، فتولّى الله أمره فلم يكله لغيره طرفة

عين\*.

الولي عبدُ ظاهر الصلاح، عارف بالله وصفاته حسب الإمكان، مواظب على الطاعات، مجتنب للمعاصي، غير منهمك بالشهوات ولو كانت مباحة، وهو على قدم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، تظهر على يديه الكرامات لتدل على مكانته عند الله؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

وفي الذروة العليا ممن ترَبَّعوا على عرش الولاية الربَّانيَّة والوراثة المحمَّدية الإمام العارف بالله قطب الأقطاب في عصره، وسلطان العارفين الأصفياء، باب الحضرة المحمَّديَّة سيدنا الإمام أحمد البدوي.

فقد انعقد إجماع الأمة على إمامة القطب البدوي للأولياء، وبلوغه الذروة العليا في الولاية والمعرفة، بيد أن حقيقة أبي اللثامين لم يقف عليها عارف، وحسب الناس أن يستضيئوا بنور الشمس، ولا عليهم أن يحيطوا بجوهرها أو يصلوا إلى كنهها.

رضي الله عنه وأرضاه وأرضانا معه

\*إخوة الإيمان\*:

تركت مع حضراتكم سيدنا البدوي يتحوَّل من العراق إلى مصر بعد أن أمر أن يتوجَّه إلى طنطا سنة (٦٣٤هـ) ليقم فيها، ويربِّي بها الرجال، ويتَّخذها مقراً لطريقته.

وأرى بعين الإيِّان واليقين الإمام يتَّجه نحو مصر ليس معه دينار ولا درهم، ولا يرتدي إلاَّ الجاكيت الأحمر واللثامين والعمامة الحمراء، لم يثر فضول أحد؛ كالمعتبين الذين لا يَسترعون انتباه أحد، وكما تدل رائحة العبق على الزهرة فقد دلَّ على السيد البدوي سلوكه العجيب، سبقه صيته إلى مصر، وخرج الملك الظاهر بيبرس ليستقبل القادم العظيم، ويحتفل به هو وعسكره، وأنزله دار ضيافته وباعه على طريقته، ثم توجَّه إلى طنطا، واتَّخذ من سطح دار الشيخ ركين مقراً له، لا يرى أحداً، ولا يراه أحد، وصار

يقوم الليل ويشخص ببصره إلى السماء حتى انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقّد كالجمرة، صمتٌ دائمٌ، عباداتٌ قلبيةٌ، وزهدٌ في الطعام والشراب.

سمع بالسيد البدوي أهل طنطا والبلاد المجاورة لها، فأقبل عليه الناس، واختار منهم أربعين رجلاً من خيرة الزاهدين الصالحين يطلبون صحبته، ويرغبون في الاستهداء به، هؤلاء الأربعون كانوا نواة الدولة الصوفية التي أسّسها السيد البدوي ورعاها، وأخذ عليهم العهد:

١ - ألا يخوضوا فيما يخوض فيه الناس من لغو الحديث.

٢ - وأن يكون نطقهم ذكراً.

٣ - وصمتهم فكراً.

٤ - ونظرهم عبرة.

٥ - وأمر كلاً منهم أن يتخذ صنعة ليأكل من عمل يده؛ لأنّ العرق يطهر الخطايا كما يطهره الوضوء (\*ومن أمسى كالأ من عمل يده أمسى مغفوراً له ذنبه\*) كما قاله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦ - ثم عيّن لهم يوماً ليُدربهم على حمل السلاح لمواجهة أعداء الأمة من الفرنجة؛ لأنّ الدفاع عن الأرض واجبٌ مقدّس (\*ومن قُتل دون أهله فهو شهيد\*) قولوا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

\*إخوتي في الله\*:

نهج هؤلاء هذا المنهج، وبدؤوا يزدادون يوماً بعد يوم، وبدأ الإمام يفقههم في الدين ليكونوا دعاة على علم، تعلّموا فيه ألا يناموا إلا على وضوء، وأن تكون صحائفهم سامية طاهرة، صادقة في مسيرتها إلى الله تعالى، وحمل القوم الراية بصدق وأمانة، تعلّموا الفروسية ودرسوا مذهب الإمام الشافعي، وتعلّموا تجويد القرآن، وشعروا أنّهم قرييون من الله تعالى، لم يزعج أحد منهم أنّه طار في الهواء، أو مشى على الماء، أو أحيا الموتى بإذن الله تعالى، إنّما كانوا على صلة قوية بالله تعالى، وهم يتعلّمون على سطح الدار عند شيخهم حتى عُرفوا بالسطوحية، وجاءت الساعة التي أُعدّها لها الإمام منذ نشأته، وهياً الأبطال حولها، نادى داعي الجهاد ضدّ الفرنسيين، وأمر الإمام أبطاله أن يهيبوا بأهل القرى ويحرضوا الناس على الجهاد، والتفت حولهم العسكر المؤمنة، وهبّت عليهم ريح الجنّة طيبة زكية، واندفع أهل الإيمان بقيادة السيد البدوي يستأصلون شأفة الفرنسيين، ويزلزلون الأرض تحت أقدامهم، وكانت العقيدة أقوى سلاح في المعركة، وتهافت الناس على الشهادة، وذكرت لهم خوارق كالتي نسمعها عن كرامات الأولياء.

هذه هي الصوفية الصادقة، جهاد النفس وجهاد العدو، المتصوّف الحقيقي هو من يُسهم في نهضة بلده ورقية، زراعة وصناعة وأمرًا بمعروف ونهيًا عن المنكر من غير عنف ولا قهر ولا إكراه.

أتعرفون ماذا فعل هو وجيشه؟

لقد أنزل بهم أبشع الهزائم، حيث أطلق على الفرنسيين مياه النيل وهم في طريقهم إلى المنصورة، فمات أكثر من ثلاثين ألف جندي فرنسي، وأسر الملك لويس التاسع، وحبسّه عنده، ولم يطلق سراحه إلاّ بفدية من فرنسة بعد أربع سنوات.

وجاءت إليه امرأة تذكر له أن ابنها أسير، وهي ترجوه أن يفك ابنها من الأسر، فإذا بالإمام يمد يده في الهواء ثم يعيدها ثم يقول: ابنك صار في البيت، وتكررت هذه الكرامة منه حتى لقب بجلاب الأسير.

هذا الدور العظيم للإمام دعا الأيوبيين حكّام البلاد لأن يتعرّفوا على حال هذا الرجل العظيم الذي وراءه هذا الجيش الضخم من المريدين، فأرسلوا له جواسيس منهم لينخرطوا بينهم بدعوى أنهم يريدون، فلمّا رأوه رجلَ دين وليس رجل سياسة انضوا تحت لوائه وصاروا من أتباعه، فلمّا اطمأن الأيوبيون إلى الرجل؛ أرسلوا إلى قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ليتعرّف على هذا الرجل، ففكّر ابن دقيق العيد بمَن ينجز هذه المهمة، فأرسل إلى الشيخ عبد العزيز الدريني، وكان من أساطين العلم وسدنة الفقه والتشريع.

كان الإمام الدريني يفكر طوال الطريق من القاهرة إلى طنطا في أعوص المسائل الفقهية من كتاب جعله في كفه، ليطرحها على الإمام بهدف استكشاف مستواه العلمي. فما أن دخل عليه حتى قال له الإمام: - لماذا تحمل في كحك كتاب الشجرة، جئت تسأل عن العلم، وكتاب الشجرة في كحك. فتماسك الدريني.

وعلى سطح داره دارت المناظرة، حجة تقارع حجة، ودليل يضارع دليلاً، ورأي يناهض رأياً، كلُّ هذا والسيد البدوي هو الفارس المجلي، وبعد ساعات رفع الشيخ الدريني يده معلناً ختام المناظرة، ثم قبّل يد السيد البدوي، وعاد إلى القاهرة، ودخل على قاضي القضاة ابن دقيق العيد، وألقى أمامه قبلة على مسمعه وقال: لقد أصبحت من أتباع السيد البدوي، ووجدته بحرًا في العلم لا يدرك له قرار، وقال لي حين ودعته: أبلغ

شيخ الإسلام الذي أرسلك أن المصحف المعلق في صدر حجرته به خطأ، الأول في سورة الرحمن، والثاني في سورة يس.

أسرع ابن دقيق العيد وبحث في السورتين في مصحفه المخطوط، فوجد الخطأين، فظَلَّ مبهوتًا مشدوهًُا: لقد صدق السيد البدوي.

ثم قرر ابن دقيق العيد أن يذهب بنفسه إلى الإمام البدوي.

وابن دقيق العيد (محمد بن علي ٦٢٥ - ٧٠٢ هـ) من أساطين العلم، تعلَّم بدمشق والإسكندرية والقاهرة، وتفقَّه على المذهب المالكي وأتقنه، ثم انتقل إلى المذهب الشافعي فأحاط به، وصار يفتي على المذهبين، وتوفي بالقاهرة).

وانطلق الإمام إلى الإمام، انطلق بحر الشريعة إلى بحر الحقيقة، وهو يتمنى أن يفوز عليه فوزًا عظيمًا ليخفت صوت الشعبية التي حظى بها السيد البدوي، فالتقى البهران (على السطح)، ونظر إلى أتباعه في صمتهم وسكوتهم وعمائمهم الحمر يشكلون منظرًا غريبًا يملأ النفس رهبة، فقال في نفسه:

- رباه ماذا أرى، إنهم قوم مجانيين.

ثم تقدَّم وسلَّم على السيد البدوي، فقال له السيد:

- مجانيين، إلا أن جنونهم عزيز، على أعقابهم يسجد العقل.

ارتبك الإمام ابن دقيق العيد وتماسك، وسأله عن الطريقة الأحمدية وأركانها.

ووقف الزمان، وأنصت الإنس والجان، وسمعوا الإمام السيد البدوي يقول:

(طريقتنا مستمدة من الكتاب والسنة، من خالفها فليس منا، والمريد الصادق هو من

يعيش طاهر القلب نقي السريرة، لا تتخالجه خواطر تحجبه عن الله تعالى، ويشترط فيه:

أن يكون صادقاً، صابراً على المكروه، وفياً بالوعد غير حانث بالعهد، مستقيماً على الطريقة، يأكل من عمل يده، يُطعم الجائع ويكسو العاري، ويُغيث الملهوف، يعبد الله في السرِّ مثلما يعبد في العلانية، يحافظ على الصلوات في أوقاتها، يصون جوارحه عن المعصية، يُعرض عن الدنيا وزينتها، مكتفياً بما يُقيم أودّه، ينتظر الموت أن يأتيه في أية لحظة، يندم على الوقت الذي يمرُّ عليه دون أن يذكر الله فيه، يتمثل الصراط وهو ما ر عليه، وجهنم وهو واردها، يتخيل موقفه أمام الله وأعضاؤه تشهد عليه، يستحي من الله أن يراه في حالة تُغضبه.

هذه أولى الملامح الخاصة بالمريد وعند الله المزيد).

تصوروا الإمام ابن دقيق العيد، الذي درس الشريعة ووصل إلى أعلى مناصب القضاء في الدولة، يكتشف أنه وُلِدَ من جديد في جلسة واحدة، ويُقرَّر أن يصبح واحداً من أتباع السيد البدوي، ويعود إلى القاهرة ذاكراً من الدرجة الأولى.

\*أيها الأحبة والصحب\*:

عاش السيد البدوي تسعة وسبعين عاماً، وكما قيَّض الله لسيدنا إبراهيم بن أدهم خادمه إبراهيم بن بشار ليحفظ وصاياه ويُدوّن تعاليمه، فكذلك قيَّض الله للسيد البدوي تلميذه عبد العال الفيشاوي ليصب في ذاكرة التاريخ الحُكم الغوالي والعظات البليغة التي قالها السيد البدوي.

\*معاشر المسلمين\*:

لم يكن الإمام ينزل من السطح إلاً لصلاة الجمعة والجماعة، وكان أغلب وقته صامتاً يُناجي الله في سرِّه ويمجده، حتى اختاره الله لجواره في (١٢) ربيع الأول سنة (٦٧٥هـ).

ودَوَّى نَبأ موته كما يحدث زلزال يهز الأرض هزًّا، وصار الناس يتهامسون: إِنَّ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَى السَّيِّدِ الْبَدَوِيِّ أَنْ يَمُوتَ فِي الْيَوْمِ نَفْسَهُ الَّذِي وَلَدَ وَمَاتَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَدُّوا ذَلِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ.

وحضر مریدوه لیغسلوه، فدخلوا على غرفته، وأرادوا حمله إلى المغتسل، فإذا بالكرامة تحدث، إذ بالسيد البدوي يقوم من فراشه حيًّا ويقول: \*أنا أغسل نفسي\*.

فدخل فاغتسل غسل الموت، ثم عاد إلى فراشه ثانية ومات.

وقامت الدنيا ولم تقعد لهذه الكرامة الأخيرة، وصلوا عليه، وبايعوا خليفته عبد العال على الطريقة، وصار المریدون يحضرون كل عام في (١٢) ربيع الأول يزورون شيخهم ويقيمون مولدًا، صار احتفالًا سنويًا ما زال يكبر ويكبر ويتضخم حتى يجتمع مئات الآلاف، وبُني بجوار قبره مسجد السيد البدوي، وبجواره زاويته، وفيها عمامته وقميصه وعصاه وسبحته التي جاء بها من العراق، وتتكون من ألف حبة، وتحولت طنطا لوجود ضريح السيد البدوي فيها إحدى العواصم الكبرى في مصر.

إِنَّ السَّيِّدَ الْبَدَوِيَّ سِيرَةً وَتَارِيحًا لَيْسَ بِأَسْطُورَةٍ شَعْبِيَّةٍ، لَكِنِّهَا وَلايَةٌ لا أَظْنُهَا تَخْتَفِي مَا دَامَتْ وَلايَةُ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَادَامَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتْلَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

المصادر:

- جوهرة الدسوقي
- العارف بالله أبو العباس الفتى البدوي أبو اللثامين.
- شذرات الذهب لابن العماد ٦٠٢/٧
- السيد البدوي عبد المنعم قنديل - نهضة مصر
- السيد أحمد البدوي سعد القاضي دار غريب - القاهرة



- العظة والاعتبار في حياة السيد البدوي - أحمد محمد جي

- أعلام الصوفية د. جوي المهدي

- النجوم الزهرة ٧ / ٢٥٢ لابن تغري بردي

- النصيحة العلوية للإمام نور الدين الحلبي

- دائرة المعارف الإسلامية (السيد أحمد البدوي)

- الأعلام للزركلي ١ / ١٧٥

- الإمام الشعراني الطبقات الكبرى ١ / ١٨٣

- الموسوعة الصوفية ١٥٧ للحنفي

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الثالث والتسعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الإمام عبد الوهاب الشعراني

عرّف الشعراني نفسه في كتابه «لطائف المتن»، فقال:

«فإني بحمد الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوفا، ابن الشيخ موسى المكنى في بلاد البهنسا بأبي العمران، جدي السادس ابن السلطان أحمد ابن السلطان سعيد ابن السلطان فاشين ابن السلطان محيا ابن السلطان زوفا ابن السلطان ريان ابن السلطان محمد بن موسى ابن السيد محمد ابن الحنفية ابن الإمام علي بن أبي طالب»، أبو المواهب الشعراني، الأنصاري، الإمام، الفقيه، المحدث، الأصولي، الشافعي، الأشعري، الصوفي المربي، الشاذلي، المصري، ويكنى أيضًا بأبي عبد الرحمن وأبي محمد نسبة إلى ولده.

#### ولادته:

ولد الإمام عبد الوهاب الشعراني في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة (٨٩٨هـ)، واختار ذلك وأثبتته تلميذه الإمام المناوي.

وكان مكان ولادته في مصر، كما قال ولده عبد الرحمن: ولد والدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني في دار جده لأمه بقرية من إقليم القليوبية بمصر، تسمى (قلقشندة).. ثم جيء به بعد أربعين يومًا من مولده إلى قرية أبيه (ساقية أبي شعرة) المنوفية على نهر نيل مصر، تجاه بلد يقال لها: البراشيم، بإقليم القليوبية، وإليها انتسب فلقب بالشعراني.

#### نشأته:

نشأ الإمام الشعрани في قريته يتيم الأم والأب؛ إذ فقدهما في سن مبكرة، فقام أخوه الشيخ عبد القادر الشعрани بكفالته وتولاه بالرعاية، فكان كالأب الحنون المشفق على أبنائه، وترتب على ذلك عظيم الأثر في شخصيته التي تكونت فيما بعد آخذةً مسارًا خاصًا جمع بين العلم الذي برع فيه وواظب على تحصيله وحفظه، وبين العمل الذي ظهر واضحًا عليه؛ وهو توجهه الصوفي السلوكي الذي عرف به واشتهر حتى أصبح في مصاف العلماء الأعلام.

وقد حدّث الشعрани عن نفسه في تلك المرحلة فقال: "ومما منّ الله تبارك وتعالى به علي وأنا صغيرٌ ببلاد الريف حفظُ القرآن وأنا ابن ثمان سنين، وواظبت على الصلوات الخمس في أوقاتها من ذلك الوقت....ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ حفظُ متون الكتب، فحفظت أولًا «أبا شجاع»، ثم «الأجرومية» في بلاد الريف، وحللتها على أخي الشيخ عبد القادر بعد وفاة والدي".

بعد حفظه للقرآن الكريم التقى بالحافظ الإمام جلال الدين السيوطي، ويحدثنا عن هذا اللقاء الذي تُوجَّح بأن ألبسه السيوطي الخرقة الصوفية علامة على نجابته، وقد حظي بذلك ولم يتجاوز من العمر الثالثة عشرة سنة يقول: "لبست الخرقة -وهي عرقية وجبة ورداء- من يد حافظ العصر الشيخ جلال الدين السيوطي حين اجتمعت به مع والدي في روضة المقياس بمصر المحروسة في الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة وتسع مئة".

شيوخه:

يذكر الشعراي في كتابه "الطبقات الكبرى" شيوخ العلم والتصوف الذين أخذ عنهم العلوم والآداب، وكان يجلهم ويحترمهم، وأوصلهم نحو خمسين شيخًا؛ فمن مشايخه في العلم:

- الإمام الكبير الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي.
- الشيخ أمين الدين الإمام والمحدث بجامع الغمري.
- الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الدواخلي.
- الشيخ شمس الدين السمانودي.
- الإمام شهاب الدين المسيري.
- الشيخ نور الدين المحلي.
- الشيخ نور الدين الجارحي المدرس بجامع الغمري.
- الشيخ نور الدين السنهوري الضرير الإمام بجامع الأزهر.
- الإمام الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد القسطلاني.
- الشيخ صلاح الدين القليوبي.
- الشيخ نور الدين بن ناصر.
- الإمام المتقي الهندي.
- الإمام العلامة نور الدين علي الأشموني الشافعي.
- الإمام العلامة المحقق برهان الدين بن أبي شريف المقدسي.
- الإمام شهاب الدين الحنبلي.

- الإمام شهاب الدين الرملي المصري الشافعي .
  - الإمام ناصر الدين اللقاني .
  - ومن مشايخه في التصوف :
  - الإمام شيخ الإسلام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الشافعي .
  - الشيخ نور الدين المرصفي .
  - الشيخ نور الدين علي الشوني الشافعي .
  - الشيخ محمد الشناوي .
  - الشيخ أبو العباس الحرثي .
  - الشيخ العارف بالله تعالى علي الخواص البُرُلُسي، وهو عمدته في التصوف .
- تصوفه :

كان الإمام الشعрани صوفياً في توجهه الذي اتخذه في حياته، يقول عن نفسه متحدثاً بنعم الله عليه في كتابه «لطائف المنن والأخلاق»: "... ثم إلهامي لمجاهدة نفسي بغير شيخٍ لما تبهرت في العلم، ثم بشيخٍ ليساعدني على إزالة الموانع التي توقفتني عن العمل بما علمته".

إلا أنه لم يكتف بذلك، بل ظل يبحث عن شيوخ التصوف إلى أن التقى بعدد كبير منهم، فأصبح يبين أصول التصوف التي أخذها عنهم في مقدمة كتابه «الطبقات الكبرى»، قال في ذلك: "في بيان أن طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة، وأنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء، وبيان أنها لا تكون مذمومة إلا إن خالفت صريح القرآن أو السنة أو الإجماع لا غير، وأما إذا لم تخالف؛ فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل

مسلم، فمن شاء فليعمل به، ومن شاء تركه، ونظير الفهم في ذلك الأفعال، وما بقي باب  
للإنكار إلا سوء الظن بهم وحملهم على الرياء، وذلك لا يجوز شرعاً.

بعدها ذكر مفهوم علم التصوف وخصائصه، بقوله:

" ثم اعلم -يا أخي رحمك الله- أن علم التصوف عبارة عن علم انقذح في قلوب  
الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، فكل من عمل بهما انقذح له من ذلك  
علوم، وآداب، وأسرار، وحقائق، تعجز الألسن عنها؛ نظير ما انقذح لعلماء الشريعة من  
الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامهم، فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام  
الشريعة إذا خلا عمله من العلل وحظوظ النفس؛ كما أن علم المعاني والبيان زبدة علم  
النحو، فمن جعل علم التصوف علماً مستقلاً صدق، ومن جعله من عين أحكام الشريعة  
صدق؛ كما أن من جعل علم المعاني والبيان علماً مستقلاً؛ فقد صدق، ومن جعله من جملة  
علم النحو؛ فقد صدق".

ثم قام بتأصيل هذا العلم، وبيان أنه من معين الشريعة التي يتوصل بها إلى الأحكام  
الشرعية، بقوله: " لكنه لا يشرف على ذوق علم التصوف المتفرّع من عين الشريعة إلا من  
تبخر في علم الشريعة حتى بلغ إلى الغاية، ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم، وتبحر فيها؛  
أعطاه الله هناك قوة الاستنباط؛ نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء، فيستنبط في الطريق  
واجبات، ومندوبات، وآداباً، ومحرمات، ومكروهات، وخلاف الأولى؛ نظير ما فعله  
المجتهدون، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب  
ولي الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه؛ كما صرح بذلك الياضي  
وغيره".

## تلاميذه:

- أما عن تلاميذه فنقتصر على بعضهم؛ وهم:
- الإمام الكبير عبد الرؤوف المناوي الشافعي.
- الشيخ العلامة عبد الرحمن بن الشيخ عبد الوهاب الشعراني.
- الإمام العلامة شهاب الدين أحمد الكلبي المالكي.
- الإمام محمد حجازي بن عبد الله القلقشندي الواعظ.

## آراؤه العقديّة:

يرى أن عقيدة الأشاعرة والماتريدية هي عقيدة السواد الأعظم من هذه الأمة وهي العقيدة التي تبناها ودافع عنها في كتبه العقديّة إذ يقول: "ثم لا يخفى عليك يا أخي أن مدار جميع عقائد أهل السنة والجماعة يدور على كلام قطين؛ أحدهما: الشيخ الإمام أبو منصور الماتريدي، والثاني: الشيخ الإمام أبو الحسن الأشعري، فكل من تبعهما أو أحدهما اهتدى، وسلم من الزيغ والفساد في عقيدته، وقد ظهر أتباع الماتريدي فيما وراء نهر سيحون، وظهر أتباع الشيخ أبي الحسن في أكثر البلاد كخراسان والعراق والشام ومصر والمغرب، وغير ذلك من البلاد الإسلامية؛ فلذلك صار غالب الناس يقولون إذا مدحوا عالماً: فلان عقيدته أشعرية صحيحة، وليس مرادهم نفي صحة عقيدة غير الأشعري من الماتريدية وغيرهم من أئمة الكلام السابقين على الإمام الأشعري".

وفي بيان ملخص اعتقاد الإمام الشعراني - كما هو مثبت في كتبه المعتمدة - يقول: "اعلم رحمك الله يا أخي أنه ينبغي لكل مؤمن أن يصرح بعقيدته وينادي بها على رؤوس الأشهاد، فإن كانت صحيحة شهدوا له بها عند الله تعالى، وإن كانت غير ذلك بينوا له

فسادها ليتوب منها، ... فيا إخواني، ويا أحبائي؛ رضي الله عنا وعنكم: أشهدكم أني أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه أني أقول قولاً جازماً بقلبي: إن الله تعالى واحد لا ثاني له، منزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، ملك لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده، بل كل موجود سواه مفتقر إليه في وجوده".

ويختتم كلامه بقوله:

"فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت إليه يؤديها إذا سئلها حيثما كان، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة إلى قيام الساعة، وهي بحمد الله عقيدتنا، عليها حيننا، وعليها نموت، نفعنا الله تعالى بهذا الإيمان، وثبتنا عليه عند الانتقال إلى الدار الحيوان، وأحلنا دار الكرامة والرضوان، وحال بيننا وبين دار سرايل أهلها من قطران، وجعلنا من العصاة التي تأخذ كتبها بالإيمان، ومن انقلب عن الحوض وهو ريان، ورجح له الميزان، وثبت منه على الصراط القدمان، إنه المنعم الحنان، آمين اللهم آمين".

أقواله في الآيات المتشابهة:

ويتلخص قوله في أنه يجب الإيمان بهذه الآيات على مراد الله تعالى، مع وجوب تنزيهه تعالى عن ظاهر تلك الألفاظ التي توهم التشبيه بالمخلوق، وهذا هو الأسلم، وذهب أن التأويل عموماً لا يوافق الأدب مع الله تعالى، ولكن إذا دعت له ضرورة أو مصلحة؛ فإن للعلماء أن يؤوّلوا من غير جزم بأن هذا هو مراد الله تعالى.

ثم بين أصل المسألة وعرض أقوال العلماء فيها، فقال: "إن أهل الله تعالى قاطبة أجمعوا على أنه يجب الإيمان بآيات الصفات وأخبارها على حد ما يعلمه الله تعالى، وعلى



حد ما تقبله ذاته المقدسة، وما يليق بجلاله، ولا يجوز لنا رد شيء من ذلك، ولا تكييفه، ولا نسبة ذلك إلى الحق جل وعلا على حد ما ننسبه إلينا؛ وذلك لأننا جاهلون بذاته تعالى في هذه الدار، وفي الآخرة لا ندري كيف يكون الحال؟؟ وكل من رد شيئاً أثبتته الحق تعالى لنفسه على السنة رسله؛ فقد كفر بما جاء من عند الله، وكل من آمن ببعض ذلك وكفر ببعض؛ فقد كفر بذلك، وكل من آمن بذلك، ولكن شبهه في نسبة ذلك إليه مثل نسبته إلينا، أو توهم ذلك، أو خطر على باله، أو تصوره، أو جعل ذلك ممكناً...؛ فقد جهل وما كفر".

وتطرق إلى آيات الصفات، وذكر أن الأصل هو التفويض مع التنزيه، وهو ما ذهب إليه العلامة إبراهيم اللقاني المالكي في «جوهرة التوحيد» حيث قال:

وكلُّ نصٍّ أوهمَّ التشبيهاً أوَّلُهُ أو فَوْضٌ ورُمُّ تنزيهاً

وأما التأويل فهو جائز بحسب ما يراه العلماء، ويجب عليهم إذا اضطروا إليه، وقال فيه: "...اللهم إلا أن يؤول أحدهم شيئاً منها بمصرف شرعي لمن رأى عنده ضعف إيمان، فمثل ذلك لا حرج عليه في التأويل، بل قد يجب".

أقواله في مسألة الحلول والاتحاد:

لما كانت هذه العقيدة فاسدةً وأساسها باطل، تصدى لها الشعراي بقوة فقال: "لا حلول ولا اتحاد؛ إذ القول بذلك يؤدي أنه تعالى في أجواف السباع والحشرات والوحوش!! وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً".

وقال أيضًا نقلًا عن الإمام محيي الدين بن عربي في (باب الأسرار):  
"من قال بالحللول فهو معلول، وهو صاحب مرض لا يزول، ومن فصل بينك وبينه،  
فقد أثبت عينك وعينه... ولم يقل بالاتحاد إلا أهل الإلحاد..."

مؤلفاته:

ذكر أنه خَلَّفَ فيها كتبًا كثيرة في موضوعات شتى، منها:  
- «الفتح المبين في جملة من أسرار الدين».  
- شرح على «منازل السائرين».  
- شرح على «حكم ابن عطاء الله».  
- «ترتيب الحكم» للشيخ علي التقي سباه «فتح الحكم بشرح ترتيب الحكم»، لكنه لم  
يكمل.

- شرح على «رسالة ابن سينا في التصوف» سباه «إرسال أهل التعريف».  
- شرح قصيدته العينية.  
- شرح على «المواقف التقوية»، لم يكمل.  
- شرح على «رسالة الشيخ ابن علوان في التصوف».  
- كتاب «منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين».  
- كتاب في التشريح والروح وما به صلاح الإنسان وفساده.  
- كتاب في دلائل خلق الإنسان.  
- شرح على «ألفية ابن الوردي» في المنامات.

- شرح على «منظومة ابن العماد» في آداب الأكل سماه «فتح الرؤوف الجواد» وهو أول

كتاب شرحه في الآداب.

- كتاب في آداب الملوك سماه «الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية».

- كتاب في الطب سماه «بغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج».

- كتاب «سماه الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود».

- كتاب في تاريخ الخلفاء.

- تذكرة فيها رسائل عظيمة النفع.

- كتاب «الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية».

- كتاب «الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق».

- كتاب «البحر المورود في المواثيق والعهود».

- كتاب «البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير».

- كتاب «الطبقات الصغرى».

- كتاب «الطبقات الكبرى» المسماة بـ«لواقح الأنوار في طبقات الأخيار».

- كتاب «الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية».

- كتاب «الطبقات الوسطى».

- كتاب «الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة» وهو موسوعة في علوم القرآن،

والفقه وأصوله، والدين، والنحو، والبلاغة، والتصوف.

- كتاب «كشف الغمة عن جميع الأمة» في الفقه على المذاهب الأربعة.

- كتاب «لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحديث بنعمة الله على الإطلاق» وهي (المنن الكبرى) في التصوف والأخلاق الإسلامية.
- كتاب «لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية».
- كتاب «المختار من الأنوار في صحبة الأخيار».
- كتاب «مختصر الألفية لابن مالك» في النحو.
- كتاب «مختصر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» (تذكرة القرطبي).
- كتاب «مختصر تذكرة الإمام السويدي» في الطب.
- كتاب «تذكرة شهاب الدين أحمد سلاقة القليوبي الشافعي».
- كتاب مختصر كتاب «صفوة الصفوة» (لأبي الفرج ابن الجوزي).
- كتاب «مشارك الأنوار في بيان العهود المحمدية».
- كتاب «المقدمة النحوية في علم العربية».
- كتاب «الميزان الكبرى» في الفقه الإسلامي، ومذاهب أصول الفقه، وهو مدخل لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم.
- كتاب «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر».
- كتاب «الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر»، يدافع فيه عن الشيخ محيي الدين بن عربي.
- كتاب «درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص».

ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه كثير من العلماء من أصحاب الطبقات والتراجم، بكلام يدل على مكانته

العلمية والخلقية؛ منهم:

- قال عنه الإمام عبد الرؤوف المناوي:

"شيخنا، الإمام العامل، والهام الكامل، العابد الزاهد، الفقيه المحدث، الصوفي

المربي المسلك، من ذرية الإمام محمد ابن الحنفية، ولد ببلده، ونشأ بها، ومات أبوه وهو

طفل، ومع ذلك ظهرت فيه علامة النجابة، ومخايل الرئاسة والولاية".

- وقال عنه الإمام المحدث المؤرخ نجم الدين الغزي:

"الشيخ العالم العارف الشعراني؛ نسبة إلى قرية أبي شعرة، المصري الشافعي

الصوفي... كان رحمه الله من آيات الله تعالى في العلم، والتصوف، والتأليف".

- وقال عنه الشيخ عبد الحيّ الكتاني رحمه الله:

"هو الإمام، الفقيه، المحدث، الصوفي، العارف، المسلك، أبو المواهب عبد الوهاب

بن أحمد الشعراني".

- وقال عنه الدكتور عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر الراحل رحمه الله:

"إنه كان عالماً مستنيراً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، فهاله أن تتضارب آراء

الفقهاء فيما بينهم، فحاول أن يضع بتأليفه المتعددة وآرائه الثاقبة منهجاً صحيحاً يوفق فيه

بين هذه الآراء المتضاربة والمذاهب المختلفة؛ حتى يبذل ما علق بالأذهان من شبهات

واختلافات، وكان سباقاً في هذا الميدان، وتأليفه الكثيرة هي التي تشهد بذلك".

وفاته:

أصيب الشعراني بالفالج، وبقي مريضًا به ثلاثة وثلاثين يومًا إلى أن توفي في القاهرة بمصر، يوم الاثنين بعد العصر، ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة ٩٧٣ هـ، وحمل إلى الجامع الأزهر في مشهد من العلماء والفقهاء والأمراء والفقراء، حيث صلوا عليه ودفن بجوار زاويته، في المدفن الذي أنشأه وأعدّه له أحد تلاميذه؛ وهو الأمير حسن...

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه «الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية»: (ومما وقع لي وأنا طائف بالبيت في سنة سبع وأربعين وتسع مئة أنني نظرت في قلبي فلم أعرف دعاءً واحدًا مما ورد أن أقوله في الطواف، فسمعت قائلًا يقول لي من داخل الحجر: قل:

اللهم أفرغ عليّ من الأخلاق المحمدية ما أتحمّل به الأذى من جميع العباد، اللهم أفرغ علي من الأخلاق المحمدية ما أتلقى به جميع الأقدار الجارية علي بالرضا والتسليم، اللهم أفرغ علي من الأخلاق المحمدية ما أكون به هاديًا مهديًا، اللهم أفرغ علي من الأخلاق المحمدية ما تصير به حركاتي وسكناتي كلها مرضية عندك، اللهم أفرغ علي من الأخلاق المحمدية ما أتجمّل به بين يديك في الدنيا والآخرة.

فكانت بعد ذلك هي أكثر دعائي).

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

الدرس الرابع والتسعون

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

الإمام الشيخ عبد الغني النابلسي

(1050-1143هـ) (1641-1731م)

هو الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي.

نسبه:

ينسب الشيخ إلى الخليفة الراشدي سيدنا عمر بن الخطاب، ولقد حُرر هذا النسب

عام 1246هـ في كتاب جليل محفوظ عند أسرة النابلسي حفظهم الله.

وأصل أسرته من حماة، وجده الثاني عشر برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة

ولد بحماة سنة 596هـ، ثم انتقل إلى دمشق ليتلقى العلوم، وفي عام 675هـ قصد بيت

المقدس لزيارته، فمات بعد وصوله بأيام، فبقيت أسرته في بيت المقدس، ودرس أولاده

فيها، وتعلموا في مساجدها، وعلى مشايخها أخذوا العلوم، ثم تولَّوا بعد ذلك خطابة

المسجد الأقصى وغيره.

وأول من انتقل إلى دمشق منهم جد النابلسي الرابع: إبراهيم بن إسماعيل بن برهان

الدين إبراهيم.

فأسرته عُرِفَت بالعلم والقضاء والخطابة، بدءًا من موفق الدين ابن جماعة إلى سيدنا

عبد الغني النابلسي، وهذا من أسباب نبوغه المبكر.

مولده ونشأته:

ولد يوم الأحد في دمشق ٤ ذي الحجة عام (١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م) حين كان والده في القاهرة للتجارة.

ولد ونشأ وتصوف في دمشق، قضى سبع سنوات من عمره في دراسة كتابات "التجارب الروحية" لِفُقهاء الصوفية.

وتطلعنا الكتب أن الشيخ عبد الغني كان يتفوق على إخوته بالنبوغ والذكاء المبكر، مما مهد لاهتمام والده به، فقد كان والده أول من قرأ على يديه القرآن الكريم في سن الخامسة، وورث عن أبيه الحافظة العجيبة وروحه العلمية.

وفي سن العاشرة حفظ مقدمات العلوم: «الألفية»، «الجزرية»، «الرحبية».

وحضر دروس والده في التفسير والفقه في كتاب «الأحكام شرح الدرر» في الأموي وأجازه، وتابع دروس الشيخ نجم الدين الغزي (1061هـ - ١٦٥١م) في الحديث تحت القبة في الجامع الأموي، وحصل على أول إجازة في الحديث، وفي الثانية عشرة من عمره توفي والده، فكتب أول أشعاره في رثاء والده معلمه الأول، ثم تابع تحصيله العلمي تحت إشراف والدته، وحصل معظم علومه مع حداثة سنه.

وفي العشرين من عمره تولى التدريس في الجامع الأموي في دمشق بالقرب من منزله الواقع في العنبريين.

فشيخنا الجليل ورث حب العلم وتقديسه، وورث ذكاءً ونبوغاً مبكراً، ووسط "أسرة تربوية" تحمل في ثناياها أشكال الورع في السر والعلن، مما مهد لظهور شخصية العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي، الذي لقب في ذلك الزمان بـ "الأستاذ الأعظم".



هذا الكلام يوصلنا إلى أهمية المحضن الأول للأولاد، فلا بد أن تكون المحاضن  
تربوية السمة والصفة، فعندما يعيش الأولاد باهتمام تربوي ورع يُقصد به المباشرة أمام  
الحبيب المصطفى؛ فمن المؤكد أنه ستعطي البذور ثمارًا صالحة ونافعة للفرد أولاً  
وللمجتمع ثانياً.

شيوخه:

درس على عدد من شيوخ عصره ونال منهم الإجازات، ومنهم:

§ في علوم اللغة العربية: الشيخ محمود الكردي المتوفى (١٠٤٩هـ).

§ في علوم الفقه وأصوله:

الشيخ أحمد القلعي الحنفي (١٠٦٧).

الشيخ محمد كمال الدين الحسيني الشهير بابن حمزة نقيب الأشراف، قرأ عليه جملة من  
الفنون.

الشيخ علي الشبراملسي الشافعي، أجازته إجازات كثيرة.

§ وفي علوم الحديث: الشيخ عبد الباقي الحنبلي المتوفى (١٠٧١هـ).

§ وفي علم الفرائض والحساب: الشيخ كمال الدين محمد بن يحيى الشافعي الشهير

بالفرضي (١٠٨٨هـ)

عصره:

كان العصر الذي ولد فيه الشيخ عبد الغني عصرَ فوضى اجتماعية وانحطاط أخلاقي،

فقد كانت الدولة العثمانية تحتضن العالم العربي تقريباً في القرن العاشر الهجري، وكانت

الأمم الإسلامية مستغرقة في اتباع الشهوات والأهواء، حتى ماتت الفضيلة بين الناس،

وساد الجهل، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى، هذا قبل بداية العهد الثاني الجديد للدولة العثمانية، فكان عصرُ شيخنا عصر المستبدين، فانصرف العلماء في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن وإيران والهند إلى التدريس والإفادة، والباحثون والمفكرون إلى التأليف والتحقيق، والمشايخ والصوفية الربانيون اتجهوا إلى إصلاح النفوس وتزكية القلوب.

هذا وقد غلب على أهل العلم في هذا العصر ذوق الشعر والأدب؛ ليكون وسيلة راقية للوصول إلى قلوب الحائرين والتائهين، والشيخ عبد الغني كان شاعرًا، أديبًا، عالمًا ربانيًا، فقيهاً، مفسرًا.

#### وظائفه:

رغم تنوع علوم الشيخ عبد الغني وغزارتها لم يشغل إلا منصبين:

الأول: وظيفة القضاء في محكمة الميدان عام ١٠٧٥هـ، ولم يلبث أن تركها.

والثاني: انتخبه أهل دمشق في عام ١١٣٥هـ مفتيًا لدمشق، فجاء المرسوم السلطاني من إستنبول بذلك، ولكنه لم يلبث أن ترك الوظيفة؛ ليتفرغ للخلوة التي ستمهد له الطريق للوصول.

#### خلوته:

اعتزل في بيته سبع سنوات لا يخرج إلا لضرورة، إلا أنه لم ينقطع عن التأليف واستقبال طلابه للتدريس وذكر الله في السر والعلن، ولا ننسى أنه منذ الصغر دأب على قراءة سير الصالحين والمتصوفين؛ مما جعله مهياً لهذا الدور الصوفي، والخلوة سنة نبوية شريفة، كم تحتاج في الزمان إلى من يُعيد إحياءها!!

وقد ذكر في كتابه «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية» صوفيته وتدرجه فيها.  
خرج الشيخ عبد الغني النابلسي بعد سبع سنين إلى الناس الذين ازدادوا في احترامهم  
له بعد أن رموه بالحجارة.

خرج وعليه هيبة العارفين بالله ووقارهم، ومنذ ذلك اليوم ذاع صيته في العالم  
الإسلامي، وبدأ الفتوح الرباني للتأليف، وقد برع أكثر ما برع في الدفاع عن الصوفيين،  
وجمع شعره الصوفي في ديوان "الإلهيات"، وأخذ يتردد على ضرائح الأولياء، وقبور  
الصالحين، يزورهم ويقرأ في سيرتهم، ويدافع عنهم عند المنكرين، ويمدحهم نثرًا وشعرًا.  
وتلقى الطريقة النقشبندية عن الشيخ أحمد البلخي الذي زار دمشق سنة ١٠٨٧هـ،  
وتلقى الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق الكيلاني عام ١٠٧٥هـ.

وكان كثير المطالعة لكتب الشيخ محيي الدين بن العربي، وكتب السادة الصوفية كابن  
سبعين والعفيف التلمساني.

لقد تبحر الشيخ عبد الغني النابلسي في علوم الصوفية حتى عدّ من أشهر الأولياء  
العارفين، وقد ظهرت له كرامات، ومن أشهرها تبحره في جميع العلوم، وقد ترجم له  
المرادي في "سلك الدرر" فقال عنه: "أستاذ الأساتذة، وجهيد الجهابذة، الولي العارف،  
ينبوع العوارف والمعارف، الإمام الوحيد، الهمام الفريد، العالم العلامة، الحجة الفهامة،  
البحر الكبير، الجد الشهير، شيخ الإسلام، صدر الأئمة الأعلام، صاحب المصنفات التي  
اشتهرت شرقًا وغربًا، وتداولها الناس عجبًا وعُربًا، العارف بربه، الفائز بقربه وحبه، ذو  
الكرامات الظاهرة، والمكاشفات الباهرة:

هيئات لا يأتي الزمان بمثله! إِنَّ الزمان بمثله لبخيل

دروسه:

تفرغ بعد ذلك للعلم باحثاً ومصنفاً وشاعراً وأديباً ومعلماً، وكانت دروسه كالتالي:

دروس عامة، ودروس خاصة.

فدروسه العامة بعد الفجر وضحوة النهار وبعد العصر، في ثلاثة مواضع: الجامع

الأموي، والمدرسة السلمية، ومنزله، وأما الدروس الخاصة؛ فهي في منزله.

ومواد دروسه: تشمل العلوم كلها من مبادئها إلى التخصص، بدءاً بعلم الحديث ثم

التفسير، والفقه، فالتصوف.

والشيخ عبد الغني النابلسي هو أول من دأب على تفقيه أهل الصالحية بعلوم المذهب

الحنفي والشافعي، بعد أن كان المذهب الحنبلي هو السائد لديهم بالصالحية منذ إنشاء

جامع الحنابلة والمدرسة العمرية الحنبلية بصالحية الشام، وذلك بعد أن انتقل من بيته

بجوار الأموي إلى بيته في الصالحية، وفي الصالحية لم يتوقف عن إلقاء الدروس في تسهيل

تفسير القرآن للبيضاوي، وفي تدريس «الفتوحات المكية» لابن العربي.

وظل الشيخ يستقبل في إيوان داره عددًا كبيرًا من طلبة العلم للمذهب الحنفي،

وظلت دروسه كذلك في عهد ابنه الشيخ إسماعيل وحفيده مصطفى رحمهم الله.

دانت له كل الناس، وبإيعه آخر عمره كل من وجد في عصره بالملا العام بين الأنام.

وفي «سلك الدرر»: استجيز من سائر الأقطار<sup>(١)</sup>.

---

(١) «سلك الدرر» (٣/ ٣٠).

مؤلفاته وكتبه:

كانت مؤلفاته كثيرة، وقد بلغت زهاء ثلاث مئة مؤلف؛ ما بين كتب ورسائل

ودواوين ذكرها خلال رحلته الكبرى، وتميزت بدفاعه عن الصوفية، ومنها:

الوجود الحق.

جواهر النصوص في شرح كلمات الفصوص.

غاية المطلوب، في محبة المحبوب.

هدية الفقير، وتحية الوزير.

السانحات النابلسية، والسارحات الأنسية.

بداية المرید، ونهاية السعيد.

بذل الإحسان، في تحقيق معنى الإنسان.

إيضاح المقصود من وحدة الوجود، وهي رسالة صغيرة.

الخصرة الأنسية في الرحلة القدسية.

تعطير الأنام في تعبير المنام.

التعبير في تفسير الأحلام.

ديوان الدواوين، وهو مجموعة شعره.

فضائل الشهور والأيام.

أسرار الشريعة.

منظومة أسماء الله الحسنی.

الفتح الرباني والفيض الرحماني.

خمره الحان ورنه الألمان شرح رسالة الشيخ أرسلان.  
الوجود الحق والخطاب الصدق.  
ذخائر الموارث في الدلالة على مواضع الحديث.  
إيضاح الدلالات في سماع الآلات.  
رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة.  
رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام.  
وأعدّ مناهج تدريس للتصوف حوالي ٢٠٠ كتابًا؛ منها:  
الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين.  
ردّ المفترى على الطعن بالششتري.  
التنبه من النوم في حكم مواجيد القوم.  
رحلاته:

بعد خلوته التي تحدثنا عنها قام بعدة رحلات: إلى لبنان، ثم إلى بيت المقدس، ثم إلى الشام ومصر والحجاز.  
والرحلة الكبرى هي إلى مصر والحجاز والشام في سنة ١١٠٥هـ، خرج من داره بجانب الجامع الأموي، وتجول في دمشق مودعًا وزائرًا قبور الصالحين والأولياء والصحابية.

وبعد أن طاف في الشام اتجه إلى بيت المقدس، ثم إلى مصر، ثم إلى الحجاز قاصدًا الحج إلى بيت الله الحرام، وفي عودته إلى الشام مات أخوه فدفنه، واتجه نحو الشمال ليصل إلى

تبوك ومعان، ثم وصل دمشق في ٣٨٨ يومًا من بدء رحلته، بدأت (١/١/١١٠٥)،  
وانتهت (٥/٢/١١٠٦).

ومرافقوه في رحلته: ابنه إسماعيل، وخادمه، وأخوه الذي توفي في طريق العودة.  
وكان الإمام النابلسي من المغرمين بالرحلات، فقد كان هدفه زيارة الأولياء الصالحين  
أحياءً وأمواتًا، والتباحث مع علماء هذه الأمصار، والهدف الأخير هو الاستمتاع بالتنزه  
حتى أقعده مرض في داره.

قال الغزي: "وفي حال مرض الأستاذ لم يغب إدراكه، ولا تغير شيء من حواسه إلى  
أن خرجت روحه الشريفة، وكان كثيرًا ما يقول في مرضه: تعالوا انظروا إلى "نقش  
بندي" ويشير إلى بدنه، واجتمعت في داره غالب الحفظة للقرآن الكريم في دمشق، ولما  
وضع على المغتسل اجتمع علماء دمشق وطلبتها لغسله، ووقف الشيخ حسن البصير  
المنشد، وأنشد قصيدة الأستاذ المشهورة وأولها:

خلوة القبر أشرف الخلوات بلقاء الحبيب في الجلوات

وَصُلِّيَ عَلَيْهِ فِي إِيوان القاعة مرارًا عديدة.

وفاته:

توفي بعد مرضٍ ألمَّ به في ٢٤ شعبان (١١٤٣هـ - ١٧٣١م)، ودُفن في القبة التي كان  
قد بناها في بيته، ثم أُقيم على قبره جامع في بدايات القرن الثالث عشر للهجرة.  
وخلاصة القول فيه ما قاله صاحب «سلك الدرر»: (لم يأت عالم مثله في عصره أو  
بعده).

ونختم ترجمة الإمام الجليل بهذه الأبيات من كنوز شعره "خلوة القبر أشرف  
الخلوات":

خلوة القبر أشرف الخلوات	بلقاء الحبيب في الجلوات
خلوة القبر للتجرد عما	يشغل الروح عن إثم الصفات
خلوة القبر لذة ونعيم	لسعيدٍ قد ذاق سر المات
خلوة القبر راحة وسرور	ودخول في أشرف الجنات
حضرة تجمع المتيم فيها	أيّ جمعٍ أكمل الحالات
هي سعد لكل عبد سعيد	يترقى بها علا الدرجات
وهي سجن لكل عبد شقي	يتدلى بها إلى الدركات

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق



## الدرس الخامس والتسعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### التبرك بآثار النبي والصحابة والصالحين

التبرك أمر مشروع في الإسلام، لا ينكره إلا العميان، الذين طبع الله على قلوبهم، وقد وردت الأحاديث الصحيحة تنبه على ذلك، وهي أكثر من أن تحصى في كتاب أو مجلد. كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يحرصون على تقبيل يده صلى الله عليه وسلم. وكانوا أيضًا يحرصون على مس أي موضع من جسده صلى الله عليه وسلم وتقبيله كلما أمكن ذلك للتبرك وغيره.

ومن هذا ما روى أبو داود في «سننه»: أن أسيد بن حضير رضي الله عنه بينما هو يحث القوم - وكان فيه مزاح - طعنه النبي صلى الله عليه وسلم في خاصرته بعود، فقال: أصبرني، قال: ((اصطبر)) قال: إن عليك قميصًا وليس علي قميص، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم عن قميصه، فاحتضنه وأخذ يقبل كشحه، وقال: ((إنما أردت هذا يا رسول الله)).

بل كانوا يتبركون بشعره وثيابه وجميع آثار صلى الله عليه وسلم.

١- التبرك بشعر النبي صلى الله عليه وسلم.

ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتبركون بشعر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه قد أقرهم على ذلك، بل إنه صلى الله عليه وسلم وزعه عليهم.

ففي «صحيح مسلم» عن أنس رضي الله عنه: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق [خذ] وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس)).

وفي رواية: ((فبدأ بالشق الأيمن، فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك، ثم قال: «ههنا أبو طلحة» فدفعه إلى أبي طلحة))  
قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: (من فوائد الحديث: التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم، وجواز اقتنائه للتبرك).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على اقتناء شعره الشريف عليه الصلاة والسلام.

ففي «صحيح مسلم» أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: ((لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يخلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل)).

وقد ذكر الإمام النووي من أحكام هذا الحديث: تبرك الصحابة بشعر الرسول صلى الله عليه وسلم الكريم، وإكرامهم إياه أن يقع منه إلا في يد رجل سبق إليه. ولعل حرص الصحابة رضي الله عنهم على ذلك في حجة الوداع لإظهار مدى حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم له على مرأى جموع الحجاج.

٢- التبرك بريق النبي صلى الله عليه وسلم وعرقه.

في «الصحيحين» عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أنها هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى بعبد الله بن الزبير.

قالت: ((فأتيت المدينة فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره، ثم دعا بتمر فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم... ثم حنكه بالتمر)). الحديث.

وكانت أم سليم تجمع عرق النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم، ومرة رآها تفعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: «ما تصنعين يا أم سليم؟» فقالت: يا رسول الله؛ نرجو بركته لصبياننا، قال: «أصبت».

٣- تبركهم بما لبسه أو لمسه أو فضل منه صلى الله عليه وسلم:

جاء في «صحيح البخاري» عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال:

((جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة -فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة، فقال سهل: هي شملة منسوجة، فيها حاشيتها- فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه!! فاكسنيها، فقال: «نعم» فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لأمه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجًا إليها، ثم سألته إياها! وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لعلني أكفن فيها)).

وثبت في «الصحيحين» أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى اللاتي يغسلن ابنته إزاره وقال: ((أشعرنها إياه)).

قال النووي رحمه الله تعالى: معنى ((أشعرنها إياه)): اجعلنه شعارًا لها، وهو الثوب الذي يلي الجسد، سمي شعارًا لأنه يلي شعر الجسد، ثم قال: (والحكمة في إشعارها به تبريكنها).

٤- التبرك بمواضع أصابع النبي صلى الله عليه وسلم.

جاء في «صحيح مسلم» في حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: ((فكان

يصنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعامًا، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه)).

٥- التبرك بفضل شرب النبي صلى الله عليه وسلم.

في «الصحيحين» عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب، فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: لا والله، لا أوثر بنصبي منك أحدًا. قال: فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده)).

٦- التبرك بقاء وضوئه صلى الله عليه وسلم.

جاء في «الصحيحين» عن أبي جحيفة رضي الله عنه أنه قال: ((خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة، فأتي بوضوء فتوضأ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به)).

وأما المقصود بفضل وضوئه صلى الله عليه وسلم فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (كأنهم اقتسموا الماء الذي فضل عنه، ويحتمل أن يكونوا تناولوا ما سال من أعضاء وضوئه صلى الله عليه وسلم).

وجاء في «صحيح البخاري» في حديث صلح الحديبية: أن عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه قال عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ((وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه)).

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرشد أصحابه رضي الله عنهم أحيانًا إلى شيء من هذا، وساعدهم عليه.

ففي «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ((دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدرح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه، ثم قال مخاطباً أبا موسى وبلاياً: «شرباً منه، وأفرغاً على وجوهكما ونحوركما، وأبشراً» فأخذوا القدح، ففعلوا ما أمرهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنادتها أم سلمة من وراء الستر: أفضلًا لأمكما مما في إنائكما، فأفضلًا لها منه طائفة)).

وفيهما أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ((جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت)).  
هذا غيظ من فيض، وعليه فقس في التبرك بآثار الأولياء والصالحين رضي الله تعالى عنهم.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس السادس والتسعون

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### جواز التبرك بالأنبياء والصالحين وآثارهم

وهذه بعض اللُّمَع التي يُستدل بها على جواز التبرك بغيره صلى الله عليه وسلم:

١- الحجر الأسود: هو لذاته حجر مبارك، أصله من الجنة، أهبط مع سيدنا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، لا يخلق نفعًا ولا ضرًّا لأحد، غير أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما قبّله أصبح الناس يقبلونه في كل شوط في الطواف، وكانوا -وما زالوا- إذا ما عجزوا عن تقبيله قبلوا ما يُشيرون به إليه وإن كان عصًا أو حديدًا أو يداً.

يقول صاحب ((عمدة القاري)): (الجمهور على أنه يستلمه [أي: الحجر الأسود] ثم يقبل يده، وهو قول ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وجابر وعطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وعكرمة بن خالد وسعيد بن جبير ومجاهد وعمرو بن دينار، وهو قول أبي حنيفة والأوزاعي والشافعي وأحمد، وروى الحاكم من حديث جابر: ((بدأ بالحجر الأسود فاستلمه، وفاضت عيناه بالبكاء وقبّله، ووضع يده عليه ومسح بهما وجهه))

وروى النسائي من حديث ابن عباس عنه: أنه قبّله ثلاثاً. وعند الحاكم: ((وسجد عليه)) وصحح إسناده، وفيه كراهة تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله من الأحجار وغيرها.

وقال شيخنا زين الدين: ((وأما قول الشافعي: «ومهما قبّل من البيت فحسن»، فإنه لم يُرد بالحسن مشروعية ذلك، بل أراد إباحت ذلك، والمباح من جملة الحسن كما ذكره الأصوليون))، قلت: فيه نظر لا يخفى، وقال أيضاً: وأما تقبيل الأماكن الشريفة على قصد

التبرك، وكذلك تقبيل أيدي الصالحين وأرجلهم؛ فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية، وقد سأل أبو هريرة الحسن رضي الله تعالى عنه أن يكشف له المكان الذي قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو سرّته - فقبله؛ تبرّكًا بآثاره وذريته صلى الله تعالى عليه وسلم).

٢- يماثل الحجر الأسود ذات البيت المبارك؛ أي: الكعبة، فهو من حيث ذاته بناء كباقي الأبنية، ولكن الله عظمه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦] حتى سمت درجته على باقي البيوت، وتميّز من سائر الأمكنة، وصار الناس يطوفون حوله ويتخذونه قبلة التزامًا لأمر الله تعالى.

٣- مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام: هو كذلك حجر أصله من الجنة، أهبط مع سيدنا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فيه يظهر قدم سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في الصخرة الصماء، ولولا أن المولى عزّ وجلّ أمر بالتخاذه مُصَلِّيً وعظمه بقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] لما صلّينا خلفه ولا عظمناه ذلك التعظيم.

فإذا كان هذا في الحجر الذي وقف عليه سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فكيف بمكان سجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

٤- صلى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج في بيت لحم حيث وُلد سيدنا عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

٥- الموضع الذي وُلد فيه النبي سيدنا محمد أو صَلَّى فيه، وكذلك قبره الشريف أعظم بركة من باب أولى ولا شك قال تعالى: ﴿لَا أُفْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ \* وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١، ٢].

٦- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

٧- قال الله تعالى مخاطبًا سيدنا موسى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

٨- تعظيم القرآن لشأن عصا سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿وَمَا

تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هِيَ عَصَايَ...﴾ [طه: ١٧، ١٨].

٩- قميص سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، قال الله تعالى إخبارًا عن

سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ (سورة يوسف)

فإذا كانت هذه البركة العظيمة والشفاء الكبير لسيدنا يعقوب عليه السلام حصل بإلقاء قميص سيدنا يوسف عليه السلام على وجهه؛ لأن هذا القميص مسّ جسد سيدنا يوسف عليه السلام؛ فكيف بقميص نبي الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما كان من آثاره الشريفة، أو شعره المبارك؟؟ فهو بلا شك أكبر بركة وأعظم فائدة؛ لأن شعره الشريف خرج من جسده صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم كله بركة بلا شك، وهذا دليل من القرآن على حصول الشفاء وذهاب الأمراض الشديدة بآثار الأنبياء والصالحين بإذن الله تعالى.

١٠- التبرك بماء زمزم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ماء زمزم لما شُرب له"



وقد أطبقت الأمة وأجمعت على جواز التبرك بها، والدعاء عند التبرك بها. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شذَّ شذَّ إلى النار"<sup>(١)</sup>.

ومما يؤكِّد على استجابة الدعاء في الأماكن الفاضلة ما قاله الإمام الحسن البصري رحمه الله في رسالته المشهورة إلى أهل مكة: إن الدعاء يُستجاب هناك في خمسة عشر موضعاً: في الطواف، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي البيت، وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي السعي، وخلف المقام، وفي عرفة، وفي المزدلفة، وفي منى، وعند الجمرات الثلاث.

وقد ذكر الإمام شمس الدين محمد بن محمد الجزري في كتابه ((عدَّة الحصن الحصين)) أماكن لإجابة الدعاء: عند رؤية الكعبة، وفي المساجد الثلاثة، وفي الطواف، وعند الملتزم، وفي داخلها، وفي البيت، وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي المسعى، وخلف المقام، وفي عرفات، والمزدلفة، ومنى، وعند الجمرات الثلاث، وعند قبور الأنبياء، وجُربت استجابة الدعاء عند قبور الصالحين.

١١- قال الحافظ ابن عساكر: ذكر الخطيب ابن جملة: أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلاً رضي الله عنه وضع خديه عليه أيضاً.

١٢- في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني: ((وقد رُوينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به، وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم، فكيف بمقادير الصحابة؟ وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟)).

قال الربيع بن سليمان: ((إن الشافعي رضي الله عنه خرج إلى مصر فقال لي:

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به، وسلّمه إلى أبي عبد الله، واثني بالجواب.  
قال الربيع: فدخلت بغداد ومعى الكتاب، فصادفت أحمد ابن حنبل في صلاة الصبح،  
فلما انتقل من صلاة المحراب سلّمت إليه الكتاب، وقلت: هذا كتاب أخيك الشافعي من  
مصر، فقال لي أحمد: نظرت فيه؟ فقلت: لا، فكسر الختم وقرأ، وتغرّرت عيناه، فقلت  
له: أيش فيه يا أبا عبد الله؟ فقال: يذكر فيه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم  
فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله فاقراً عليه السلام، وقل له: إنك ستمتحن، وتدعى إلى  
خلق القرآن، فلا تجبهم فيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة، قال الربيع: فقلت له: البشارة  
يا أبا عبد الله، فخلع أحد قميصيه الذي يلي جلده فأعطانيه، فأخذت الجواب وخرجت  
إلى مصر، وسلّمته إلى الشافعي رضي الله عنه، فقال: أيش الذي أعطاك؟ فقلت: قميصه،  
فقال الشافعي: ليس نفجعك به، ولكن بلّه وادفع إليّ الماء لأتبرّك به)).

١٣- قال المحب الطبري: "ويمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان  
جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالى، فإنه إن لم يرد فيه خبرٌ بالندب لم يرد بالكراهة،  
قال: وقد رأيت بعض تعاليق جدي محمد بن أبي بكر عن الإمام أبي عبد الله محمد ابن أبي  
الصيف أن بعضهم كان إذا رأى المصاحف قبلها، وإذا رأى أجزاء الحديث قبلها، وإذا  
رأى قبور الصالحين قبلها، قال: ولا يبعد هذا - والله أعلم - في كل ما فيه تعظيم الله  
تعالى" اهـ

قال الحافظ النووي في «شرح على صحيح مسلم» عند ورود التبرك بجبته صلى الله  
عليه وسلم: وفي هذا الحديث دليلٌ على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم.

١٤- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

كان بنو إسرائيل يحافظون على التابوت، وهو صندوق التوراة المبارك، وكان من خشب وعليه صفائح الذهب، طوله عدّة أذرع بعرض ذراعين، وقيل: إنه أنزل على سيدنا آدم عليه السلام، فتناقله أولاد آدم من الأنبياء حتى وصل إلى سيدنا موسى عليه السلام، فبقي عنده إلى أن مات، وكان من أمر التابوت أن فيه السكينة، وهي روح من خلق الله تتكلم، فكانوا إذا اختلفوا في أمر نطقت وحكمت بينهم، وكانوا إذا حضروا القتال قدّموه بين أيديهم فينشر في قلوبهم سكينة واطمئناناً، ويبعث في قلوب أعدائهم هلعاً ورعباً، تحمله من فوقهم الملائكة أثناء العراك، فإذا سمعوا منه صيحة استيقنوا النصر، وكان فيه بالإضافة إلى السكينة طست من ذهب كانت تُغسل فيه قلوب الأنبياء، ولوحان من التوراة، وعصا موسى وهارون وثيابهما وعماتهما وشيء من متاعهما، وذكر أمر التابوت الطبري في «تاريخه» وأكثر المفسرين.

١٥- قال صاحب «غاية المنتهى» الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي ما نصه: ((ولا بأس بلمس قبر بيدٍ لا سيما من تُرجى بركته)) ١.هـ.

١٦- وقال الشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي في كتابه ((كشاف القناع عن متن الإقناع)) في (كتاب الجنائز): ((قلت: بل قال إبراهيم الحربي: يستحب تقبيل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم)).

١٧- كان سيدنا محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه يقول: ((إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم [يعني: زائرًا] فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئتُ إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تُقضى)).

١٨- وهذه فاطمة بنت الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنهما قالت: وقع الحريق في بيت أخي صالح، وكان قد تزوج إلى قوم مياسير، فحملوا إليه جهازًا شبيهًا بأربعة آلاف دينار، فأكلته النار، فجعل صالح يقول: ما غمّني ما ذهب مني إلا ثوب لأبي كان يصلي فيه، أتبرك به وأصلي فيه. قالت: فطفئ الحريق ودخلوا فوجد الثوب على سرير قد أكلت النار ما حواليه والثوب سليم)).

١٩- وقد كان ثابت البناني لا يدع يد أنس رضي الله تعالى عنه حتى يقبلها ويقول: يدٌ مسّت يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وعن ثابت البناني قال: كنت إذا أتيت أنسًا يخبر بمكاني، فأدخل عليه فأخذ بيديه فأقبلها وأقول: بأبي هاتان اليدان اللتان مسّتا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عينيه وأقول: بأبي هاتان العينان اللتان رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>.

٢٠- روى الإمام أحمد عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يومًا فوجد رجلًا واضعًا وجهه على القبر فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه أبو أيوب فقال: نعم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم آت الحَجَرَ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) رواه أبو يعلى.

(٢) رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط».

٢١- وروى البيهقي بإسناد صحيح عن مالك الدار - وكان خازن عمر - قال: أصاب الناس قحطٌ في زمان عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فقد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: إيت عمر فأقرئه السلام مني وأخبره بأنهم يُسقون، وقل له: عليك بالكيس الكيس. فأتى الرجل فأخبر عمر فقال: يا رب ما ألوا إلا ما عجزت أ.هـ. وهذا الرجل هو بلال بن الحارث المزني الصحابي. فهذا الصحابي قد قصد قبر النبي صلى الله عليه وسلم للتبرك، فلم يُنكر عليه عمر رضي الله عنه ولا غيره. وفعل هذا الصحابي تبركٌ بقبر النبي صلى الله عليه وسلم وتوسلٌ به.

ونقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» مثله عن ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار، وقال: وقد روى سيف في «الفتوح» أن الذي رأى المنام هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة.

٢١- روى الرواس في ((طَيِّ السَّجَل)) عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: "قبر موسى الكاظم تريقٌ مجربٌ".

٢٢- روى الحافظ الضياء المقدسي: أن الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي أُصيب بدمل أعياء علاجه، فمسح به قبر الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه تبركاً فبرئ.

٢٣- وقال الراهوني في «حاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل»: ما زال الناس يتبركون بقبور العلماء [الصلحاء؛ أي: العاملين بعلمهم] والشهداء والصالحين. قال الإمام الغزالي: من يستمد منه في حياته يستمد منه بعد مماته<sup>(١)</sup>.

---

(١) ذكره الزهاوي في كتابه «الفجر الصادق».

-٢٤- روى السخاوي وابن بشكوال والبيهقي وابن الجوزي وابن المبارك والإسماعيلي: أن كعباً دخل على عائشة رضي الله عنهما، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال كعب: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفُّوا بالقبر يضربون بأجنحتهم القبر -أي: يتبركون بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتمسحون- ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألفاً حتى يحفُّوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم، سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً بالنهار، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يزفون.

-٢٦- روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن أبي مودود قال: حدثني يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال: رأيت نفرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر القرعاء فمسحوها ودعوا.

وفي كتاب «سؤالات عبد الله بن أحمد ابن حنبل لأحمد رضي الله عنه» قال: سألت أبي عن مسّ الرجل رمانة المنبر يقصد التبرك، وكذلك عن مس القبر، فقال: لا بأس بذلك. اهـ

وفي كتاب «العلل ومعرفة الرجال» ما نصه: سألته عن الرجل يمس منبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتبرك بمسه ويقبّله، ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله جل وعز، فقال: لا بأس بذلك. اهـ

-٢٨- روى ملا علي القاري في كتابه: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»: قال شمس الدين محمد الجزري في مقدمة «شرحه» على كتابه المسمى بـ«تصحيح المصابيح»:

إني زرت قبر الإمام مسلم بنيسابور وقرأت بعض «صحيحه» على سبيل التيمن والتبرك عند قبره، ورأيت آثار البركة ورجاء الإجابة في تربته.

-٢٩- روى البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى سقيمنا، بإذن ربنا».

فأرض المدينة المنورة بركة، وهوؤها فيه بركة؛ وترابها فيه بركة؛ ولذلك كان الإمام مالك رضي الله عنه يمشي فيها ولا يركب؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مدفون فيها، ولأنه كان يرجو أن يصيب بقدميه موضعاً أصابته قدم النبي صلى الله عليه وسلم تبركاً. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة" رواه البخاري في «الصحيح».

فمن دخل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليغتنم كل أوقاته في الطاعة وتتبع آثار النبي والصحابة الكرام، فإن العلماء الكرام إذا دخلوها سعوا جاهدين أن ينالوا من عظيم بركاتها، حتى إنهم كانوا يشربون من لبن نوق المدينة يقولون: لعل هذه الناقة أكلت من عشبٍ نبت في أرضٍ داس عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك يجوز ويصح التبرك بالشبيكة المباركة المعروفة اليوم باسم (المواجهة الشريفة)، فإن قال مانعو التبرك: هذه الشبيكة لا رآها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا لمسها؟! فيقال: ولكنها جاورته، وبمجاورتها له صارت مباركة؛ كما أن الجلد أو الورق إذا رأيناه في الدكان لا نُقبِّله، لكن إذا صار غلافًا للمصحف يصير مباركاً بمجاورته فنُقبِّله، ولكن مَنْ لي بإفهام مَنْ حرّمهم الله الفهم السليم والتبرك بسيد العالمين صلى الله عليه وسلم؟!؟

-٣٠- قال مصعب بن عبد الله: حدثني إسماعيل بن يعقوب التيمي قال: كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه، فكان يصييه صمات، فكان يقوم كما هو حتى يضع خده على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع، فعوتب في ذلك، فقال: إنه يصيبيني خطر، فإذا وجدت ذلك استعنت بقبر النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>. اهـ

## يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) من كتاب «سير أعلام النبلاء».



## الدرس السابع والتسعون من دروس التصوف الإسلامي الصحيح الخشوع

الخشوع: هو خشوع القلب، وهو انكساره لله، وخضوعه وسكونه عن التفاته إلى غير من هو مقبل عليه، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح كلها تبعاً لخشوعه؛ ولهذا كان سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: «خشع لك سمعي، وبصري، ونحيي، وعظامي، وما استقل به قدمي»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على أن الخشوع من عمل القلوب ما ورد من حديث سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الخشوع في القلب، وأن تلين كتفك للمرء المسلم، وألاً تلتفت في صلاتك»<sup>(٢)</sup>.

وعن سيدنا إبراهيم النخعي رحمه الله قال: الخشوع في القلب<sup>(٣)</sup>.

### درجات الخشوع:

والخشوع عند العارفين على ثلاث درجات كما يقول العلامة الهروي رحمه الله، نذكرها بإيجاز:

الدرجة الأولى: التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتضاع لنظر الحق.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) رواه الحاكم (٣٤٨٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٧ / ٢٠٨).

وقصد بالتذلل للأمر: القبول والانقياد والامتثال ومواطأة الظاهر الباطن، مع إظهار الضعف والافتقار إلى الهداية للأمر قبل الفعل، والإعانة عليه حال الفعل، وقبوله بعد الفعل.

وأما الاستسلام للحكم:

فيجوز أن يريد به: الحكم الديني الشرعي، فيكون المقصود: عدم معارضته برأي أو شهوة.

ويجوز أن يريد به: الاستسلام للحكم القدري، وهو عدم تلقيه بالتسخط والكراهة والاعتراض، والخشوع هو الاستسلام للحكمين، وهو الانقياد بالمسكنة والذل لأمر الله. وأما الاتضاع لنظر الحق: فهو اتضاع القلب والجوارح وانكسارها لنظر الرب إليها، وإطلاعه على تفاصيل ما فيها<sup>(١)</sup>.

الدرجة الثانية: ترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل عليك، وتنسم نسيم الفناء.

ومعناه - كما يقول ابن القيم رحمه الله -: انتظار ظهور نقائص نفسك وعملك وعيوبهما، فإنه يجعل القلب خاشعًا لا محالة؛ لمطالعة عيوب نفسه وأعماله ونقائصهما؛ من الكبر والعجب والرياء وضعف الصدق وقلة اليقين.

---

(١) «مدارج السالكين» (١ / ٥٢٢).

وأما رؤية فضل كل ذي فضل عليك: فهو أن تراعي حقوق الناس فتؤديها، ولا ترى أن ما فعلوه من حقوقك عليهم فلا تعاوضهم عليها، فإن هذا من رعونات النفس وحقاقتها.

وأما تنسم نسيم الفناء: فلما كان الفناء عنده غاية جعل هذه الدرجة كالنسيم لرقته، وعبر عنها بالنسيم للطف موقعه من الروح وشدة تشبثها به، ولا ريب أن الخشوع سبب موصل إلى الفناء فاضلة ومفضولة.

الدرجة الثالثة: حفظ الحرمة عند المكاشفة، وتصفية الوقت من مراعاة الخلق، وتجريد رؤية الفضل.

فحفظ الحرمة: هو ضبط النفس بالذل والانكسار عن البسط والإدلال.

وتصفية الوقت من مراعاة الخلق: أنه يخفي أحواله عن الخلق جهده؛ كخشوعه وذله وانكساره؛ لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها ورؤيتهم لها، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله، فلا شيء أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة والفاقة والذل، وأنه لا شيء، وأنه ممن لم يصح له بعد الإسلام حتى يدعي الشرف فيه.

وأما تجريد رؤية الفضل: فهو أن لا يرى الفضل والإحسان إلا من الله، فهو المانُّ به بلا سبب منك، ولا شفيع لك تقدم إليه بالشفاعة، ولا وسيلة سبقت منك توصلت بها إلى إحسانه.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

الدرس الثامن والتسعون

## من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

### فضل الخشوع وأهميته

وللخشوع فضائل تدل على أهميته، فأهل الخشوع هم أهل الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

- فالخشوع في الصلاة من أسباب فلاح أهل الإيمان، الذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون، وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به<sup>(١)</sup>.

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما سواها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين، فيحصل له فيها الفوز والفلاح، فهي أهم الشعائر في الإسلام.

وقال الشاعر:

ألا في الصلاة الخير والفضل أجمع      لأن بها الرقاب لله تخضع  
وأول فرض من شريعة ديننا      وآخر ما يبقى إذا الدين يرفع  
فمن قام للتكبير لاقته رحمة      وكان كعبدٍ باب مولاه يقرع  
وصار لرب العرش حين صلاته      نجياً فيا طوباه لو كان يخشم!<sup>(٢)</sup>

(١) «تفسير الطبري» (٩ / ١٩٦).

(٢) «القرطبي» (١٢ / ٩٥).

وقد مدح الله عزَّ وجلَّ الخاشعين بقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

-والخشوع قد أمر به الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال الله تعالى وقد استبطأ الخشوع من المؤمنين فعاتبهم بقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا أربع سنين<sup>(١)</sup>.  
وقال ابن عباس رضي الله عنه: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن<sup>(٢)</sup>.

ففي هذه الآية حث الحق تبارك وتعالى أهل الإيمان على الرقة والخشوع عند سماع الذكر وتلاوته.

قال الزجاج: نزلت هذه الآية في طائفة من المؤمنين حُثُوا على الرقة والخشوع<sup>(٣)</sup>.  
وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤ / ٣٩٧).

(٣) «زاد المسير» (٨ / ١٦٨).

فقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾ أي: سكارى من كثرة الهم، وقيل: من حب الدنيا، وقال وهب: المراد به ظاهره، ففيه تنبيه على سكر الدنيا؛ إذ بين فيه العلة فقال: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾<sup>(١)</sup>. فالصحيح حمل الآية على الظاهر، وخاصة مع ظهور العلة.

وحدث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على الخشوع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هل ترون قبلتي ههنا؟ والله ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوعكم، وإني لأراكم وراء ظهري»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا الحديث الحث منه صلى الله عليه وسلم على الخشوع في الصلاة، والمحافظة عليها بأداء أركانها وشروطها.

يقول العلامة النووي رحمه الله: وفي الحديث الأمر بإحسان الصلاة، والخشوع، وإتمام الركوع والسجود<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ترفعوا أبصاركم إلى السماء؛ أن تلتمع»<sup>(٤)</sup>.

يقول محمد بن سيرين رحمه الله: كانوا يلتفتون في صلاتهم حتى نزلت ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢] فأقبلوا على صلاتهم ونظروا أمامهم، وكانوا يستحبون ألا يجاوز بصر أحدهم موضع سجوده<sup>(٥)</sup>.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٥٨)

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٩ م ٤٢٤).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٤ / ١٥٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٠٣٣).

وحذر من عدم الخشوع في الصلاة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بأصحابه، فلما قضى الصلاة أقبل على القوم بوجهه فقال: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء؟!» حتى اشتد قوله في ذلك: «ليتهن عن ذلك أو ليخطفن الله أبصارهم»<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد في القرآن الكريم التحذير لأصحاب القلوب القاسية عمومًا؛ فقال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

-والخشوع من أسباب دخول الجنة:

الخشوع والسكينة والتدلل بين يدي الرب تبارك وتعالى من أسباب دخول الجنة، ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...» وذكر منهم: «ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»<sup>(٤)</sup>. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عينان لا تسمهما النار؛ عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»<sup>(٥)</sup>.

-الخشوع من صفات الأنبياء الكرام، عليهم الصلاة والسلام، ومن صفات عباد الله

الصالحين:

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٢/٢٣٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٠٣٤)

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٩ م ١٠٣١).

(٤) أخرجه الترمذي (١٦٣٩).

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال عز وجل في صفات المؤمنين: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأثنى على المؤمنين من أهل الكتاب ومدحهم بخشوعهم لله تبارك وتعالى، فقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].  
-والخشوع من أسباب قبول الأعمال ومغفرة الذنوب:

فعن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيها بشيء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(١)</sup>.

وقد قال تعالى بعد أن ذكر جملة من صفات أهل الإيمان التي منها الخشوع: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وفي الصحيح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله»<sup>(٢)</sup>.

-الخشوع من أسباب نزول الملائكة والسكينة:

(١) أخرجه البخاري (١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٨).



فالحشوع في تلاوة القرآن الكريم من أسباب نزول الملائكة الكرام، مصداق ذلك ما ورد في الصحيح من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده؛ إذ جالت الفرس، فسكت فسكت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم... قال: «وتدري ما ذاك؟» قال: لا، قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»<sup>(١)</sup>.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي الحديث منقبة لأسيد بن حضير، وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل، وفضل الحشوع في الصلاة، وأن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوت الخير الكثير، فكيف لو كان بغير الأمر المباح؟!<sup>(٢)</sup>.

## يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١٤ / ٢٣١).

الدروس التطبيقية في العبادات الصوفي

أولاً: الصلاة

ثانياً: الحج



## الدرس التاسع والتسعون

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

الدروس التطبيقية للتصوف على الصلاة

### الخشوع في الصلاة ١

يقول الله تعالى في سورة المؤمنون: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \*  
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢] فأول صفة من صفات الأولياء المتقين  
والمؤمنين الموحيدين أن مدحهم مولانا بالصلاة كما مدحهم بالإيمان، ومدح صلاتهم  
بالخشوع.. ثم ختم صفاتهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]  
فلولا أن الصلاة أحب الأعمال إلى الله تعالى؛ ما جعلها مفتاح أعمالهم وختامها.

والصلاة هي التعبير العملي لعبوديتنا لله وحده مقابل هذا التكريم الذي كرمنا به على  
جميع الخلائق حين نفخ فينا من روحه، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وأسجد لأبينا سيدنا آدم  
الملائكة.. كل ذلك لنعبده حق عبادته، وننفي أي رب سواه، ونقول معترفين: لا رب إلا  
أنت يا الله... ولهذا كان التوحيد أفضل ما يأتي به الإنسان؛ كما ورد عند الإمام مالك  
والترمذي والبيهقي: (أفضل ما قلت أنا والأنبياء من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك  
له)؛ أي: لا رب إلا الله، ولا خالق إلا الله، ولا معبود بحق إلا الله..

قيامك في الصلاة عبودية، ووقوفك في الصلاة اعتراف بألوهيته وذلك وعبوديتك،  
وقوفك في الصلاة شعور أن الله كرمك على جميع الأمم فجعلك أهلاً لمخاطبته، أنا لي  
الشرف أن أقف في الصلاة متوجهاً إلى ربي عز وجل وأقول: كفاني فخراً أن تكون لي رباً،  
وكفاني عزاً أن أكون لك عبداً:

ومما زادني فخراً وتيهاً وكدت بأخصي أطأ الثرياً  
دخولي تحت قولك: يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً  
صلى الله عليه وسلم.

ولكن قال لنا: إذا أردنا أن نقف في الصلاة فعلينا أن نتبع الأصول: طهارة.. وضوء..  
نظافة.. استقبال القبلة.. حضور القلب مع الله تعالى؛ ولذلك اسمعوا هذه الآية من  
كتاب الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾... [العنكبوت:  
٤٥] فكيف يكون ذلك..؟

يتبع دروس التصوف  
هنا دمشق

## الدرس المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ٢

كثير من الناس يصلون ويخرجون إلى الفحشاء والمنكر، فهل كلام الله تعالى غير

صحيح؟! معاذ الله!

إذن هؤلاء يصلون صلاة غير صحيحة، أتدرون ماذا يحدث عندما تكون صلاتي

صحيحة مقبولة؟

عندما تكون صلاتي صحيحة يأمر مولانا عزَّ وجلَّ الملائكة أن تحيط بي من كل

جانب، حراس، مولانا عزَّ وجلَّ يحمي عبده فيرسل له الملائكة ويأمرهم أن يكونوا عن

يميني وشمالي، وأمامي وخلفي، وفوقي وتحتي.. حراسة مشددة.. يقول: هذا حبيبي..

يحميه من قدره هو، اسمعوا الآية الكريمة: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ

مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

مثلاً: مولانا كتب حادث سيارة على عبد، وإذا هو عبد صالح مصلٍّ.. مع الله دائماً..

عندها يجعله مولانا تحت حمايته.. يقول: عبدي يعبدني، فهو تحت حمايتي، فيقول

للملائكة: انزلوا إلى عبدي فلان واحرسوه من كل ناحية.. فتنزل الملائكة عن يمينه

وشماله وأمامه وخلفه.. ﴿مُعَقَّبَاتٌ﴾ لم يحدد عددهم ويقول لهم: كتبت بلاء عليه وقدرًا،

وعندما ينزل القدر ترونه أنتم وهو لا يراه.. قدري لا بد أن يقع.. وعندما ينزل القدر

تحميه الملائكة فلا يصيبه البلاء.. هل فهمتم الآية؟؟ ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

ولذلك جعل الله العبد وراء عمله، ولم يجعله وراء أبيه وأمه، إذ قد يكون العبد صالحًا أكثر من أبيه!! بحسب إيمان الإنسان وشدة إقباله على الله تعالى، فإذا أحبك الله فلا علاقة لأبيك وأمك، ومن هنا كان الاصطفاء ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الواحد بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ٣

وعكس الصورة:

مولانا عزَّ وجلَّ ينادي إبليس: يا إبليس هذا العبد لك.. وإبليس لا يعلم.. لكن

مولانا يناديه: هذا العبد العاصي لك..

اسمعوا الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يَعُشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

[الزخرف: ٣٦].

معنى ﴿وَمَنْ يَعُشْ﴾: يتعامى، تقول له: تعال لنصلي صلاة الجمعة. فيقول لك: لا

أريد.

تقول له: تعال لنصلي في هذا المسجد ركعتين لله تعالى. فيقول: لا أريد.

فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾! [المرسلات: ٤٨].

لا يصلي.. ولا يعبد الله.. وهو بكامل الأهلية الشرعية!! وهو يعرف أن الصلاة

فرض.. ويتعامى عن الصلاة وأركان الإسلام..

اسمعوا الآية: نحن [الله].. ﴿نُقِيضْ﴾.. أي: نخلق.. نوجد ﴿لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ

قَرِينٌ﴾..

فإذا دخل فيه القرين فلا يكون مآله إلا إلى النار؛ لأن الشياطين لا توحى إلا بشرِّ

وأذى.. وبحسب القرين إذا كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو ملحدًا.. وإذا حكم الله

فحكمه لا يبدل، ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩]؛ ولأجل ذلك أعطانا الله الإيمان



والعقل، وقال لنا: أحاسبكم على أعمالكم.. اسمعوا الآية الكريمة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وخلق الله الجنة والنار، وأمرنا بالعمل الصالح؛ لنبني منزلنا في الجنة..

### فما الخشوع في الصلاة:

الخشوع: هو انكسار القلب وإخباته وتواضعه وذلته وكف الجوارح وحسن السمات في الصلاة.

والخاشعون: هم الذاكرون الخائفون الصادقون والمقيمون الصلاة.

فإذا كملت هذه الأوصاف فيهم كانوا محبتين.

### يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الثاني بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ٤

وعند الحديث عن الخشوع لا بد من الحديث عن الخشوع في الصلاة، فالعلاقة وثيقة، فإذا أطلق الخشوع يتبادر إلى الذهن الخشوع في الصلاة، كيف لا وهو روح العبادة ولبُّها، وعنوان الباطن؟؟ خاصة في الصلاة التي هي من أهم القربات والأعمال الصالحات.

والخشوع في الصلاة هو أن أفهم معنى كل حركة وسكنة، وأعقل كل قول أو فعل أمرنا به مولانا عزَّ وجلَّ في الصلاة، أن أفهم معنى كلمة (الله أكبر) حينما أدخل في الصلاة، وأن أفهم معنى الفاتحة في الصلاة، ولماذا أركع؟ ولماذا أسجد؟ وما سر كل من الركوع والسجود؟؟ وما معنى التشهد؟ وما معنى السلام؟

ومما ينبغي أن يعلم أن الصلاة التي تقر بها العين ويستريح بها القلب هي التي تجمع ستة مشاهد ذكرها أهل العلم رحمهم الله، ومن هذه المشاهد: مشهد الصدق والنصح؛ وهو أن يفرغ قلبه لله في الصلاة، ويستفرغ جهده في إقباله على الله فيها، ويجمع قلبه عليها، ويوقعها على أحسن الوجوه وأكملها ظاهراً وباطناً، فإن الصلاة لها ظاهر وباطن، فظاهرها: الأفعال المشاهدة، والأقوال المسموعة، وباطنها: الخشوع والمراقبة، وتفريغ القلب لله، والإقبال بكليته على الله، فلا يلتفت قلبه عنه إلى غيره، فهذا بمنزلة الروح لها، والأفعال بمنزلة البدن، فإذا خلت من الروح كانت كبدن لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يواجه سيده بمثل ذلك؟؟

وقد اختلف الناس في الخشوع؛ هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها؟ على قولين ليس هنا محل بسطهما والحديث عنهما، وقد أطل الحديث عن هذه المسألة العلماء رحمهم الله، ومنهم مولانا الإمام الغزالي وغيره<sup>(١)</sup>.

وقد حكى مولانا الإمام النووي رحمه الله الإجماع على أن الخشوع ليس بواجب<sup>(٢)</sup>.

### بيان معنى الخشوع في الصلاة:

سئل سيدنا ذو النون عن الخشوع في الصلاة فقال: إجماع الهم في الصلاة للصلاة؛ حتى لا يكون له شغل سواه<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام مجاهد قال: كان سيدنا ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود (أي: جذع شجرة لا يتحرك)، وحدث أن سيدنا الصديق أبا بكر رضي الله عنه كان كذلك، قال: وكان يقال: ذلك الخشوع في الصلاة<sup>(٤)</sup>.

وعنه: الخشوع: هو خفض الجناح وغض البصر، وكان المسلمون إذا قام أحدهم في الصلاة خاف ربه أن يلتفت عن يمينه وشماله<sup>(٥)</sup>. وهذا من خشوع الجوارح.

---

(١) انظر «فتح القدير» (٣/ ٦٧٨).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ١٠٣).

(٣) أخرجه البيهقي (٣٠١٨).

(٤) «مصنف عبد الرزاق» (٢/ ٢٦٤).

(٥) «فتح الباري» لابن رجب (٥/ ١٧٩).

وسئل الأوزاعي رحمه الله عن الخشوع في الصلاة فقال: (غض البصر، وخفض الجناح، وأنين القلب؛ وهو الحزن)<sup>(١)</sup>.

فليتبه المصلي أن يطفئ الأجهزة المرئية أو المسموعة أمامه؛ حتى يجمع فكره للوقوف بين يدي سيده ومولاه جل جلاله.

والخشوع هو أساس الصلاة وجوهرها، فعن سيدنا الفضل بن العباس رضي الله عنهما قال: قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة مثنى مثنى، تشهد في كل ركعتين، وتخشع وتضرع، وتمسك وتذرع، وتقع يديك -يقول: ترفعها إلى ربك- مستقبلاً ببطونها وجهك وتقول: يا رب يا رب. ومن لم يفعل ذلك فهو كذا وكذا» وفي رواية: «من لم يفعل ذلك فهي خداج» أي: ناقصة<sup>(٢)</sup>.

وشرط الخشوع: حضور القلب في الصلاة، وفوت الخشوع في الصلاة يفقدها معناها، ويذهب بروحها، ويجعلها كالجسد بلا روح، وكيف يكون الحال عندما تقبل على المولى جل وعلا بصلاةٍ لا روح فيها؟!!

فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً أو جارية ميتة؟! فما ظن العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو من أمير أو غيره؟ فهكذا الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميت المهدى إلى بعض الملوك؛ ولهذا لا يقبلها الله

---

(١) أخرجه البيهقي (٧ / ١٦٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٥).

تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثبته عليها، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها"<sup>(١)</sup>.

### مراتب الخشوع في الصلاة:

اعلم هداك الله لعبادته أن الخشوع في الصلاة على ثلاث مراتب:

\*المرتبة الأولى: خشوع خوف وانكسار وإذلال، وهو للعباد والزهاد.

\*المرتبة الثانية: خشوع تعظيم وهيبة وإجلال، وهو للمريدين السالكين.

\*المرتبة الثالثة: خشوع فرح وسرور وإقبال، وهو للواصلين من العارفين، ويسمى

هذا المقام قرّة العين"<sup>(٢)</sup>.

### فوائد الخشوع وثماره:

وللخشوع فوائد وثمار في الدنيا والآخرة، يتحصل عليها الخاشع فتظهر عليه آثاره،

ومن هذه الثمار والفوائد:

-\* الخشوع يورث الخوف والرهبة من المولى جل وعلا، فالخشية من ثماره.

-\* الخشوع مظهر من مظاهر الإيمان، تظهر آثاره على الجوارح.

-\* الخشوع دليل على صلاح العبد وعلامة استقامته.

-\* الخشوع من أسباب تكفير الذنوب وتكثير الأجر ومضاعفته.

-\* الخشوع من أسباب النجاة من العقوبة والعذاب الأليم.

---

(١) «الوابل الصيب» (١ / ١٥).

(٢) «إيقاظ الهمم شرح الحكم» (١ / ١٣٤).

-\* الخشوع من أسباب الفوز بالجنة.

-\* الخشوع يؤدي إلى خفض الجناح، وغض البصر.

-\* الخشوع في الصلاة من أسباب قبولها والفلاح فيها.

-\* الخشوع يبعد القسوة عن القلب، ويرفع صاحبه يوم القيامة.

-\* بالخشوع يتصف الإنسان ببعض صفات الأنبياء الكرام.

فالخشوع من أهم أعمال القلوب التي ينبغي الاهتمام والعناية بها لمن أراد الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وقد كان السلف رضي الله عنهم من أكثر الناس اهتماماً بهذه العبادة، فقد روي عن مسلم بن يسار رحمه الله: أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله: تحدثوا أنتم، فإني لست أسمعكم، ويروي عنه: أنه كان يصلي يوماً في جامع البصرة، فسقطت ناحية من المسجد، فاجتمع الناس لذلك، فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة.

وهذا سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتُها.

ويروي عن حفيده سيدنا علي بن الحسين رضي الله عنه: أنه كان إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم<sup>(١)</sup>؟.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٥٨).

وإن العمل القلبي من أول العبادات التي ترفع عن هذه الأمة، فهذا حذيفة رضي الله عنه يقول: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، وربّ مصلٍّ لا خير فيه،.. ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً<sup>(١)</sup>.  
فالخشوع من أول ما تفقد الأمة من دينها حتى لا تكاد تجد فيها خاشعاً، وحالنا اليوم خير مثال وشاهد على ذلك إلا من رحم ربك!!

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٤٤٨).

## الدرس الثالث بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ٥

وقد علم سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم الحبيب الأعظم خادمه الأمين سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه كيف يخشع في صلاته فقال له: «إذا صليت صلاة فصلِّ صلاة مودع»<sup>(١)</sup> أي: مودع لنفسه. مودع لهواه. مودع لعمره. سائر إلى مولاه.

هذه النصيحة انطبعت في قلوب الصحابة الكرام ونفوسهم، وعملوا بها.. وعمل بها التابعون الأجلاء من بعدهم، فقد روي عن الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أنه كان إذا صلى حسبته الطيور والعصافير خشبة من خشبات الحرم المكي!! فيقفون عليه لشدة خشوعه في الصلاة مع الله تعالى.

وسئل التابعي الجليل الربيع بن خثيم عن سر خشوعه في الصلاة فقال: (إذا قمت إلى الصلاة جعلت الجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وأنا واقف على الصراط، وملك الموت خلفي، أظنها آخر صلاتي).

هكذا كانوا حاضري القلب مع الله تعالى، ينظرون إلى الله تعالى من كلامه، ويكلمونه بخطابه، ويتملقونه بمناجاته، ويعرفونه من صفاته، فإن كل كلمة ينطق بها المصلي هي عن معنى اسم من أسماء الله تعالى، أو صفة من صفاته، أو حكم من أحكامه، أو إرادة من إراداته، أو فعل من أفعاله.

---

(١) «مجمع الزوائد» «فيض القدير» (ج ٤ ص ١٩٧).



العلماء بالله يتوجهون إلى كل كلمة يتفوهون بها في الصلاة عشر توجهات:

الأول: الإيمان بها.

الثاني: التسليم لها.

الثالث: التوبة إليها.

الرابع: الرضا بها.

الخامس: الصبر عليها.

السادس: الخوف منها.

السابع: الرجاء لها.

الثامن: الشكر عليها.

التاسع: المحبة لها.

العاشر: التوكل فيها.

فهذه المقامات العشر هي مقامات اليقين، هي مقامات الإحسان: «أن تعبد الله كأنك

تراه».. فمن منا يصلي ويخضع قلبه لهذه المقامات العشر؟!!

اللهم اجعلنا منهم.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الرابع بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ٦

إن الموقن الذي يصلي بحضور مع الله تعالى هو مَلَك من ملائكة الله تعالى؛ لأن مولانا يقول له ولأمثاله: أنت عندي كبعض ملائكتي.

فالملائكة منهم راعع.. ومنهم ساجد.. ومنهم قائم.. يسبحون بحضور وخشوع.. فإذا خضع العبد في صلاته كان مثل الملائكة، بل جمع الله له عمل جميع أصناف الملائكة. إن الموقن إذا توضعاً للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرض خوفاً منه، تدررون لماذا؟ لأنه متأهب للدخول على ملك الملوك جل جلاله.

فإذا كبر تكبيراً بتحقيق حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه سرادقات (حواجز) فلا ينظر إليه، وواجهه مولانا عزَّ وجلَّ بوجهه، فإذا قال: الله أكبر اطلع الملك في قلبه؛ فإذا كان صادقاً [أي: ليس في قلبه أكبر من الله تعالى] يقول له الملك: صدقت، الله تعالى في قلبك كما تقول. قال: فيشعشع في قلبه نورٌ يلحق بملكوت العرش، فيكشف له بذلك النور ملكوت السماوات والأرض، ويكتب له ملء ذلك حسنات<sup>(١)</sup>.

وأما الغافل الجاهل فإذا قام احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل، وإذا كبر اطلع الملك في قلبه؛ فإذا كل شيء في قلبه أكبر من الله عنده، فيقول له الملك: كذبت، ليس في قلبك كما تقول، فيثور في قلبه دخان يلحق بعنان السماء، فيكون حجاباً لقلبه، ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه ويوسوس إليه: (التجارة.. البيت.. الطبخ.. المفسديون.. السطلايت... ) ويزين له كل شيء حتى ينصرف من صلاته ولم

---

(١) نقله الإمام أبو طالب المكي في كتابه «قوت القلوب» (٢/ ٩٩).

يعقل منها شيئاً، وإذا كان يصلي والمفسديون أمامه يعرض براحه الفاسدة؛ كانت المصيبة أكبر وأكبر.. ولهذا اسمعوا هذا الحديث الشريف: (الشياطين يحومون على أعين بني آدم؛ أن لا يتفكروا في ملكوت السماوات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب)<sup>(١)</sup>.  
وفي الحديث الذي رواه الإمام أبو داود: (إن الرجل لينصرف -أي: من صلاته- وما كتب له عشرُها تُسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها).

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢ / ٣٥٣) وابن أبي شيبة (٧ / ٣٣٥).

## الدرس الخامس بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ٧

إنها سميت الصلاة صلاةً لشيئين: لأنها صلة بين العبد وربّه، ولأنها مواصلة من الله لعبده، ولا تكون المواصلة والمنال إلا لتقي؛ لأن الصلاة من الآخرة، فإذا دخلت الصلاة خرجت من الدنيا.

وقد فسر الأئمة الأعلام قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤] شدة خشوعك في الصلاة.

يقول سيدنا سعيد بن جبير: (ماعرفت من على يميني ومن على شمالي في الصلاة منذ أربعين سنة، سمعت ابن عباس يقول: الخشوع في الصلاة ألا يعرف المصلي من على يمينه وعن شماله).

لأن الخاشع في صلاته أقبل بكليته على الله، فأصغى قلبه للفهم، وخشوعه للتواضع، وسكون الجوارح للهيبة... يرتل القرآن وهو يتدبر معانيه، إن مر بآية رحمة سأل ورغب، أو آية عذاب فزع واستعاذ، أو مر بتسبيح أو تعظيم حمد وسبح وعظم، فإن قال بلسانه فقد امتثل واتبع السنة، واسمعوا معي إلى قول مولانا عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

فإذا قال العبد: الله أكبر -أي: أكبر مما سواه- فعليه أن يواطئ لسانه قلبه في مشاهدة الأكبر، فيتلو وينظر بعين قلبه، ولا يكون بقوله: (الله أكبر) حاكياً ذلك عن قول غيره، ولا مخبراً به عن سواه، بل يكون متحققاً بالمعنى القائم بالشهادة، وهذا عند أهل المعرفة

والحقيقة (الصوفية) واجب؛ لأن الإيمان قول وعمل في كل شيء، فإذا قلت: الله أكبر؛ فإن العمل بهذا القول أن يكون الله في قلبك أكبر من كل شيء.

(الله أكبر) ولم يقل: الله الكبير، بل قال: الله أكبر، أكبر من كل ماسواه، وأعظم من كل شيء.

الله أكبر من أن يشرك به أو يذكر بغير المدح والتمجيد والثناء الحسن.

الله أكبر! أين بقيت أمريكة؟، أين بقيت روسية؟ أين بقيت أوروبية.. الله أكبر.. كلها

فقاعات نفست، وبادت وهلكت..

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس السادس بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ٨

فإذا كان المصلي مقبلاً على صلاته ولم يكن من الغافلين؛ شهد قلبه قيامه لرب العالمين، ثم شهد وقوفه بالحضرة أمام الملك الجبار الكبير، فتأخذه غيبة الحضور مع الله، ويرهقه إجلال الحاضر، ويستولي عليه تعظيم الرب، ويجمعه خشية الرقيب، فإذا تلا وقف همه مع المتكلم: ماذا أراد؟ واشتغل قلبه بالفهم عنه، والانبساط منه، فإذا ركع وقف قلبه مع التعظيم للعظيم، فلا يكون في قلبه أعظم من الله تعالى وحده، فإذا رفع شهد الحمد للمحمود، فوقف مع الشكر لمولانا الودود، فأعطاه المزيد لحمده وشكره، وسكن قلبه بالرضا؛ لأن حقيقة الشكر الرضا بما قسم لك، فإن سجد قلبه في العلو قرب من الله الأعلى؛ لأنه هو الذي قال: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

وهناك أسباب تؤدي إلى السكينة والخشوع، منها:

\*المراقبة لله عزَّ وجلَّ.

\*وإخلاص العمل له سبحانه.

\*وغيض البصر.

\*والتذكر الدائم لنعم المولى جل وعلا عليك.

\*وجمع القلب من هموم الدنيا وملذاتها وشهواتها وغيرها..

فينبغي على المسلم العناية والاهتمام بهذه العمل القلبي المهم حتى ينعم في الدنيا،

ويفوز في الآخرة، ويقوم بواجبات العبودية نحو ربه وخالقه جل وعلا على أكمل وجه.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس السابع بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ٩

وإن أول عمل ينبغي لنا أن نقوم به لنخشع في صلاتنا: أن نحسن الوضوء، فإن إقامة الصلاة وإتمامها لا يكون إلا بالوضوء الجيد والطهارة.

وقبل أن تبدأ الصلاة عليك أن تزيل العوائق التي أمامك؛ كالزخارف التي تشغلك عن الصلاة.. والأولاد الذين يلعبون أمامك.. والمفسديون الذي تعرض عليه برامج الفساد...

ثم استحضر عظمة الله تعالى الذي ستقف بين يديه يوم القيامة، سبح وهلل وكبر عشراً عشراً، وحاول أن يخشع قلبك وجوارحك قبل تكبيرة الإحرام، ثم قم أمام الملك العلام، فقف على الصراط، اللجنة عن يمينك والنار عن شمالك وملك الموت خلفك، تظنها آخر صلاتك.. ثم ائت بالنية للصلاة، واستحضرها حتى نهاية التكبير.

وبتكبيرة الإحرام تكون قد وصلت حبلك بحبل الله، وبدأت الكهرباء الإيمانية تسري في جوارحك، وأول ما تسري فيه من جوارحك: عينك تنظر في محرابك، ولسانك يقرأ القرآن، وأذنك تسمع ما تتلوه، وقلبك البطارية التي تدرك بالفهم ما تتلوه من كتاب الله.



ثم تبدأ بمخاطبة نفسك لتهيئها للدخول على الملك.. فتقول:  
(وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي  
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين)..  
أي: من المستسلمين لله رب العالمين.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الثامن بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ١٠

أستطيع الآن بعد تلك المقدمات أن أقول: إنك الآن متوجه إلى الله في الصلاة، وهنا

تستجير به من إبليس وأعوانه فتقول:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفته ونفخه..

ومن استجار بعظيم أجاره، فكيف بمن يستجير بالله رب العالمين؟! يا من يسمعي

ويعلم مكاني ووقوفي في حضرته؛ أعوذ بك من الشيطان الرجيم. ثم تقول:

بسم الله الرحمن الرحيم:

هذه آية من سورة الفاتحة، وهي تبدأ بباء الاستعانة؛ لأنك من دون الاستعانة بالله

تعالى لن يتم لك أمر مهما كان.. ولهذا ورد في الصحيح: «كل أمر ذي بال لا يبدأ باسم الله

الرحمن الرحيم فهو أبت وأجذم وأقطع..». وقد قال سيدنا نوح نصفها، فأنجاه الله تعالى

ومن معه من الغرق: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرَّاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١].

#### شرح دعاء التوجه في الصلاة

المسلم يوجه جسمه إلى القبلة وقلبه (الذي هو الوجه الباطن) يتوجه به إلى فاطر

السموات والأرض، ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه، فانظر يا

أخي هل قلبك متوجه إلى الله أم إلى البيت والسوق والشهوات؟ إياك أن تكون أول

مفاتحتك للمناجاة مع الله بالكذب، وإن عجزت عن التوجه إليه على الدوام فليكن

قولك في الحال صادقاً؛ يعني: أقل المراتب أن تخشع في اللحظة التي أنت فيها.

وإذا قلت: (حنيفًا مسلمًا) فينبغي أن يخطر ببالك أن «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، فإن لم تكن كذلك كنت كاذبًا في قولك.

وإذا قلت: (وما أنا من المشركين): فليخطر على بالك الشرك الخفي، فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ١١٠] أي: لقاء ثواب ربه؛ ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقد نزلت هذه الآية فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس، فكن حذرًا متقيًا هذا النوع من الشرك، واستشعر الخجل في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك الذي هو حمد الناس لك، وأن يروا موطنك من الصلاة فيدخل السرور عليك بذلك!!

وإذا قال: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] فإن كان مرائيًا في عمله فهو كاذب، والله أغنى الشريكين عن الشرك، لا يقبل عنده إلا ما ابتغي وجهه خالصًا، فلا يقول بلسانه: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقلبه غافل عن الله مشغول بسواه!!

إن الذي يقول: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إنما هو عبد فقد نفسه ونسيها، ووُجد لخدمة سيده وعبادته، لا يغيب عن ربه طرفة عين، بل هو مداوم على مراقبته، هو عبد ارتقى إلى عين اليقين، فحياته وموته لله، وبقاؤه بالله.

الذي يراقب قلبه بوحدانية الله ويطرد ما سواه يصل إلى علم اليقين، وإذا رأى أن حياته وموته بالله وأنه هو المحيي المميت؛ ارتقى إلى عين اليقين، فإذا فني عن كل شيء وصل إلى درجة حق اليقين.

كان سيدنا أبو يزيد البسطامي يقول: (انسلخت نفسي عن نفسي؛ كما تنسلخ الحية من جلدها، فلم يبق في قلبي متسع لغير ربي عز وجل).

العالم هو من عبد الله حق عبادته؛ لأنه أحق أن يعبد ممن سواه، أما غيره فيعبدونه من أجل الجنة، وخوفاً من النار؛ أي: جعلوا الله واسطة للحصول على الجنة، والعالم يجعل الله هو الغاية، وليس الجنة؛ وهو ما تعطيه كلمة: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ يقف بين يدي الله وليس له محبوب غير الله، ولا مقصود سواه، فهذا هو الذي يعبد لا يشرك به، وأما الذي يريد الجنة ويريد الرزق ويريد المعيشة من عبادته لله؛ فهذا العبد قد أشرك في العبادة، وهذا كذب ثان؛ لأن معنى (لا شريك له) أي: لا إله مقصود بهذه العبادة إلا الله.. فلا تقل: (لا شريك له) وأنت تريد الدنيا!!

وتقول: (وبذلك أمرت) أي: لمجموع ما ذكرت من توجيه البدن للكعبة والقلب للرب وعدم الشرك بالعبادة والإخلاص له؛ فأنت مأمور به، أمرت أن تعبد الله مخلصاً له الدين.

وعندما تقرأ: (وبذلك أمرت) فانظر هل نفذت ذلك الشيء؟؟.. لا.. إذن هذا كذب ثالث.

ثم ماذا تقول؟ (وأنا من المسلمين) والمسلمون عند شروطهم، فهل أنت تفي بتلك الشروط التي أوجبها الله عليك للمسلمين؟! هل تعرف حق المسلمين عليك وتنفذه؟ إذا كنت مقصراً في هذه الحقوق فهذا كذب رابع..

فإذا كان دعاء الافتتاح مشتملاً على عدة مخالفات وأكاذيب؛ فكيف بسائر الصلاة؟!.

وتبدأ آلة التصوير الإيمانية تصور لك مشاهد عظيمة، عليك أن تعرضها على نفسك كل يوم سبع عشرة مرة في الفريضة.. عليك أن ترى الصور أمامك وتعيدها كل يوم مرات.. ولا ينبغي أن يكون لسانك كالمسجل ينطق بما لا يعي..  
ثم تبدأ بالحمد والثناء والتمجيد لله رب العالمين.. فكيف يكون ذلك..

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس التاسع بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ١١

تقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

أي: لك الحمد يا ربي على هذه النعمة العظيمة التي أوليتني إيّاها، وحرمت منها اليهود والنصارى والمجوس والملحدين والمطرودين من حضرة قدسك، الحمد لله على كل نعمة أنعمها عليّ، وأعلاها نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد ونعمة الإيوان والإسلام.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو الذي ربّاكم: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ

أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤].

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، ﴿الرَّحْمَنُ﴾ منبع

الرحمة، و﴿الرَّحِيمُ﴾ منزل الرحمة، وهنا عليك أن ترى بعين بصيرتك الرحمة وهي تنزل

عليك من منبع الرحمة عليك وأنت واقف بين يديه.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]: يوم القيامة، يوم يُنادي مولانا - والناس على

صعيد واحد - كل الناس؛ أبيضهم وأسودهم، حرهم وعبدهم، ملوكهم ورعيّتهم،

ظالمهم ومظلومهم، المتأهين والضعفاء، يُحشرون جميعاً يوم القيامة، وهناك يناديهم:

﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟! لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، الملوك الحق والمالك الحقيقي هو الله

وحدّه.

وانظروا: أولاً ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: حمد لله تعالى، ثم ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: ثناء

على الله تعالى، ثم ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: تمجيد لله تعالى. وبعدها:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]: هذه قَمَّةُ الفاتحةِ، ولأجلِها شُرِعَ الحمدُ  
والثناءُ والتمجيدُ، ولم يُقَلَّ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ ونستعينُ، بل قالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذا منِّي له  
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذا منه لي.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: خُذْ يا مولايَ صَلَاتِي وَعِبَادَتِي وَتَسْبِيحِي وَحَمْدِي وَثَنَائِي وَتَمَجِيدِي  
لَكَ، أَرْفَعُهَا لَكَ.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أَطْلُبُ العَوْنَ فِي صِحَّتِي، أَو العَوْنَ فِي تِجَارَتِي، أَو العَوْنَ فِي  
دِرَاسَتِي، أَو العَوْنَ فِي زَوَاجِي... وَمَا أَحْوَجُنَا إِلَى العَوْنِ!! كَلُّ الكَوْنِ لَوْلَا اللهُ تَعَالَى مَا  
عِنْدَنَا مِنْهُ شَيْءٌ.

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا  
وَالْأَفْضَلُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَطْلُبَ بِلَفْظِ الاستِعاْنَةِ عَلَى مُطَلَقِهَا، أَنْ يَرَى عِبَادَتَهُ وَهُوَ يَرْفَعُهَا  
إِلَى اللهِ، ثُمَّ يَرَى مُقَابِلَهَا الرَّحْمَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرَى جَوَابَ طَلْبِهِ مُبَاشِرَةً:  
خُذْ طَلْبَكَ، هَذِهِ مَعُونَةُ اللهِ تَعَالَى، وَإِلَيْكُمْ الدَّلِيلُ:  
رَوَى السُّنَّةُ إِلَّا الْبُخَارِيَّ عَنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ يَرْفَعُهُ إِلَى رَبِّهِ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ:  
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي.  
وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي.  
وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: مَجَّدَنِي عَبْدِي.  
وَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ...﴾؛ قَالَ اللهُ: هَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ  
عَبْدِي؛ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: وَأَنْتَ وَاقِفٌ عَلَى الصِّرَاطِ تَطْلُبُ الْأَسْتِقَامَةَ عَلَيْهِ وَعَدَمَ

الانحرافِ عنه، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَوْلَانَا مِنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ. وَهَمَا التَّخْصِيسُ:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعِينَ وَالصَّالِحِينَ...

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: الْيَهُودِ.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: كُلُّ مَنْ ضَلَّ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ.

وَسَنَّا لَكَ سَيِّدُنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَقُولَ: آمِينَ؛ أَيُّ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ، فَأَنْتَ

مُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ تَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَسْتَجِيبَ مِنْكَ الدُّعَاءَ، وَالْمَقَامَ كُلَّهُ دُعَاءً.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق



## الدرس العاشر بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ١٢

##### الخشوع في الركوع والاعتدال

جعل الإسلام الركوع تحيةً إلى الله تعالى، والسجود مناجاة؛ يعني: كالذي يدخل على الملك فينحني له فيحييه، ثم يقول له الملك: اجلس بين يدي، فيجلس فيتكلم. هذا الترتيب مأخوذ من الحضرة الإلهية؛ لذلك نهينا عن الركوع أو السجود لغير الله تعالى.

العين لا تُعطي الصورة، ولكن الروح تعطي الصورة، فانت في الصلاة عليك أن توفق بين عينك وروحك، وهذا معنى الإحسان، فمثلاً: عندما تقرأ قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ...﴾ [النور: ٣٥]، يجب عليك أن ترى هذه الصور كلها بعينك، ولا يكون لسانك شريطاً مسجلاً يتلو دون أن يفهم، عيب عليك!! تخاطب الله وتقرأ كلامه وأنت غافل عنه؟! هو مقبل عليك وأنت تلتفت إلى غيره؟! لذلك اسمعوا لهذا الحديث عندما يقوم العبد في صلاته ويقول: الله أكبر، ثم يلتفت في صلاته: «إذا التفت العبد في صلاته [أي: شرد ذهنه] يقول الله تعالى: عبدي إلى من تلتفت؟ أنا خير ممن تلتفت إليه، ثم إذا التفت الثانية قال له مثلها، ثم إذا التفت الثالثة

أعرض الله عنه فلم يعبأ بشيءٍ من صلاتِهِ»<sup>(١)</sup> وعند البخاري عن السيدة عائشة وقد سألتُه صلى الله عليه وسلم عن الالتفاتِ في الصلاةِ فقال: «هو اختلاسٌ يختلسهُ الشيطانُ من صلاةِ العبدِ».

فالركوعُ إذا تحيةٌ في اللغة، وهنا المصليُّ بعد أن استشعرَ أنَّ الحضرةَ الإلهيةَ أمامه، وسارَ في سُرَادِقَاتِ الحَمْدِ والشنَاءِ والتَّعْجِيدِ لله تعالى؛ حيًّا اللهُ وركعَ له. فنحن عندما نركعُ علينا أن نستشعرَ أننا بركوعِنا نحْيِي الله تعالى. فالركوعُ إذا تحيةٌ، وفي التحيةِ تعظيمٌ، رأيتُهُ فحيَّيتهُ بالركوعِ، وخاطبتهُ قائلاً: سبحانَ ربِّي العظيم.

ولمَّا رفعتَ رأسك، قال لك: سمعَ اللهُ لمن حمدهُ، عبدي! سمعَ اللهُ لمن حمده، وهذا تشويقٌ وترغيبٌ، اللهُ يسمعُك عندما تحمدهُ؛ يعني: طلبَ منك الحمدَ، فتقولُ أنت فوراً: ربَّنَا ولك الحمدُ.

هذه الكلمةُ (سمعَ اللهُ لمن حمده) كلمتهُ هو سبحانه، إنما خرجتُ على لسانك لكي تسمعها أذنك ويحيبَ عنها لسانك؛ لكي تحمَدَ اللهُ تعالى بكلِّ جوارحك؛ ولهذا سنَّ لنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن نقولَ: «ربَّنَا ولك الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» كما في «الصحيحين»، فمرةً صلَّى أحدُ الصحابةِ خلفَ سيدنا النبيِّ صلى الله عليه وسلم فلما قال: «سمعَ اللهُ لمن حمده» قال الصحابيُّ: ربَّنَا ولك الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انتهى سيدنا النبيُّ من صلاتِهِ سألَ سؤالاً قال:

من الذي قال خلفي: «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه؟» قال الصحابيُّ: أنا يا رسولَ اللهِ.

(١) «مسندُ الفردوسِ» وبمعناه عند البزار والبيهقي في «شعب الإيمان».

فقال: «لقد رأيتُ بضعةً وثلاثينَ ملكًا يبتدرونها أيُّهم يكتبها أوَّل؟» أي: كلُّ يريدُ أن

يسجِّلها في صحيفتك.

فالركوعُ إذا تحيةٌ ومشاهدةٌ وخطابٌ، مشاهدةٌ: استشعارُ الحضرةِ الإلهيةِ (كأنَّكَ تراه)

وخطابٌ: كَلِّمَكَ وكَلِّمَتْهُ.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الحادي عشر بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ١٣

##### الخشوع في تكبيرات الصلاة

ثم السجودُ أعظمُ من الركوعِ؛ لأنَّ العبدَ وهو قائمٌ قد يرى نفسه بطوله وهيبته وقوته، أمَّا في السجودِ فهو ينسى ذلك كله، ويرميه على الأرض ويقول: اللهُ أكبرُ.

هل لاحظتمُ سرَّ التكبيرِ في كلِّ حركةٍ من حركاتِ الصلاةِ؟ كلِّما تحركتَ شرعاً لك التكبيرُ: اللهُ أكبرُ، فهل سألتَ نفسك: لماذا شرعتَ كلمةَ (اللهُ أكبرُ) دونَ قولك: (سبحانَ الله)، أو (لا إلهَ إلا اللهُ)؟؟ إنَّه يعني: أنَّه ما من خاطرٍ يأتيك في الصلاةِ ويشغلكَ عنها إلا وأمرَكَ أن تعترفَ بلسانِكَ وتقرَّ بقلبك وتُخضعَ جوارحك أن الله تعالى أكبرُ منه؛ يعني: أن تذكرَ الله في صلاتِكَ كي لا يبقى وقتٌ في الصلاةِ إلا وأنت مشغولٌ فيه بالذكرِ.

إنَّ الله تعالى خلقَ في الإنسانِ عقلاً وقلباً ونفساً، والنفسُ مركزُها البطنُ، وهي أنجسُ على العبدِ من إبليسَ؛ لأنَّ إبليسَ قال عنه مولانا: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، فلما جاء ذكرُ النفسِ قال: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

والنفسُ ذكرَ لها مولانا سبعَ مراتبَ: أمارَةٌ بالسوءِ، لوامةٌ، مُلهمةٌ، راضيةٌ، مرضيةٌ، كاملةٌ. ونظمها بعضهم فقال:

إِنَّ	النَّفْسَ	سَبْعَةَ	مُنْظَمَةَ	أَمَّارَةٌ	لَوَامَةٌ	وَمُلهمةٌ
وَذَاتُ	الاطْمِئْنَانِ	بِاللهِ	وَلَهُ	رَاضِيَةٌ	مَرَضِيَةٌ	وَكاملةٌ

واسمع معي إلى قول مولانا بعد أن تُوْحِدَ اللهُ ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]. ﴿لَا﴾: للتَّنبِيهِ. والمراد: أقسم بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ.

وقال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]؛ أي: صارَ لديها استعدادٌ للخطابِ الإلهيِّ.

وقال: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]، فتقول: لبيك فيقول لها: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨]، فإذا حصلتَ هذا المراتبُ صارتَ كاملةً، فرضي اللهُ عنها، وصارتَ خاشعةً لله تعالى، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَثِي رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

والآن وظيفتُك أن تربطَ نفسَكَ باللهِ داخلِ الصلاةِ وخارجها، ولن تستطيعَ ذلكَ إلا بالمدائمةِ على الذِّكْرِ، حقيقةً لا يستطيعُ العبدُ أن يسيطرَ على نفسهِ إلا بالذِّكْرِ؛ لأنَّ النفسَ تحبُّ وتشتهي، ولأجلِ هذا وضعها ربُّ العزَّةِ تحتَ البطنِ (بالقبو).

إذا النفسُ هي الخبيثةُ، والسيطرةُ عليها وقتلُها وسحقُها لا يكونُ إلا بالذِّكْرِ؛ إلا بالتكبيرِ كما هو درسنا لذلكَ أعظمُ درسٍ للذاكرِ يأخذهُ هو قتلُ النفسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ وتحويلُها إلى راضيةٍ مرضيةٍ وكاملةٍ، والفتحُ الأعظمُ للعبدِ لا يأتي إلا بالذِّكْرِ، اسمعوا إلى مولانا يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]؛ أي: أقمِ الصلاةَ لتكونَ معي، حاضرًا فيها معي، وقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] أي: ولذِكْرُ اللهِ تعالى أكبرُ من ذِكْرِكَ أي شيءٍ آخر، أو لَذِكْرُ اللهِ عبدهُ أكبرُ من ذِكْرِ العبدِ ربُّه، فالمذكورُ هو الأكبرُ، فإن لم يكنْ في قلبِكَ للمذكورِ الذي هو المقصودُ من الصلاةِ والمبتغى بها عظمةٌ ولا هيبةٌ؛ فما

قيمة ذكرك؟! ولأجل هذا قال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>.

أتعرفون لماذا؟ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون عند ربّه. فعليك أنت عندما تكبّر أن تحضّر قلبك مع التكبير: الله أكبر = الله أعظم كلما جاء خاطر يشغلك عن الصلاة فقل: الله أكبر، وكلما شرد ذهنك فقل: الله أكبر (أي: الله أعظم)، وأما الذي لا يسمع ولا يعي بأن الله تعالى أكبر وأعظم وأجل وأكرم؛ فهذا صحّت صلاته شكلاً، وأما قبولها فعلى الله تعالى؛ إن شاء قبلها، وإن شاء ردّها، فإيّاك أن تكون ممن ردّ الله صلاتهم فسجّل في ديوان المطرودين!!  
اللهمّ اقبلنا عندك واجعلنا ممن يذكرك حقّ ذكرك، يقول نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفِعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «ذِكْرُ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) أخرجه الطبراني.

(٢) أخرجه الترمذي.

## الدرس الثاني عشر بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ١٤

#### الخشوع في السجود

السجودُ عظيمٌ، أعظمُ من الركوع؛ لذلك أوجبه مولانا مرَّتين؛ نكايَةً بإبليسَ، وزيادةً في العبوديةِ لله تعالى، فإذا سجدَ المصلِّي فعليه أن يسجدَ بكلِّيته لمولانا عزَّ وجلَّ، يسجدَ بوجهه وكفيه ورجليه، والأعظمُ أن يسجدَ قلبه لله تعالى بالخشوع والتذلل والانكسار.

علماءُ الفِراسةِ يقولون: إنَّ الجينَ شرفُ الإنسانِ، والأنفَ كرامةُ الإنسانِ، والعينَ لما ترى، والأذنَ لما تسمعُ، واليدينِ والقدمينِ آلتكُ، فقرةُ الإنسانِ في رأسه ويديه ورجليه، فلما سجدتَ رميتَ بكلِّ شيءٍ على الأرضِ، وانسلختَ من قوتك إلى قوته، وقلت: لاحولَ لي ولا طولَ، أستعينُ بك يا رب، وأتوجَّهُ إليك، وأعبُدك، وأخضعُ لك، تركتُ كلَّ شيءٍ لأجلك؛ نُفُوزي، وجِسمي، ومالي، وعِلمي، وجاهي، وأولادي، كله أرميه على الأرضِ وأسجدُ بعشرتي، وأناجيك وأقول: (سبحانَ ربي الأعلى).

أي: سبحانك! ما أعلاك وما أحقرني!! سبحانك! ما أقواك وما أضعفني!! سبحانك! ما أعزك وما أذلني!! أنفك، وجبينك، ويداك، ورُكبتك، وقدماك سبعةُ أعظمٍ كلُّها على الأرضِ، وعليك هنا أن يكونَ جسمُكَ في طاعته وقلبك معه معلقٌ بهيبة ربِّك وجلاله.

هذه الحالةُ يحبُّها مولانا، ولأنَّه يحبُّها منك جعلك تُكرِّرها مرَّتين؛ زيادةً في الخشوع والعبودية، فعليك أن تُكرِّرها وتعيدها كلَّ يومٍ / ٣٤ / مرةً على الأقلِّ، وعليك أن تُعلنَ

عبوديتك وتواضعك وذلك كل يوم / ٣٤ / مرة على الأقل، فأنت في السجود أقرب إلى الله تعالى، فأكثر من الدعاء.

هناك التلّكس؟ لا، الفكس، منتهى الخضوع وأنت ساجد على الأرض، وأنا أسأل: لماذا السجود على الأرض...؟، لأنّ للسجود على الأرض سراً عظيماً.

من (سورة البقرة) يقول مولانا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]. وكان الجنُّ قبل ذلك مخلوقين على الأرض، يقتتلون، ولأجل ذلك قالت الملائكة هذه المقالة، فردّ عليهم مولانا بقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وعلى الموجة الإيمانية من (سورة الرحمن): ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤].

وعلى الموجة الإيمانية من (سورة الحجر) و(ص) يقول تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]-[ص: ٧٢]، هل لاحظت هذا البناء الذي فيك؟ إنه بناء إلهي، وهذا النقش نقش إلهي.

واسمع إلى مولانا يقول: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]. لم يجعلك تمشي على أربع، أو زاحفاً؛ لأنّ هذه الكيفية التي خلقتك عليها يريدك أن تتصوّر بها؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].



حاشا مولانا أن يخلَق إنسانًا بهيئة فَرْدٍ!! فإذا وُلِدَ إنسانٌ مُشَوِّهاً -والعيادُ بالله- يكونُ السبُّ في ذلك أبويِّه، أو يكونُ السبُّ معصيةً؛ كما فعلَ مولانا باليهودِ حينَ مسحَهم قِرْدَةً وخنازيرَ.

إِذَا فَأَنْتَ التُّرابِيُّ الَّذِي صَنَعَهُ اللهُ، وَالرُّوحَانِيُّ الَّذِي نَفَخَ فِيكَ اللهُ، فَعِنْدَمَا تَسْجُدُ تَرْمِي تَرابَكَ فَوْقَ التُّرابِ فَتَتَذَكَّرُ أَصْلَكَ، وَتَحَلِّقُ بِرُوحِكَ الَّتِي فِيكَ وَتَتَاجِيهِ لِأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِهِ. الْإِنْسَانُ عَظَمَتُهُ أَنَّ اللهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي صَوَّرَهُ، وَنَحْنُ عِنْدَمَا نَشْتَرِي شَيْئًا (كَأَسًا مِثْلًا) يُكْتَبُ عَلَيْهِ بِلَدِّ الصَّنْعِ (Made in France) وَأَنْتَ أَيُّهَا الْعَبْدُ مَكْتُوبٌ عَلَى قَلْبِكَ: (الله) صَنَعَ اللهُ، خَلَقَ اللهُ، فَهَذَا الْمَخْلُوقُ عَظَمَتُهُ أَنَّ اللهُ هُوَ الَّذِي بَنَاهُ بِيَدِهِ، لَا بِيَدِ الْمَلَائِكَةِ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ يَخْلُقْهُمُ اللهُ بِيَدِهِ، بَلْ أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ نُورٍ، وَقَالَ لَهَا: كُونِي مَلَائِكَةً، فَكَانَتْ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ مَعَ الْجِنِّ، أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ نَارٍ وَقَالَ لَهَا: كُونِي جِنًّا، فَكَانَتْ، بِكَلِمَةِ كُنْ فَيَكُونُ.

أَمَّا الْبَشَرُ فَبِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ خَلَقَهُمْ، هُوَ خَلَطَ تَرابَهُمْ، وَكَانَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ؛ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْناسِ الْبَشَرِ: (صَخْرِي وَغَضَارِي وَكِلْسِي وَرَمْلِي...). وَمِنْ أَرْبَعَةِ أَلْوَانٍ: (أَبْيَضٌ وَأَصْفَرٌ وَأَحْمَرٌ وَأَسْوَدٌ)، وَعَلَى أَرْبَعَةِ أَمْزِجَةٍ: (مَائِيٌّ، وَتُّرابِيٌّ، وَنَارِيٌّ، وَهَوَائِيٌّ).

وَأَرْسَلَ مَوْلانا سَيِّدَنَا جَبْرِيْلَ لِيُحْضَرَ قَبْضَةً مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْأَرْضِ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي خَالِقٌ مِنْهَا بَشَرًا، فَمَنْ أَطَاعَنِي مِنْهُمْ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي دَخَلَ النَّارَ، فَنَزَلَ سَيِّدُنَا جَبْرِيْلَ لِيُحْضَرَ التُّرابَ، فَقَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ تَأْخُذَ مِنِّي خَلْقًا إِلَى النَّارِ!!

فَعَادَ سَيِّدُنَا جَبْرِيلُ وَقَالَ لِمَوْلَانَا: سَمِعْتَ مَا قَالَتْ لِي الْأَرْضُ، فَأَرْسَلَ رَبُّ الْعِزَّةِ إِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ، فَقَالَتْ لِهَمَا مِثْلَمَا قَالَتْ لِسَيِّدِنَا جَبْرِيلَ، فَأَرْسَلَ مَوْلَانَا سَيِّدَنَا مَلَكَ الْمَوْتِ، فَنَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَتْ لَهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ تَأْخُذَ مِنِّي خَلْقًا إِلَى النَّارِ! فَقَالَ سَيِّدُنَا مَلَكُ الْمَوْتِ: وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ أَعْصِيَ لَهُ أَمْرًا!! وَأَخَذَ الْقَبْضَةَ وَارْتَقَى إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَانَا: وَعِزَّتِي لِأَخْلُقَنَّ مِمَّا جِئْتَ بِهِ خَلْقًا، وَلَا سُلْطَنَكَ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ.

ثُمَّ أَخَذَ مَوْلَانَا قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ بِيَدِهِ هُوَ، فَعَجَّنَهَا بِنُورٍ وَجِهِهِ، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي تَرَابِ آدَمَ كَالْخَمِيرَةِ فِي الْعَجِينِ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَى التَّرَابِ مَاءَ الْحَزَنِ مِئَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهَا مَاءَ الْفَرَحِ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ، حَتَّى طَابَتِ الْعَجِينَةُ وَصَارَتْ طِينًا، وَتِلْكَ الْعَجِينَةُ الَّتِي خَمَّرَهَا بِنُورٍ وَجِهِهِ هِيَ خَيْرَةُ جَسَدِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَسَدُ سَيِّدِنَا آدَمَ مَعْجُونٌ مِنْ تَرَابٍ مَخْلُوطٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ وَخَيْرَةِ جَسَدِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَيِّدُنَا آدَمَ فِيهِ نُورُ اللَّهِ، وَفِيهِ نُورُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ، وَاسْمَعُ مَعِيَ إِلَى قَوْلِهِ وَأَنْتَ تَزْدَادُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ نُورًا يَقُولُ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»<sup>(١)</sup>.

وقال: «إني عند الله في أم الكتاب لحاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته»<sup>(٢)</sup>.  
وترك مولانا هذه الطينة ماشاء الله تعالى حتى أصبحت حمًّا مسنونًا (أسودًا ممتنًا) يقول مولانا عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمٍّ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]. ثم أخذ هذا الحمًّا المسنونَ وبدأ بناء سيدنا آدم من القدمين، وارتقى حتى أتمَّ تصويره وخلقهُ سِتِّينَ ذِرَاعًا، بناه بيده هو، لم يطلُبْ من أحدٍ مُسَاعِدَةً، وتركهُ يَجِفُّ

(١) أخرجه ابن حبان وابن سعد في «طبقاته» وأبو نعيم في «الحلية».

(٢) أخرجه البيهقي والطبراني.

حتى أصبح صلصالاً (فخَّارًا) اسمع إلى مولانا يقول: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤].

ثم جاءت الملائكة إلى الله تعالى لتبارك بالخلق الجديد، وجاء إبليس - وكان إبليس لكثرة طاعته واجتهاده وتقواه وصل إلى مصاف الملائكة، حتى لُقِّبَ بطاووس الملائكة، وإبليس ليس ملكًا ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، لجمال مناجاته لله تعالى ولذِّة ذكره، بل كان رئيس كوكبة من الملائكة - ونظر إبليس إلى جسد سيدنا آدم وراح يدور حوله، ثم دخل في أنفه وخرج من فيه، ودخل من فيه وخرج من ذُبره، ثم قال: هذا سيقع وينكسر.

قالت الملائكة: لماذا؟ قال: لأنه ليس صمدًا.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢].

الله صمد لا جوف له، وآدم ليس صمدًا؛ أي: أن له جوفًا.

قال سيدنا جبريل: يا إبليس استحيي من الله تعالى.

فقال إبليس: لئن سوِّدته عليَّ لأعذبته، ولئن سوِّدني عليه لأحتقرته احتقارًا شديدًا.

ثم أراد الله أن يدخل فيه الروح، فما أخذ من أرواح أخرى ووضعها في آدم، بل شرفه

ونسب إليه الروح، فقال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [ص: ٧٢]، فقله سبحانه:

﴿رُوحِي﴾: تشریف، فالروح التي فيك نسبها مولانا إليه تشریفًا؛ كما نسب إليه الصالحين

فقال: ﴿عِبَادِنَا﴾ [مريم: ٦٣]، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ [الزمر: ٥٣].

فالروح التي فيك سرٌّ من أسرار الله تعالى... وبقية القصة في تفسير أوائل سورة

البقرة.

والآن ارجعوا معي: عندما سجدت لله ارتمى ترابك فوق التراب، وروحك وقلبك معه تناجيه، وتقول له: سبحان ربي الأعلى.

هذه المناجاة والتسبيح والدعاء في السجود يجبه مولانا؛ لأن سجودك لله تحقق بالعبودية، فإن تحققت بالذلل وسألت سؤال الذليل؛ أعطاك، اسمع إلى سيدنا رسول الله يقول: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء»<sup>(١)</sup>.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

## الدرس الثالث عشر بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ١٥

##### الخشوع في التشهد

فلما جلست للتشهد: هنا التشهد لإعضائك وجوارحك دخولك على الله تعالى؛ كما دخل من قبل سيدنا رسول الله حين عرج به إلى السماء بعد الإسراء؛ كما ثبتت به الأحاديث الصحيحة التي بلغت حد التواتر. وكان عن يمينه سفير الأنبياء، وكبير أمناء وحي السماء، وكلما شاهد شيئاً سأله: «يا جبريل ما هذا؟» فيقول: هذا النبي فلان. وهذا صوت الجنة، وهذه المرأة العجوز هي الدنيا، لم يبق في عمر الدنيا إلا كما بقي من عمر هذه العجوز، وارتقى سيدنا رسول الله إلى ما فوق السماء السابعة، ثم رقى على الرفرف الخضري حتى وصل إلى بحر عظيم أمامه، فقال: يا جبريل أرى بحراً عظيماً أمامي، فلم يُجبه، فالتفت عن يمينه، فلم يجد سيدنا جبريل، فنظر خلفه فرآه بعيداً، فعاد إليه وقال: يا جبريل أفي هذا المكان يترك الحبيب حبيبه؟ فقال سيدنا جبريل: يا محمد ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصفات: ١٦٤]، وهذا مقامي، لو تجاوزت حدِّي لاحترقت بنور العظمة (الإلهية) اذهب فذاك مقامك، وهذا بحر النور.

وعاد الحبيب الأعظم إلى بحر النور، وسمع منادياً يقول: أجلسوه وزجوه في بحري، فجلس جلسة التحيات، وسار على بحر النور، وهناك حيث لا زمان ولا مكان - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - تجلّى الحبيب ليرى حبيبه، هناك كشف الله تعالى الحجاب بينه وبين رسول الله، فرأى رسول الله نوراً عظيماً، وسرعان ما قام سيدنا رسول الله بالقاء

التحية على الله تعالى: «التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ اللَّهُ» فأجابَ مولانا التحيةَ بخيرٍ منها: (السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ) فَقَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ» نَفْسِي فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ تَذَكَّرْتَنَا فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ!! حَقٌّ لِلْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ أَنْ تُصَلُّوا عَلَيْهِ مِنْ قُلُوبِكُمْ؛ لِأَنَّ الْحَبِيبَ الْأَعْظَمَ قَالَ: فَظَرَّتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى هَذِهِ الْمَكَالِمَةِ بَيْنَ الْحَبِيبِ وَحَبِيبِهِ؛ بَيْنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَسُولِهِ، فَقَالَتْ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».

هذه عظمة سيدنا محمد! هذا مقام سيدنا رسول الله!! لم يصل إليه ملك مقرب ولا رسول مُصْطَفَى، وإنما هي مرتبة سيدنا محمد، ما خاب من صلى عليه، صلى الله عليه وسلم.

فعليك - يا أخي - المسلمم وأنت تتلو هذا التَّشَهُدَ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى اللَّهِ كَمَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ تُحْيِيَ اللَّهَ كَمَا حَيَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى سَيِّدِنَا النَّبِيِّ كَمَا سَلَّمَ عَلَيْهِ مَوْلَانَا؛ أَي: أَلَّا تَكُونَ وَأَنْتَ تَتْلُو التَّشَهُدَ مُخْبِرًا أَوْ حَاكِيًا، بَلْ تُنْشِئُ التَّحِيَّةَ إِنشَاءً، فَتَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تُسَلِّمُ، وَأَنْتَ الَّذِي تُحْيِي، أَنْتَ الَّذِي تُسَلِّمُ عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ، وَأَنْتَ الَّذِي تُسَلِّمُ عَلَى نَفْسِكَ وَسَمْعِكَ وَبَصْرِكَ وَجَوَارِحِكَ حِينَ تَقُولُ: (السَّلَامُ عَلَيْنَا)، وَتُسَلِّمُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ تُشْهِدُ قَلْبَكَ وَجَوَارِحَكَ وَالْمَلَائِكَةَ مِنْ حَوْلِكَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

ويضعُ يديه على فخذيهِ؛ ليمنعهُما من العبثِ، ويشيرُ بالمسبحةِ إلى جهةِ القبلةِ، ينوي بالإشارةِ الإخلاصَ والتَّوحيدَ، وعن ابنِ عباسٍ: هو الإخلاصُ، وعن مجاهدٍ: مِقمعةُ الشيطانِ.

وعليك بعد أن تذكرَ اسمَ النبيِّ سيدنا (محمَّدٍ) أن تُصليَّ عليه؛ لأنَّكَ ذكرتَهُ باسمِهِ الصَّريحِ، أن تُصليَّ عليه وعلى آلهِ وعلى أبي الأنبياءِ سيدنا إبراهيمَ، وكيفيكَ أن تقولَ: (اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلِّم). لكنَّ الأفضلَ والأكملَ أن تُصليَّ عليه بالصلواتِ الإبراهيميةِ.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الرابع عشر بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ١٦

##### الخشوع في السلام

فإذا سَلَّمْتَ من الصلاةِ: السلامُ عليكمُ ورحمةُ اللهِ.

اسمَعُوا الصَّيْغَةَ: (السلامُ عليكمُ ورحمةُ اللهِ) إن كان هناك قولٌ يُقالُ في هذه الصَّيْغَةَ؛ فهو أنَّكَ انتهيتَ من الصلاةِ، فما واجِبُكَ مُجَاهَ الْمُؤْمِنِينَ؟ مُجَاهَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؟ إنَّ هذه العبارةَ كلمةٌ توجيهِيةٌ من مولانا، إنَّها تعني أنَّ تعاملَ الناسِ بعدَ الصلاةِ بالسلامِ والأمانِ، لم يقل: السلامُ على الملائكةِ، أو: السلامُ علينا، بل قال: السلامُ عليكمُ، عليكمُ أنتمُ أيُّها النَّاسُ، هل أدركتَ يا أخي هذا المعنى؟ لا يجوزُ لك بعدَ الصلاةِ أن تخونَهُم، ولا أن تُعْشَهُم، ولا أن تَسْرِقَهُم، ولا أن ترتكبَ الفواحشَ معهم، بل يجبُ عليك أن تعيشَ معهم بسلامٍ وأمانٍ، السلامِ والرحمةِ أعظمُ نهايةٍ سعيدةٍ يتمنَّاها الإنسانُ، وليس السلامُ على المُقَرَّبِينَ فقط الذين هم عن اليمينِ بل السلامُ على جميعِ المسلمينِ عن اليمينِ وعن الشمالِ بيقينٍ، سلامٌ وسلامٌ، إنَّها النتيجةُ الطبيعيةُ بعدَ العبادةِ، أمَّا شيءٌ غيرُ الطبيعيِّ بعدَ العبادةِ فهو أن تنتهيَ من صلاتِكَ وتخرجَ منها وكأنَّكَ ذئبٌ جائعٌ، أو أسدٌ مفترسٌ، يفترسُ الضعفاءَ ويأكلُ أموالَ اليتامى ظلماً وعدواناً، شيءٌ غيرُ طبيعيٍّ أن تكونَ بين يدي مولائِكَ تعبُّدُهُ وتُظهِرُ له التذللَ والعبوديةَ، ثم تنتهيَ من عبوديتِكَ بعدَ الصلاةِ لتُظهِرَ جبروتَكَ على أهلِ بيتِكَ!! وتأكلُ أموالَ الناسِ بالباطلِ، اسمعُ يا أخي وأنت تُنتهيَ صلاتَكَ بقولِكَ: السلامُ عليكمُ ورحمةُ اللهِ. السلامُ عليكمُ ورحمةُ اللهِ.



واسمع معي إلى خاتمة الصلاة، اسمع معي إلى حبيبك رسول الله يقول: «من لم تنهه  
صلاته عن الفحشاء والمنكر؛ لم يزد من الله إلا بُعداً»<sup>(١)</sup>.  
هذا هو درس الخشوع في الصلاة، إن لكل حركة وقول هدفاً وغاية، ومعنى  
ومدلولاً.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) أخرجه الطبراني.

## الدرس الخامس عشر بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### الخشوع في الصلاة ١٧

#### شهودُ المِنَّةِ من الله في الصلاة

وبعد هذه العجالة من تطبيق التصوف على درس الصلاة عليك أن تعتقد مع هذا كَلِّهِ:

أنه لا ينبغي لعبدٍ أن يرى أنه قام بشيءٍ من واجبِ حقوقِ الله تعالى أبداً؛ لما هو عليه من العظمة والجلال، بل يجبُ عليه شهودُ المِنَّةِ من ربه عليه حين استدعاهُ إلى أن يكونَ من عباده المؤمنين، فيستشعرُ في نفسه ذلك ويقول: ذكّرني ربي، واستمعَ لخطابي ومحادثتي، مع حقّارتي وجفائي وبُعدي!! ويكثرُ من استصغارِ نفسه وتعظيمِ ربه، حتى يتمنى ويودُّ في نفسه لو تقربَ إلى الله تعالى بعبادةِ الخلقِ أجمعين. ومن هنا يفهمُ قوله: «نيةُ المؤمنِ خيرٌ من عمله»<sup>(١)</sup>.

ثم يستغفرُ الله تعالى بعد الصلاة إشارةً إلى رؤيةِ تقصيره عن الإتيانِ بما يجبُ لله تعالى من كمالِ الصلاة.

وكان رسولُ الله يستغفرُ عقبَ كلِّ صلاةٍ ثلاثَ مرّاتٍ لهذا المشهدِ، فكانَ المصلّي يتوبُ من شهودِ الحسناتِ كما يتوبُ العاصي من السيئاتِ، من بابِ "حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربين"؛ ولهذا تقولُ الملائكةُ يومَ القيامةِ: «سبحانك! ما عبدناك حقَّ عبادتك يا

---

(١) أخرجه الطبراني عن سهل بن سعد.

معبوداً<sup>(١)</sup> على صفاء عبادتهم عن شوب الكدورات، وعدم فتورهم عن العبادة في وقت من الأوقات.

وهذا الذي تقوله الملائكة هو الذي قاله نبينا صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل أحدًا الجنة عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله بمغفرة ورحمة»<sup>(٢)</sup> وهذا مع اجتهاده وصفاء أحواله، وليس معناه: أن العمل لا ينفع صاحبه، فيكون محرضًا على ترك العمل، وإنما معناه الترغيب في الاجتهاد بجميع ما يقرب إلى الله تعالى، فهو تنبيه على عظيم حق الله تعالى الموجب لرؤية التقصير لا غير. قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ أي: ذكر الله للعبد أكبر من كل ما يتقرب به العبد إلى ربه.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي والطبراني.

(٢) متفق عليه عن السيدة عائشة.

## الدرس السادس عشر بعد المئة

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

الدروس التطبيقية للتصوف على الحج

### تطبيق آداب التصوف على الحج

تقدم معنا تطبيق التصوف على الصلاة، وها نحن اليوم نرى تطبيق الحقيقة على شريعة الحج إلى بيت الله الحرام.

قال ابن العماد: وحكمة تركب «الحج» من الحاء والجيم إشارة إلى أن الحاء من الحلم، والجيم من الجرم، فكأن العبد يقول: يا رب جئتك بجرمي -أي: ذنبي- لتغفره بحلمك. إذا علم العبد أن الحج أحد أركان الإسلام؛ حصل له الشوق إلى أداء هذا الفرض، فإذا عزم على أداء هذه الفريضة قطع العلائق التي في طريقه المانعة له؛ لتحقيقه أن البيت الذي يقصده هو بيت الله عزَّ وجلَّ، وأن الله تعالى وضعه على مثال حضرة الملوك، فقاصده قاصد لله عزَّ وجلَّ وزائر له.

وإن من قصد البيت في الدنيا جدير بالألا تضيّع زيارته، فيُرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له؛ وهو النظر إلى وجهه الكريم في دار القرار.

ويعزم الزائر على مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجهاً إلى زيارة بيت الله عزَّ وجلَّ، فيعظّم في نفسه قدر البيت، وقدر صاحب البيت، ويجعل عزمه خالصاً لوجه الله تعالى، بعيداً عن الشوائب كالرياء والسمعة، فمن سوء الأدب أن يقصد بيت الله وحرمة ظاهراً، وفي الباطن قصده غير ذلك.

وعلى قاصد الحج ردُّ المظالم، والتوبة الخالصة عن المعاصي كلها، فالعلائق مع الخلق تتعلق بتلابيبه وتناديه: إلى أين تتوجه؟!، أتقصد بيت ملك الملوك، وأنت مضيع أمره في منزلك هذا؟!، أو مستهين به ومهمل له؟؟ ألا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك!!؟

فإن كنت راغبًا في قبول زيارتك فتب إليه أولاً من جميع المعاصي، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك؛ لتكون متوجهًا إليه بوجه قلبك؛ كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك.

وليتحرَّ الحاج الزاد الحلال، فإن الله تعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، ومن حج بهال حرام فقال: لبيك اللهم لبيك؛ قيل له:

"لا لبيك ولا سعديك، وحجك يا هذا مردود عليك".

وليحذر من أن يدخُل أعماله الرياء؛ لأنها زاده إلى الآخرة، والرياء يفسدها. وليتذكر عند شرائه لباس الإحرام ولبسه له الكفن الذي سيكفن فيه، وأنه سيلقى الله في الكفن كما سيلقى الله الآن بالإحرام الذي هو بزيته وهيئته.

وليعلم عند خروجه من بلده أنه فارق الأهل والوطن متوجهًا إلى الله عزَّ وجلَّ في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا، وليحضر في قلبه أنه يتوجه لزيارة ملك الملوك في زمرة الزائرين له، الذين نودوا فأجابوا، وشوقوا فاشتاقوا، وفارقوا الخلائق، وأقبلوا على بيت الله عزَّ وجلَّ الذي عظم شأنه، ورفع قدره؛ تسليًا بلقاء البيت، عن لقاء ربِّ البيت، وليحضر في قلبه رجاء القبول، لا بأعماله ومفارقتة أهله وماله، ولكن ثقةً بفضل الله عزَّ وجلَّ، ورجاءً لتحقيقه وعدّه لمن زار بيته.

وليتذكر الحاج عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة، وليتذكر في طريقه: الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة، وما بينهما من الأهوال؛ من سؤال منكر ونكير، وبما يلاقيه في الطريق أثناء -ركوبه الطائرة أو الحافلة أو غيرهما- من المكاره؛ كعقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات.

وبانفراده عن أهله وأقاربه ما يجده من وحشة القبر وكربته ووحدته، وليرجو بإجابته نداء الله عزَّ وجلَّ بقوله: ((لبيك اللهم لبيك)) أن يكون مقبولاً، وليخش أن يقال له: ((لا لبيك ولا سعديك))، فيبقى بين الرجاء والخوف، متردداً متبرئاً من حوله وقوته، ومتكلاً على فضل الله عزَّ وجلَّ وكرمه، فإن وقت التلبية هو ابتداء الأمر.

قال سفيان بن عيينة: حجَّ علي بن الحسين رضي الله عنهما، فلما أحرم واستوت به راحلته اصفرَّ لونه، وانتفض، ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: لم لا تلي؟ فقال: أخشى أن يقال لي: لا لبيك ولا سعديك، فلما لبى غشي عليه، ووقع عن راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.

وقال أحمد بن أبي الخواري: كنت مع أبي سليمان الداراني رضي الله عنه حين أراد الإحرام، فلم يلبَّ حتى سرنا ميلاً، فأخذته الغشية ثم أفاق وقال:

يا أحمد إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: مُرْ ظَلَمَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُقَلِّوْا مِنْ ذِكْرِي، فَإِنِّي أَذْكَرُ مِنْ ذِكْرِنِي مِنْهُمْ بِاللَعْنَةِ، وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ! بَلَّغْنِي أَنْ مِنْ حَجٍّ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ثُمَّ لَبَى؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: لَا لَبِيكَ وَلَا سَعْدِيكَ حَتَّى تَرُدَّ مَا فِي يَدَيْكَ، فَلَا نَأْمَنُ أَنْ يُقَالَ لَنَا ذَلِكَ.

وليتذكر الملبّي عند رفع صوته بالتلبية إجابته لنداء الله عزّ وجلّ إذ قال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

ونداء الخلق بنفخ الصور، وحشرهم من القبور، وازدحامهم في عرصات يوم القيامة، مجيبين لنداء الله سبحانه وتعالى، ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين، ومقبولين ومردودين، ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء؛ تردد الحجاج في الميقات حيث لا يدرون أيّسّر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا؟.

وليأمل الحاج بدخوله مكة - حرم الله وأمنه - أن يأمن من عذاب النار، فكرم الله عميم، وشرف البيت العظيم، وحق الزائر غير مضيّع.

فإذا وقع بصره على الكعبة المشرفة فينبغي أن يحضر عظمة البيت في القلب، ويقدر كأنه مشاهدة لرب البيت، وليرجو أن يرزقه الله النظر إلى وجهه الكريم؛ كما رزقه النظر إلى بيته العظيم.

خرج بعض الصالحين ومعه ولده للحج، فلما وقع بصرهما على الكعبة خرّ الولد ميتاً، فوقف والده على رأسه فسمع هاتفاً يقول:

- إنك خرجت تريد البيت، وقد لقيت البيت، وابنك خرج يريد الله فلقى الله تعالى.

وليتذكر الحاج عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين أن يدخولها كافة، ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين، وانقسام الحجاج إلى مقبولين ومردودين.

ولا ينبغي على الحاج أن يغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما يراه، فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة.

فإذا طاف حول البيت فليعلم أنه متشبه بالملائكة المقربين الحاقين حول العرش الطائفين حوله، ولا يظن أن المقصود طواف الجسم بالبيت، بل المقصود طواف القلب بذكر رب البيت.

فإذا استلم الحجر الأسود فليعتقد عنده أنه مبايع لله تعالى على طاعته، وليعزم على الوفاء ببيعته، فمن غدر في المبايعة استحق المقت.

وفي «الإحياء»: روى ابن عباس رضي الله عنهما: أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحجر الأسود يمين الله عزَّ وجلَّ في الأرض، يصفح بها خلقه كما يصفح الرجل أخاه».

وإذا وقف عند الملتزم فليطلب القرب حبًّا وشوقًا للبيت ولرب البيت، وتبركًا بالمماسمة، ورجاءً للتحصن عن النار في كل جزء من بدنه، ولتكن نيته في التعلق بأستار الكعبة الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان؛ كالمذنب المتعلق بشياب من أذنب إليه، المتضرع إليه في عفوه عنه، المظهر له أن لا ملجأ له منه إلا إليه، ولا مفرع له إلا كرمه وعفوه.

وليتذكر عند ترده بين الصفا والمروة ترده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة، وليمثل الصفا بكفة الحسنات، والمروة بكفة السيئات، وهو متردد بين الكفتين ناظر إلى الرجحان والنقصان، متردد بين العذاب والغفران.

فإذا وقف في عرفة ورأى ازدحام الخلق، وارتفاع الأصوات، واختلاف اللغات، واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر واقتفاءهم لهم؛ تذكر الموقف في عرصات القيامة، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة، وطمعهم في شفاعتهم، ووقوفهم بين يدي الله تعالى حفاة عراة مكشوفي الرؤوس، واقفين على أقدام الندامة؛ فعليه أن يلزم قبله



الضراعة والابتهاال إلى الله عزَّ وجلَّ؛ ليحشره في زمرة الفائزين، ويحقق رجاءه بالإجابة، فالموقف شريف، فلا يظن أن الله يخيب أملهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم.

ولذلك ورد: ((أعظم الناس ذنبًا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له))<sup>(١)</sup>.

وليقتصد الحاج برمي الجمار التشبه بسيدنا إبراهيم عليه السلام حين عرض له إبليس لعنه الله في ذلك الموضع؛ ليدخل على حجه شبهة، أو يفتنه بمعصيته، فأمره الله عزَّ وجلَّ أن يرميه بالحجارة؛ طردًا له، وقطعًا لأمله، فإذا خطر له أن الشيطان عرض له أو شاهده؛ رماه، وأما هو فليس يعرض له الشيطان، فليعلم أن هذا الخاطر من الشيطان، وأنه هو الذي ألقاه في قلبه؛ ليفترَّ عزمه في الرمي، ويخيل إليه أنه يفعل فعلًا لا فائدة فيه، فليطرده عن نفسه بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان، وهو إن رمى في الظاهر الحصى إلى جمرة العقبة؛ فهو في الحقيقة يرمي به وجه الشيطان ويقصم به ظهره.

وليرجُ الحاج بالذبح أن يعتق الله بكل جزء منه جزءًا منه من النار، فليتقرب بإراقة الدم من سمين النعم ونفيسه، وليأكل منه إن كان تطوعًا، ولا يأكل منه إن كان واجبًا، والمقصود منه تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل، وتزيينها بجمال التعظيم لله تعالى فإنه: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

وليرج بشرب ماء زمزم أن يسقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بيده شربة من حوضه لا يظمأ بعدها أبدًا.

اللهم حقق لنا رجاءنا بحج بيتك الحرام على أحسن حال، وخير مأل، من مال حلال.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

---

(١)- رواه الخطيب في «المتفق والمفترق»، والديلمي في «مسند الفردوس» من حديث ابن عمر بسند ضعيف

وانظر «كشف الخفا».

## الدرس السابع عشر بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### التصوف والحج

- (الحج) في اصطلاح القوم<sup>(١)</sup>: قصد الحق مجردًا عن الشواغل، متطهرًا عن العلل.
- قال سيدنا عبد الله بن المبارك تلميذ الإمام الشبلي: لما رجعتُ من الحج قال لي الشبلي:
- \* عقدت الحج؟ فقلت نعم. قال: فسخت بعقدك كل عقد عقده منذ خلقت مما يضاد ذلك العقد؟ فقلت: لا، قال: ما عقدت.
- \* ثم قال: نزع ثيابك؟ قلت: نعم. فقال: تجردت عن كل شي؟ فقلت: لا. فقال لي: ما نزع.
- \* ثم قال لي: تطهرت؟ قلت: نعم. فقال لي: زال عنك كل علة بتطهيرك؟ قلت: لا. قال: ما تطهرت.
- \* ثم قال لي: لبّيت؟ قلت: نعم. فقال لي: وجدت جواب التلبية بتلييتك مثله؟ قلت: لا. فقال لي: ما لبّيت.
- \* ثم قال لي: دخلت الحرم؟ قلت: نعم. قال لي: اعتقدت في دخولك الحرم ترك كل محرّم؟ قلت: لا. قال لي: ما دخلت الحرم.
- \* ثم قال لي: أشرفت على مكة؟ قلت: نعم. قال لي: أشرفت عليك حال من الحق سبحانه وتعالى لإشرافك على مكة؟ قلت: لا، قال لي: ما أشرفت على مكة.

---

(١) «شرح ورود السحر» الشيخ عمر جعفر الشبراوي (ص/١٣٧).

\* ثم قال لي: دخلت المسجد؟. قلت: نعم. قال: دخلت في قربه من حيث علمت؟. قلت: لا. قال: ما دخلت المسجد.

\* ثم قال لي: رأيت الكعبة؟ قلت: نعم. فقال لي: رأيت ما قصدت له؟. فقلت: لا. قال لي: ما رأيت الكعبة.

\* ثم قال لي: رملت ثلاثاً ومشيت أربعاً؟ فقلت: نعم. فقال لي: هربت من الدنيا هرباً علمت فيه أن قد فاصلتها وانقطعت عنها؟، ووجدت بمشيك الأربعة أمناً مما هربت منه فازددت شكراً لذلك؟. فقلت: لا. قال لي: ما رملت.

\* ثم قال: صافحت الحجر وقبلته؟. قلت: نعم. فزعم زعقة وقال: ويحك! إنه قد قيل: من صافح الحجر فإنه قد صافح الحق تعالى، ومن صافح الحق تعالى فإنه في محل الأمن. أظهر عليك أثر الأمن قليلاً؟ قلت: لا. قال لي: ما صافحت.

\* ثم قال لي: وقفت الوقفة بين يدي الله تعالى خلف المقام وصليت ركعتين؟ قلت: نعم. قال: وقفت على مكائتك من ربك فرأيت قصدك؟ قلت: لا. قال لي: ما صليت.

\* ثم قال لي: خرجت إلى الصفا فوقفت بها؟ قلت: نعم. قال: أي شيء عملت؟ قلت: كبرت سبعاً، وذكرت الحج، وسألت الله القبول. فقال لي: كبرت تكبير الملائكة ووجدت حقيقة تكبيرك في ذلك المكان؟ قلت: لا. قال لي: ما كبرت.

\* ثم قال لي: نزلت من الصفا؟ قلت: نعم. قال: زال كل علة عنك حتى صفيت؟. قلت: لا. قال لي: ما صعدت ولا نزلت.

\* ثم قال لي: هرولت؟ قلت: نعم. قال: فررت إليه وبرئت من فرارك، ووصلت إلى وجودك؟ قلت: لا. قال لي: ما هرولت.

\* ثم قال لي: وصلت إلى المروة؟ قلت: نعم. قال لي: رأيت السكينة على المروة فأخذتها ونزلت عليك؟ قلت: لا. قال: ما وصلت إلى المروة.

\* ثم قال لي: خرجت إلى منى؟ قلت: نعم. قال: تمنيت على الله غير الحال التي عصيته فيها؟ فقلت: لا. قال: ما خرجت إلى منى.

\* ثم قال لي: دخلت مسجد الخيف؟ قلت: نعم. قال: خفت الله في دخولك وخروجك؟ وجدت من الخوف ما لا تجده إلا فيه؟ قلت: لا. قال: ما دخلت مسجد الخيف.

\* ثم قال لي: مضيت إلى عرفات؟ قلت: نعم. قال: وقفت بها؟ فقلت: نعم. قال: عرفت الحال التي خلقت من أجلها؟ والحال التي تريدها؟ والحال التي تصير إليها؟ وعرفت المعرف لك هذه الأحوال؟ ورأيت المكان الذي إليه الإشارات فإنه هو الذي نفس الأنفاس في كل حال؟ قلت: لا. قال لي: ما وقفت بعرفات.

\* ثم قال لي: نفرت إلى المزدلفة؟ قلت: نعم. قال: رأيت المشعر الحرام؟ قلت: نعم. قال: ذكرت الله ذكراً أنساك ما سواه فاشتغلت به؟ قلت: لا. قال: ما وقفت بالمزدلفة.

\* ثم قال لي: دخلت منى؟ قلت: نعم. قال لي: ذبحت الفداء؟ قلت: نعم. قال: ذبحت نفسك؟ قلت: لا. قال لي: ما ذبحت.

\* ثم قال لي: رميت؟ قلت: نعم. قال لي: رميت جهلك عنك بزيادة علمٍ ظهر عليك؟ قلت: لا. قال: ما رميت.

\* ثم قال لي: زرت؟ قلت: نعم. قال: انكشف لك شيء من الحقائق أو رأيت زيادة الكرامات عليك للزيارة؟ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الحبّاج والعمّار زوّار الله، وحقّ المزور أن يكرم من زاره؟» قلت: لا. قال لي: ما زرت.

\* ثم قال لي: أحللت؟ قلت: نعم. قال: عزمت على أكل الحلال؟ قلت: لا. قال لي: ما أحللت.

\* ثم قال لي: ودّعت؟ قلت: نعم. قال: خرجت من نفسك وروحك بالكلية؟ قلت: لا. قال لي: ما ودعت.

وعليك العود، وانظر كيف تحج بعد هذا؟ فقد عرفت، وإذا حججت فاجهد أن يكون كما وصفتُ لك.

وقد ذكر حجة الإسلام الإمام الغزالي وسيدي الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله تعالى عنهما أسرار العبادات بما لا مزيد عليه. فمن لاحظها بلغ منتهى آماله بإذن الله تعالى.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الثامن عشر بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

### أخلاق الصوفية

### المجاهدة

لا يقف الصوفي عند حد التوبة والإنابة، بل لا بد له من المصابرة والمجاهدة على عدم العودة إلى المعصية، عليه أن يرمي حياته السابقة وقد ابيضت صحائف أعماله، ويجاهد نفسه على إبقائها في بوتقة الإيمان، وهذه المجاهدة أعلى مكانة من الجهاد بالسيف؛ لأن النفس أمانة بالسوء إلا ما رحم ربي عزَّ وجلَّ، وهذه المجاهدة سبيل الهداية الخالصة عند الله تعالى، نطق بذلك الكتاب المنير، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] فهذا جهاد النفس أعظم من جهاد السيف؛ لذلك لما سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الجهاد قال: "كلمة حق عند سلطان جائر".

### فما مجاهدة النفس؟

المجاهدة في الأصل: فطم النفس عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات.

قال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى:

وخالفِ النفسَ والشيطانَ واعصهما وإنَّهما محضاك النصح فاتمهم

وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير:

١- انهماك في الشهوات. ٢- وامتناع عن الطاعات.

فإذا جمحت عند ركوب الهوى وجب كبح جماحها بلجام التقوى، فيلزمها صاحبها  
أن: لا يراك مولاك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

وإذا حرنت عن القيام بالموافقات وجب سوقها على خلاف الهوى، وإذا ثارت عند  
غضبها فمن الواجب مراعاة حالها، فيكسر هذا الغضب بالخلق الحسن، ويحمد نيرانه  
برفق.

والنفس تحب المديح والثناء، ومن آفاتها الركون إليه، وأمارة ذلك أنه إذا لم تمدح  
تركت العمل وآلت إلى الغش، فيجب التنبه على ذلك ومعالجتها وتذكيرها بأنها حقيرة،  
فلا ينبغي أن تميل إلى هذا المديح، وهذا لا يتم إلا بتجويتها وقيام الليل، يقول سيدنا ذو  
النون المصري: (ما أعزَّ الله عبداً بعزِّ هو أعزُّ له من أن يدلَّه على ذلِّ نفسه، وما أذلَّ الله  
عبداً بذلِّ هو أذلُّ له من أن يحجبه عن ذلِّ نفسه).

كان بعض المشايخ يصلي في مسجده في الصف الأول سنين كثيرة، فعاقه يوماً عن  
التبكير إلى المسجد عائق، فصلى في الصف الأخير، ثم غاب بعدها مدة عن المسجد، فلما  
قدم سئل عن سبب غيابه فقال:

كنت أقضي صلاة كذا وكذا سنة صليتها ظاناً أني مخلص فيها لله تعالى، فداخني يوم  
تأخري عن المسجد والناس تنظر إلي وأنا في الصف الأخير نوعاً من الخجل، فعلمت أن  
صلاتي طوال عمري في الصف الأول إنما كانت على رؤيتهم لي ومديحهم إلي، فقضيت  
صلواتي!!

الآفات دخلت على نفوس الخلائق من ثلاثة: أكل الحرام، ونظر الحرام، والاستماع إلى  
الحرام، فالعبد يبقى مسجوناً في نفسه إذا أعطاه ما تريد، وأناها كل ما اشتته، فإذا  
منعها خرج عن سيطرتها.

وكانت تربية السلف لنفوسهم تربية عظيمة، استطاعوا ترويضها بضد ما تحب، كانوا إذا أساء إليهم أحد لا ينتقمون لأنفسهم، بل يعتذرون إليه ويتواضعون له، وإذا احتقروا أحدًا في قلوبهم قاموا بخدمته والإحسان إليه حتى يزول ما في قلوبهم، وهكذا. وأذكر أن سيدنا الإمام الشيخ محمد بن الهاشمي رضي الله عنه شيخ طريقنا شكاه له مریدوه أن فلانًا من المریدین یسئ إليهم ويرى نفسه عليهم، حتى قام مرة بالإساءة لأحدهم، فشكاه مباشرة لسيدنا الشيخ الهاشمي، فأحضره وسأله: هل فعلت هذا؟ فاعترف بذنبه وعلل ذلك بأن نفسه الأمانة بالسوء تنتقم لنفسها، فحكم عليه سيدنا الشيخ بأن يصف أحذية المریدین عند دخولهم إلى المجلس لمدة أسبوع حتى انكسرت نفسه وتابت بعد ذلك.

لذلك علينا أولًا أن نعرف عيوبنا لنداويها بالدواء المناسب، وإلا جرّتنا إلى الكفر والعياذ بالله تعالى؛ لأن المعاصي بريد الكفر. واسمعوا إلى هذا الطيب الولي يبصّرنا بعيوب النفس وسبب هذا الفساد الذي يدخل عليها.

يقول سيدنا ذو النون المصري رحمه الله تعالى: إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء:

الأول: ضعف النية بعمل الآخرة.

الثاني: صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم.

الثالث: غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل.

الرابع: آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق.

الخامس: اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم.

السادس: جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا كثيرًا من مناقبهم.



إن حكمة الحكيم قد اقتضت أنه إذا قطع العبد مدد الشهوة المذمومة عن النفس بالمجاهدة أشرق القلب وعوالمه، وانكشفت له الحقائق، وأمطرت عليه من سماء الفضل غيوث المعارف، فيذوق لذة لم يدركها قبل ذلك، ويياشر راحة لم ينلها إلا من هنالك، ويتصل به المدد المحمدي، فيظل عند ربه يطعمه من أقوات العرفان، ويسقيه من شراب المحبة، فيرجع إلى أحكام الشرع المطهر.

بالمجاهدة وردّ النفس عن عاداتها ترجع إلى صحبة القلب بعد نفرتها منه؛ إذ رُدّها عن مألوفاتها من أكبر الجهاد؛ لصعوبته ومشقته وكثرة الأجر المرتب عليه، فعليك أن تداوم على محاسبتها؛ لخبر سيدنا عمر رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا).

لا بد لك أخي في بداية سيرك إلى الله من قَوْمَةٍ، فمن لم يذق المشقات في طريق السلوك إلى ملك الملوك في بدايته؛ لم يشرب من راحة الوصول في نهايته، إذ من جدّ وجد، ومن نوى فما يخشى عليه من العطب، وإنما يخشى على من يترك نفسه وهواها أن يهون عليه دينه، نعم؛ من كرمت عليه نفسه وتطامن لها وأعطاه ما تحب من الشهوات وترك مشقة الطاعات؛ هان عليه دينه.

ولذا أخذ العهد على سالكي طريق التربية ألا يأكلوا إلا عند فاقة، ألم يقل سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: (حسب ابن آدم لقيبات يقمن صلبه)؟ أي: ما يبقى معه نسيطاً لأداء العبادة، أو لم يقل صلى الله عليه وسلم في بداية حديثه المتقدم: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه)؟! والحس شاهد عدل بذلك.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

الدرس التاسع عشر بعد المئة

# من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

## أخلاق الصوفية

### التوبة ١

التصوف أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف، ولا يدعي أحد أنه صوفي ما لم يتحقق بهذه الأخلاق، ومنها:

التوبة - المجاهدة - الخلوة - التقوى - الورع - الزهد - الإخلاص - الصمت -  
الخوف - الرجاء - الحزن - الجوع - التوكل - المحبة - السماح - الصبر - الجود -  
الصدق.

هذا برنامج الصوفي، فمن تحقق بنصفها كان نصف صوفي، فكان خطرًا في طريق الأولياء؛ لأنه سينسب إليهم وهو متخلق بأخلاق رديئة!! فأخطر شيء على أي فن من الفنون أن يكون المنتسب إليه نصفًا؛ ولهذا قالوا: نصف طيب قتل الأنام، ونصف معماري هدم البناء، ونصف عالم غير الأحكام، ونصف صوفي أهان الأولياء.

فعلى مرید التصوف أن يحمل صفات تؤهله لينال هذا الوسام، وسام (الرباني) من القرآن العظيم: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ...﴾ [آل عمران: ٧٩] فالصوفي الحق يرقى في المقامات الأخلاقية التي هي مدارج أرباب السلوك إلى الله تعالى.

وأولى هذه الأخلاق: (التوبة) وهي أول الطريق إلى الله تعالى، فالسالك قبل سلوكه يكون قد فعل المعاصي والمنكرات، فإذا أراد أن يلج عتبة التصوف فعليه أن يتوب توبة نصوحًا؛ ولهذا أمرنا الله تعالى ورسوله بالتوبة فقال عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] فلن يفلح المرید حتى يتخلى عن ماضيه السيئ،

فإذا تاب وندم على ما فعل، وعزم على ألا يعود إلى المعصية، وردَّ الحقوق إلى أهلها إن كانت؛ قَبَلَ اللهُ توبته ومحا عنه ما مضى، بل إنه يبذل سيئاته حسنات؛ كما أخبر مولانا عَزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] ويقول عليه الصلاة والسلام: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"، وفي الحديث أيضًا عنه صلى الله عليه وسلم: (ما من شيء أحبُّ إلى الله من شاب تائب) وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فالتوبة: أول منزلة من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين.

وحقيقة التوبة في لغة العرب: الرجوع؛ يقال: تاب؛ أي: رجع.

وحقيقتها في الشرع المطهر: الرجوع عما كان مذمومًا في الشرع إلى ما هو محمود فيه.

فلا تكفي التوبة باللسان، ورحم الله تعالى من قال: (توبة الكذابين على أطراف

ألسنتهم) يعني: قوله بلسانه فقط: أستغفر الله.

وكذلك كان سيدنا ذو النون المصري يقول: الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذابين.

وقال أرباب الأصول من أهل السنة رضي الله عنهم: شرط التوبة حتى تصح أربعة

أشياء:

١- الندم على ما عمل من المخالفات.

٢- ترك الزلة (أو المعصية) في الحال.

٣- العزم على ألا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي.

فهذه الأركان لا بد منها حتى تصح توبته.

٤- وإذا كان عليه للناس حقوق يجب أن يردّها لهم أو يستسمحهم أو يستوهبها منهم، فإن لم يستطع فعله أن يدعو لهم في ظهر الغيب؛ لعلّ الله يُرضي خصماءه يوم القيامة.

ويستطيع العبد أن يصل إلى التوبة عندما يصحو من غفلته، فينتبه القلب ويرى ما هو عليه من سوء، وهذا في الحقيقة يحتاج إلى توفيق من الله تعالى، فيخطر بباله زواج الحق وعقوباته، ويَسْمَع ذلك قلبه، وفي الخبر: (واعظ الله في قلب كل امرئ مسلم)، وفي الصحيح: (إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب).

فإذا فكر العبد بقلبه في سوء ما يصنعه، وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال؛ انطلقت إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة، فهنا يمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة، ويبدأ في التراجع إلى الحق والتأهب لأسباب التوبة، أتدرون ما مقدماتها؟ أن يهجر إخوان السوء، فإنهم هم الذين جمعوه على المعصية وهيؤوا له سبيلها؛ لذا لما جاء الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً إلى أحد العلماء ليتوب؛ أمره أن ينتقل من القرية التي هو فيها إلى قرية أخرى.

فإذا فعل انحلت عن قلبه عقدة الإصرار على الذنب، فيقف عن تعاطي المحظورات، ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات، ويرم العزيمة على ألا يعود إلى مثلها في المستقبل.

فإذا عزم على ذلك فهو الموفق صدقاً، وإن نقض التوبة مرة أو مرات، وعاد إلى التوبة أيضاً؛ كان من الراجين ألا يقطع الله رجاءه، فلا بد من ترك المخالفات، وإلا لم ينتفع بالتوبة.

حكى أن سيدنا أبا سليمان الداراني رحمه الله كان قبل أن يتوب حضر مجلس واعظ، فأثر كلامه في قلبه، فلما قام لم يبق من هذا الأثر شيء في قلبه، فعاد ثانية فسمع كلامه، فبقي أثر كلامه في قلبه في الطريق ثم زال، ثم عاد ثالثة فبقي أثر كلامه في قلبه حتى رجع إلى منزله، فكسّر آلات المخالفات ولزم الطريق.

فحكى هذه الحكاية لسيدنا يحيى بن معاذ فقال: عصفور اصطاد كركياً! أي: أن الواعظ اصطاد الإمام أبا سليمان الذي أصبح جبلاً من جبال الرجال، وقمة شامخة من الصالحين.

يقول أحد عمالقة التصوف - وهو سيدي أبو علي الدقاق -: تاب بعض المريدين، ثم وقعت منه هفوة وبعُدَ عن التوبة، فكان يفكر: لو عاد إلى توبته كيف حكمه؟ فهتف به هاتف: يا فلان! أطعنا فشكرناك، ثم تركتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا قبلناك.. فعاد الفتى إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

فإذا ترك العبد المعاصي، وحلَّ عن قلبه عقدة الإصرار على الذنب، وعزم على ألا يعود إلى مثله؛ فعند ذلك يخلص القلب بصادق الندم، فيتأسف على ما عمله في الماضي، ويأخذ في التأثر بما صنعه من أحواله، وارتكبه من قبيح أفعاله، فتتم توبته وتصديق مجاهدته.

وأؤكد على أنه لا بد أن يستبدل برفاق السوء إما الصلحاء أو الابتعاد عنهم، ويبيكي على حاله السابق، وكما يقولون: (يمحو بصوت عبرته آثار عثرته، ويأسو بحسن توبته كلوم حوبته). فالدموع تمحو الذنوب، و(عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعلى العبد أن يعرف بعد ذلك أنه لم يتب حتى تاب الله تعالى عليه كما قال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨] ولولا أن جاء الإذن من الله بتوبته ما تاب، قال رجل للسيدة رابعة العدوية: إني قد أكثرت من الذنوب والمعاصي، فإن تبت فهل يتوب الله علي؟ فقالت رضي الله عنها: لا، بل لو تاب عليك لتبت ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾. وقال العلماء الربانيون: إن العبد إذا علم أنه ارتكب ما تجب منه التوبة؛ فالواجب عليه دوام الانكسار، وملازمة التنصل من الذنب والاستغفار، وعليه أن يستشعر الخوف والوجل إلى أجل.

وقد وضع مولانا عزَّ وجلَّ قاعدة في كتابه فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وكان من سنته صلى الله عليه وسلم دوام الاستغفار، وهو القائل: (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة) وهذا الغين على قلب سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم ليس غين الأوزار، بل غين الأنوار؛ لأنه صلى الله عليه وسلم في ترقُّ دائم في كمالته؛ لأن إيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص، فالنبي كلما استغفر انتقل من طبقة نورانية إلى أخرى أعلى منها.

لكن الأمر العظيم الخطير أن يترقى الإنسان إلى أول المقامات للصوفي ثم يرتكب غلطة أو معصية أو يغفل عن الله تعالى، هذا أمر خطير للسالك؛ لذلك كان سيدنا يحيى

بن معاذ يقول: (زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها)! لذلك سقوط العبد مما كان فيه عند الله أعظم بكثير من السقوط من أعين الرجال، وقد جاء في المثل: (السقوط من أعالي الجبال ولا السقوط من أعين الرجال) فكيف بالسقوط من درجات الكمال التي عند الله تعالى؟!

ركب أحد الوزراء - وهو علي بن عيسى - في موكب عظيم، فجعل الغرباء يقولون: من هذا؟ ومن هذا؟ فقالت امرأة على الطريق: إلى متى تقولون: من هذا؟ من هذا؟ هذا عبد سقط من عين الله، فابتلاه الله بما ترون، فسمع علي بن عيسى ذلك، فرجع إلى منزله واستغفى من الوزارة، وذهب إلى مكة المكرمة وجاور بها.

والتوبة على ثلاثة أقسام: أولها التوبة، وأوسطها الإنابة، وآخرها الأوبة.

فكل من تاب خوفاً من العقوبة فهو صاحب توبة، ومن تاب طمعاً في الثواب فهو صاحب إنابة، ومن تاب مراعاة للأمر - لا لرغبة في الثواب أو رهبة من العقاب - فهو صاحب أوبة.

والتوبة صفة المؤمنين؛ لذلك يقول تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

والإنابة صفة الأولياء والمقربين، قال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣].

والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين، قال تعالى في حق سيدنا أيوب: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وقال الإمام ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى (التوبة توبتان: توبة الإنابة وتوبة الاستجابة).

فتوبة الإنابة: أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته، وتوبة الاستجابة: أن يتوب حياءً من كرمه. ولهذا كانت توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة، وتوبة خواص الخواص من رؤية العمل، وشتان بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات؛ لأنه يريد الله تعالى لا غير.

وأما التوبة النصوح فهي التي لا تبقي على صاحبها أثراً من المعصية، سرّاً ولا جهراً، ومن كانت توبته نصوحاً لا يبالي كيف أمسى وأصبح، فإذا كانت توبة العبد نصوحاً لم يبق عليه ذنب. وقال العلماء: التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع عن الذنب، والاطمئنان، على ألا يعود العبد إليه.

وسئل أحد الأولياء عن العبد إذا تاب وخرج من دياره؛ فعلى أي نية يخرج؟ فقال: على ألا يعود إلى ما منه خرج، ولا يراعي من إليه خرج، ويحفظ سرّه عن ملاحظة ما تبرأ منه.

وكانت حقيقة التوبة عند السلف الصالح علامتها: أن تضيق عليه الأرض بما رحبت، حتى لا يكون له قرار، ثم تضيق عليه نفسه؛ كما أخبر تعالى في كتابه عن الثلاثة الذين خلفوا ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨].

اللهم ألهمنا رشدنا، وأجرنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وحققنا بالتوبة حتى نلقاتك وليس علينا ذنب، برحمتك يا أرحم الراحمين.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق



## الدرس العشرون بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

### أخلاق الصوفية

#### التوبة ٢

لقد فتح الله تعالى أبواب رحمته لكل طارق، فيا أخي لا تقنط من رحمة الله، ولا تيأس من عفوه وكرمه، فمتى رأيت أن الله تعالى ردَّ أحدًا عن بابه؟!!

إذا كثرت منك الذنوب فداوها بمدِّ يدٍ في الليل والليل مظلم

ولا تقنطن من رحمة الله إنما قنوطك منها من خطاياك أعظم

لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المسامحة بين يديه؛ لما أحالك في مغفرة الذنوب عليه، أليس هو القائل: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾؟ [آل عمران: ١٣٥] ألم تسمع قوله وهو يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾؟ [الزمر: ٥٣].

ولا شك أن العبد حين يعلم أن له ربًّا عظيمًا كريماً غفوراً رحيمًا يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، فيرجع إليه، ويندم على ما فرط منه، ويمد إليه يد الضراعة سائلاً العفو والصفح؛ فلا شك أن الله يستجيب له، ويلبي طلبه، ويتكرم عليه بمزيد من الفضل والامتنان، والإنسان الكيس الفطن لا يتهاون في الرجوع إلى ربه والندم على ذنبه، فهو حذر يقظ من نزغات الشيطان ووساوسه، واسمع معي هذه الآية القرآنية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ولم يكتف مولانا عزَّ وجلَّ أن أكرمنا بالترغيب بالتوبة ووعدنا بقبولها، بل زاد عليها إغراءً وترغيباً فأخبرنا بأنه تعالى يقبل علينا أكثر من إقبالنا عليه، ويسارع في الترحيب بنا أكثر من مسارعتنا في توبتنا، فألقوا بأسماع قلوبكم إلى نداء الحق جل جلاله وهو يقول لنا: «أنا عند ظن عبدي بي - أي: إذا ظن وهو يستغفري أني أغفر له؛ غفرت له، وإذا تيقن أنه إذا دعاني أجيبه؛ أجبته دعاءه- وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً - أي: إن تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي وتوفيقي وإعانتني، وإن زاد زدت- وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» أي: إن أسرع إلي بطاعتي صببت عليه الرحمة وسبقته بها، أرايتم ترحاباً غامراً يغرنا بالإقبال على مولانا أكثر من هذه الدعوة إلى المغفرة الشاملة؟!!

ولهذا لما بعث سيدنا رسول الله وحشياً (وقد قتل عمه سيدنا حمزة) يدعو إلى الإسلام؛ أرسل إليه يقول: يا محمد كيف تدعوني إلى الإسلام وأنت تزعم أنه من قتل نفساً أو أشرك أو زنى يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً؟! وإني فعلت ذلك كله، فهل تجد لي رخصة؟ فأنزل مولانا عزَّ وجلَّ على حبيبه المصطفى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] فبعث بها إلى وحشي وأصحابه، فقال وحشي: هذا شرط شديد، لعلي لا أقدر عليه [ثلاثة شروط: ﴿تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ﴾] فأنزل الله تعالى على نبينا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فبعث بها إلى وحشي، فقال وحشي: أراني بعد في شبهة، فلا أدري أيغفر لي أم لا؟ فهل غير ذلك؟ فأرسل الله أمين وحي السماء لينزل على

أمين وحي الأرض بآية فيها البشارة وفيها المغفرة وفيها العفو العام ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ  
 أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]  
 فبعث بها إلى وحشي وأصحابه، فأقبل وحشي على سيدنا محمد فأسلم بين يديه، فإذا  
 بالصحابة يقولون: يا رسول الله، هذه له خاصة أم للمسلمين عامة؟ فقال: «بل  
 للمسلمين عامة».

فيا أخي المسلم؛ لو أراد الله عقوبة المؤمن في جهنم وتخليده؛ لما ألهمه معرفته وتوحيده.

فيا من أساء فيما مضى ثم اعترف      كن محسناً فيما بقى تُعْطَ الشرف  
 وأبشر بقول الله في تنزيله:      ﴿إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾

[الأنفال: ٣٨]

ومرة سأل أعرابي سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من يلي حساب الخلق؟  
 فقال: «الله تبارك وتعالى» قال: هو بنفسه؟ قال: «نعم» فتبسم الأعرابي. فقال رسول الله:  
 «مما ضحكت يا أعرابي؟» فقال: إن الكريم إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح، فقال رسول  
 الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا لا كريم أكرم من الله، هو أكرم الأكرمين».

يقول سيدنا عبد الله بن مسعود: أربع آيات من سورة النساء خير لهذه الأمة من الدنيا  
 وما فيها. (ما هي؟) قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ  
 يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا  
 اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ  
 تَجْتَبِئُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾  
[النساء: ١١٠].

أستغفر الله، أستغفر الله.

أستغفر الله على ما كان من زللي ومن ذنوبي وتفريطي وإصراري  
يا رب هب لي ذنوبي يا كريم فقد أمسكت حبل الراجا يا خير غفار  
إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم أعتقوهم عتق أحرار  
وأنت يا خالقي أولى بذا كرمًا قد شبت في الذنب فاعتقني من النار  
فأقبلوا يا إخوتي على الله، اطرقوا باب ربكم ما دام قد وعدنا بالمغفرة، وإياك يا أخي  
والإعراض عن التوبة والإنابة، وعليك أن تسمع مولاك دائمًا: يا رب يا رب، فهو يجب  
هذه الكلمة منك، فبسببها غفر لكل من قالها وأعطاه سؤله:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾  
[الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾  
[الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

وسيدنا موسى قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص: ١٦].

ولهذا كانت أول آية في القرآن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

قال سيدنا موسى في بعض مناجاته يا رب. فقال له مولانا: لبيك يا موسى. فقال  
موسى: يا رب أنت أنت، فمن أنا، حتى أجاب بليبيك؟! فقال: يا موسى إني آليت على

نفسى (أى: حلفت) أن لا يدعونى عبد من عبادى بالربوبية إلا أجبته بالتلبية، فقال موسى: هذا لكل عبد طائع؟ قال: ولكل مذنب، فقال موسى: يا رب أما الطائع فبطاعته، فما بال المذنب؟! فقال الله تعالى: يا موسى إني إذا جازيت المحسن بإحسان ومنعت المسيء لإساءته؛ فأين جودي وكرمي؟!!

لا تقنطن فإنَّ الله متَّانٌ وعنده للورى عفو وغفران  
إن كان عندك إهمال ومعصية فعند ربك إفضال وإحسان

فإلى كرم الله وعفوه، وإلى رحمته ومغفرته، «فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## الدرس الحادي والعشرون بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### أخلاق الصوفية

#### أصول الوصول إلى الله تعالى

لا بد للوصول إلى الله تعالى من منطلق وقاعدة، وهي مستمدة من القرآن الكريم

دستور المسلمين الأول:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا

تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

فهؤلاء ثبتوا ورسخوا في مقام العبودية للرب.

وفي السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم: "قل: آمنت بالله، ثم استقم".

فلا بد من توحيد القصد بعد توحيد المقصود، فالمقصود هو الله جل جلاله، وتوحيد

القصد بالإخلاص لله وحده لا شريك لله.

كثير من الناس يقبل على الله فراراً من بلاء، أو حذرًا من هم، أو طلبًا لنعم، فهذا دون

ما ينبغي أن يكون عليه السالك، ومنهم من يقبل على الله طلبًا لجنته وخوفًا من ناره، فهذا

فوق الدرجة السابقة وأعلى منها، وهذان الصنفان مقبولون، وأما القسم الثالث - وهو

الأعلى - فهم الذين يبتغون الرضا عند الله تعالى.

وأما الذين نسوا الله تعالى فنعى الله تعالى عليهم فقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا

لَجْنِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢].

فالمطلوب بعد توحيد المقصود توحيد القصد (الهدف).

بعضهم يعاهد الله تعالى إذا حلَّتْ به محنة على التوبة، حتى إذا أزالها عنه تراه يرجع في كلامه!! هذه تسمى ظاهرة التسكع في الدين، ومنهم من يحضر بعض الدروس ويقرأ كتابين ثم يترك، فهذا لم يحدد هدفًا في حياته؛ لأن الذي يحدد هدفًا يصل إليه مباشرة، والمتسكعون ليس لهم هدف يصلون إليه.

الذي يريد رضا الله تعالى يعرف أولاً ما يرضي الله، يحدد هدفًا وينطلق ساعياً نحوه.

أخي السالك:

حين تنطلق إلى الله تعالى لا تشتغل بغير الطريق، السالكون اليوم عندهم ضياع في التركيز، فلا تشتغل بالجوال، ولا تشتغل بدنياك وتنسى هدفك الأسمى، فمن أعطاك هذا الجوال أو هذه الدنيا؟؟ ستقول: الله تعالى، فكيف تشتغل بالعطية عن المعطي؟! ألا تخاف أن يسلبك إياها؟! هذا اسمه ظاهرة التسكع في الالتزام، يصير الدين عنده لعبة. إذا دخلت المسجد فأبقِ الدنيا كلها خارجه، وإذا دخلت البيت فأخلص لأهل بيتك فلهم حق عليك.

أتعرفون قصة سيدنا حنظلة الذي جاء إلى الصديق الأكبر وقال: نافق حنظلة! قال: وما ذاك؟! قال: نكون عند رسول الله فنجد قلبنا، فإذا فارقناه إلى الضيعات والأولاد أنكرنا قلوبنا! فقال الصديق: وأنا كذلك. فذهبنا إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلا عليه، فقال حنظلة: نافق حنظلة يا رسول الله! وذكر له ما يجري له، فقال له صلى الله عليه وسلم: «يا حنظلة ساعة فساعة».

لم يقل له: دع الضيعات والأولاد، لا، بل اجعل ساعة تركيز مع الله تعالى وساعة في معاملة الناس ومداعبة الزوجة والأولاد.. فالنفوس إذا أكرهت عميت.

ومن هنا ندخل على الركن الثالث في أصول الوصول إلى الله تعالى؛ وهو توحيد المتبوع الذي هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم...

أنت تحت حكم شريعته وسنته، فلا تستبدل به متبوعاً آخر ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

لذلك عزك أن تكون تابِعاً لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يا هذه الدنيا أسيخي واشهدي أنا بغير محمد لا نفتدي

فنحن أمام إله يُعْبَدُ وَعَبْدٌ يُعْبَدُ، وأعلى مرتبة للإنسان أن يكون عبداً لله تعالى، والدليل أنه لما وصل سيدنا رسول الله إلى أعلى الجنة في المعراج قال الله تعالى له: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

فالعبد يعبد فيسعد بقربه، وأي مكلف يعبد الله تعالى يهيئ نفسه لدخول الجنة كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ \* فَسَنِيَّ لَهُ لِلْإِسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ٧].

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق



## الدرس الثاني والعشرون بعد المئة

### من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

#### أخلاق الصوفية

#### محبة الله تعالى

محبة الله: هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون.. وإليها شخص العاملون.. وإلى علمها شمر المتسابقون.. وعليها تفانى المحبون.. وبروح نسيمها تروح العابدون.. فهي قوت القلوب.. وغذاء الأرواح.. وقررة العيون... وهي الحياة التي من حُرْمِها فهو من جملة الأموات.. والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات.. والشفاء الذي من عُدْمِه حلت بقلبه الأسقام.. واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.. وهي روح الإيمان والأعمال.. والمقامات والأحوال.. التي متى خَلَّت منها كانت كالجسد الذي لا روح فيه...

#### فاللهم اجعلنا من أحبابك

ثم إنَّ محبة الله لها علامات وأسباب كالمفتاح للباب، ومن تلك الأسباب:

١- اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[آل عمران: ٣١]

٢-٥- الذل للمؤمنين، والعزة على الكافرين، والجهاد في سبيل الله، وعدم الخوف

إلا منه سبحانه.

وقد ذكر الله تعالى هذه الصفات في آية واحدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ففي هذه الآية ذكر الله تعالى صفات القوم الذين يحبهم، وكانت أولى هذه الصفات:

- التواضع وعدم التكبر على المسلمين.
- وأنهم أعزة على الكافرين: فلا يذل المؤمن المحبوب لهم ولا يخضع.
- وأنهم يجاهدون في سبيل الله: جهاد الشيطان، والكفار، والمنافقين والفساق، وجهاد النفس.
- وأنهم لا يخافون لومة لائم: فإذا ما قام باتباع أوامر دينه فلا يهمله بعدها من يسخر منه أو يلومه.

٦- التقرب بالنوافل: قال الله عزَّ وجلَّ في الحديث القدسي: "وما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه"، ومن النوافل: نوافل الصلاة والصدقات والعمرة والحج والصيام.

٧- ١٠- الحب، والتزاور، والتبادل، والتناصح في الله.

وقد جاءت هذه الصفات في حديث واحد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزَّ وجلَّ قال: "حَقَّتْ محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقت محبتي للمتبادلين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ"<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد (٤ / ٣٨٦) و(٥ / ٢٣٦) و"التناصح" عند ابن حبان (٣ / ٣٣٨) الترغيب والترهيب.

ومعنى "المتزاورين في" أي: أن تكون زيارة بعضهم لبعض من أجله وفي ذاته وانتعاش مرضاته؛ من محبة لوجهه أو تعاون على طاعته.

وقوله تبارك وتعالى: "والمتبادلين في" أي: الذين يبذلون أنفسهم في مرضاته؛ من الإتفاق على جهاد عدوه وغير ذلك مما أمروا به<sup>(١)</sup>.

11-الابتلاء: فالمصائب والبلاء امتحان للعبد، وهي علامة على حب الله له؛ إذ هي كالدواء، فإنه وإن كان مُرًّا إلا أنك تقدمه على مرارته لمن تحب - والله المثل الأعلى - ففي الحديث الصحيح: "إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله عز وجل إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط"<sup>(٢)</sup>.

ونزول البلاء خيرٌ للمؤمن من أن يُدَّخر له العقاب في الآخرة، كيف لا وبه تُرفع درجاته وتكفر سيئاته؟؟ قال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم:

"إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة"<sup>(٣)</sup>.

وبيّن أهل العلم أن الذي يُمسك عنه هو المنافق، فإن الله يُمسك عنه في الدنيا ليوافيه بكامل ذنبه يوم القيامة.

فاللهم اجعلنا من أحبائك

فإذا أحبك الله فلا تسل عن الخير الذي سيصيبك.. والفضل الذي سينالك..

(١) انتهى من «المنتقى شرح الموطأ» حديث (١٧٧٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦) وابن ماجه (٤٠٣١).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٦).

فيكفي أن تعلم بأنك "حبيب الله" .. فمن الثمرات العظيمة لمحبة الله لعبده ما يلي:  
 أولاً: حُبُّ الناسِ له والقبول في الأرض، كما في حديث البخاري<sup>(١)</sup>: "إذا أَحَبَّ اللهُ العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبيه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض".  
 ثانياً: ما ذكره الله سبحانه في الحديث القدسي من فضائل عظيمة تلحق أحبائه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فقد اشتمل هذا الحديث القدسي على عدة فوائد لمحبة الله لعبده:

- ١ - "كنت سمعه الذي يسمع به" أي: أنه لا يسمع إلا ما يُحبه الله.. فربما يسمع صوت الأذان بمكة مثلاً لقوة سمعه، ويسمع أصوات الطائفين حول البيت؛ كما حدثنا عن ذلك سيدنا الإمام الجليلاني رضي الله عنه عندما كان شاباً.
- ٢ - "وبصره الذي يبصر به" فلا يرى إلا ما يُحبه الله.. ويرى الأنبياء والأولياء، ويرى مكة وعرفات؛ لقوة بصره، ويكشف له الحجاب.

(١) «صحيح البخاري» (٣٢٠٩).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٢).

٣- "ويده التي يبطش بها" فلا يعمل بيده إلا ما يرضاه الله.. ويمد يده فيأتي بمن شاء على البعد؛ كما مدت لسيدنا الإمام أحمد البدوي حتى سمي جيب الأسير.

٤- ورجله التي يمشي بها" فلا يذهب إلا إلى ما يحبه الله.. ويصبح تطوى له الأرض وينتقل عبرها بلحظة؛ مما مكنه الله تعالى.

٥- "وإن سألتني لأعطينه" فدعاؤه مسموع، وسؤاله مجاب.. كما نسمع عن الأولياء والصالحين؛ كسيدنا معروف الكرخي وغيره رضي الله عنهم.

٦- "وإن استعاذني لأعيذنه" فهو محفوظٌ بحفظ الله له من كل سوء.. ويصبح كالملائكة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

إذن محبة الله لعبده لا تقدر بثمن، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

فابحث عن محبة الله لك في أدق الأمور من حولك؛ في شيء منعه عنك، أو في طريق انعطف بك رغم إرادتك؛ ليكشف لك شيئاً أجمل مما كنت تبحث عنه، وفتش عن محبة الله لك في كل شؤون حياتك، حين نعي أن محبة الله لا تتجلى في تيسير الأمور دائماً، ولا في سعة الرزق دائماً؛ فسنكون أكثر تصالحاً مع الظروف، وسنعيش الرضا والقناعة، فإذا أحبك الله هان كل شيء، وإذا أحبك الله فستبدو الأمور أجمل، وحتى المصائب تصبح أخف وطأة، وستصبح أقوى وأشد صبراً على المحن.

## يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

الدرس الثالث والعشرون بعد المئة

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

## أخلاق الصوفية

### الخلوة والعزلة

حديثي إليكم عن جليس الصديقين، وعمّا يوصل إلى اليقين، ولم يبق ولي من الأولياء إلا اتبعها فأدركه من الله التوفيق.

أتعرف ما هي أخي المسلم؟

إنها العزلة أو الخلوة مع الله تعالى، فمن أراد أن يسلم له دينه، ويستريح بدنه وقلبه؛ فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة.

قال أحد المتصوفة: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة؛ آنسه بالوحدة، وأغناه بالقناعة، وبصره بعيوب نفسه، فمن أعطي ذلك فقد أعطي خير الدنيا والآخرة.

قال الإمام الشبلي رحمه الله تعالى لأحدهم: الزم الوحدة، وامح اسمك من القوم، حتى ينساک من كان يخالطك.

الزم الوحدة تنجو ما بقي في الناس خلّة

واترك الأصحاب إلا صاحبًا يصحبك الله

فإن كان في مخالطة الناس خير؛ فإن في العزلة السلامة.

الخلوة صفة أهل الصفة الذين صفت قلوبهم وأسراهم من كدر العادات، والعزلة من أمارات الوصلة، توصلك إلى الله؛ لأنك تأنس بالله في نهايتها.

جاء رجل إلى أحد الأولياء يزوره، فلما أراد أن يرجع قال: أوصني. فقال: وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة -أي: من الطعام والمنام والكلام- وشرهما في الكثرة والاختلاط.

يقول ذو النون المصري: لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة؛ لسلامة صاحبها من المراءة والإعجاب، فالخلوة تجعله لا يلتفت لغير الله تعالى.

وأوصى الإمام الشبلي أحدهم فقال: الزم الوحدة وامح اسمك من القوم واستقبل الجدار حتى تموت. (أي: ابق مصلياً مستقبلاً القبلة حتى تموت). ليكن صاحبك الخلوة، وطعامك الجوع، وحديثك المناجاة، فإما أن تموت وأنت ساعٍ في الوصول إلى الله، وإما أن تصل إلى الله قبل الموت.

سأل الإمام الجنيد أحدهم: من أين لك هذه المواهب؟ فقال: من جلوسي تحت تلك الأستوانة كذا وكذا سنة. (أي: متعبداً منعزلاً)

ومن حق العزلة أن تعتقد باعتزالك عن الخلق سلامة الناس من شرِّك، ولا تعتقد سلامتك من شر الخلق؛ لأن من رأى لنفسه مزيةً على أحد فهو متكبر، يتعاضم بنفسه على الناس، وسيدنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (الكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ) أي: رد الحق واستصغار الناس.

ومر إنسان ببعض الصالحين، فجمع ذلك الشيخ ثيابه عليه، فقال الرجل: لم تجمع عني ثيابك؟ هل ثيابي نجسة؟ فقال الشيخ: ثيابي هي النجسة، جمعتها عنك لثلاث نجس ثيابك.

هل رأيتم مثل هذا التواضع والعزلة؟! كأنه قال: نفسي هي الحقيرة التي لا تصلح أن تخالط الناس.

فبالعزلة - يا أخي - يسلم الخلق منك؛ من لسانك ويدك، ومن علامة الإفلاس الاستئناس بالناس.

هذه العزلة فعلها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء قبل الإسلام رغم أنه طاهر مطهر، لم تعرف عليه قريش شيئاً يعيب، فكانت العزلة دأب الصالحين، وقد حضت عليها السنة المطهرة، ففي الحديث:

(إن من خير معاش الناس كلهم رجلاً أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أو رجلاً له غنيمة في رأس شعبة من هذه الشعاب [رأس جبل] أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين).

لأن من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم.

لكن لا تصح هذه العزلة إلا بعد أن يحصل من العلوم ما يصحح به توحيده؛ لكي لا يستهويه الشيطان بوساوسه، ثم يحصل من علوم الشرع ما يؤدي به فرضه، أما الجاهل فلا.

ذكر أن أحد العابدين كان يتعبد في رأس جبل مدة طويلة، فخرج له فأر فقتله، ثم ندم على قتله، ولكي يتذكر فعلته تلك فيستغفر منها علق الفأر بحبل ووضع على عنقه وهو يصلي!! فدخل عليه بعض العلماء ليزوره، فرأى الفأر في عنقه، فسأله عنه فأخبره بذلك. فقال العالم: الفأر نجس! وقد كنت تصلي وأنت تحمل نجاسة! فصلاتك باطلة، وعليك



أن تقضي تلك الصلوات التي صليتها والفأر في عنقك... فهذا الجاهل ظن أنه فعل خيرًا، ولو كان عالمًا لعلم أن الفأر نجس!!

والعزلة في الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة، فالمطلوب منك أن تبدل بالصفات السيئة عندك الصفات الحسنة، لا البعد عن الأوطان؛ ولذلك قال الأولياء: البس مع الناس ما يلبسون، وتناول ما يأكلون، وانفرد عنهم بالسر. فعليك أن تنفرد عن الناس لتبقى نقيًا عما طبعوا عليه من الأخلاق الرديئة والأعمال الذميمة.

وليس المقصود من الخلوة قطع المسافات ومقاساة الأسفار، بل المقصود أن تفارق نفسك الأمارة بالسوء، يقول سيدنا أبو يزيد البسطامي: (رأيت ربي عزَّ وجلَّ في المنام فقلت: كيف أجذك؟ قال: فارق نفسك وتعال) أي: فارق ما تميل نفسك إليه من الشهوات، فإذا خالفت هواك وعملت بما أمرتك؛ فقد وجدتهني وكنت قريبًا مني.

فالخلوة ليست أن تعتزل الناس فقط، بل أن تدخل بين الزحام وتمنع شرك أن يزاحمك فيه، وتعتزل نفسك عن الأنام، ويكون شرك مع الحق جل جلاله، وهذا الانفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء.

دخلوا على رجل اعتزل الناس في بيته وحده، فقيل له: أما تستوحش وحدك؟ فقال: ما كنت أرى أن أحدًا يستوحش مع الله!! ودخلوا على آخر فقيل له: ههنا أحد تستأنس به؟ فقال: نعم.. وأمرَّ يده إلى مصحفه ووضعته في حجره وقال: هذا.

لذلك الناس على ثلاثة أصناف:

أ - منفرد بقلبه لا بشخصه، فحاله حال الأقوياء وأهل الكمال، تراه يختلط بالناس لكن قلبه مع الله.

ب - منفرد بشخصه دون قلبه منعزل عن الناس في مكانٍ ما، فهذا يسلم إن شاء الله؛ لأنه يتعرض لرحمة الله.

ج - منفرد بقلبه وشخصه، فهذا معتزل ليسلم.... ومعتزل لينعم.

حكى عن بعض الشيوخ في فوائد العزلة أنه قال: كنت أخلو لأسلم، فصرت أخلو لأغنم، فصرت أخلو لأفهم، فصرت أخلو لأعلم، فصرت أخلو لأتعم.

فانظر يا رعاك الله إلى هذه المقامات الجليلة التي انتقل فيها إليها.

هذه الخلوة مطلوبة إذا استغنى العبد عن الناس واستغنوا عنه، وإلا فمتى دعانا الشرع إلى الاختلاط بالناس للتعلم أو التعليم؛ فلا خير في الخلوة.

حقيقة الخلوة: الانقطاع من الخلق إلى الحق، يسافر أولاً من نفسه إلى قلبه وروحه، ومن روحه إلى سره، ومن سره إلى الله تعالى.

والعزلة قد تكون بالأبدان والقلوب، أو بالأبدان دون القلوب، أو بالقلوب دون الأبدان، والنافع منها ما كان بالقلوب مع الأبدان، وهو أتم أولاً.

قال سيدنا أبو العباس المرسي: أوقات العبد أربعة لا خامس لها: النعمة والبلية، والطاعة والمعصية، وعليه في كل وقت منها لمحة من العبودية، فمن كان وقته لله بالطاعة؛

فعليه أن يشهد مَنَّهُ عليه ويحمده أن هداه لها ووفقه للقيام بها، ومن كان وقته النعمة افتقر للشكر؛ وهو فرح القلب بالله، ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبة والاستغفار، ومن

كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر عليها، وفي الحديث: «من أعطي فشكر، وابتلي فصبر، وظلم فغفر، وظلم فاستغفر...» قالوا: ماذا له يا رسول الله؟ قال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ

الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

الغرض من ذلك تبديل الصفات، فإذا تحقق ذلك (أي: بدّل صفاته) فالأمر ظاهر، وإلا فلا ثمرة لمجرد البعد عن الأوطان.

العارف بالله كائن بائن، ويفسّر بأنه كائن مع الخلق بالظاهر، بائن عنهم بالسر فيما بينه وبين الله تعالى، كائن تحسبه مع الخلق، لكنه بائن عنهم بشغله مع الحق؛ من الإخلاص والتعظيم والإجلال والتفكير.

قيل لابن المبارك: ما وراء القلب؟ قال: قلة الملاقاة للناس.

وقال رجل لبعض الصالحين: إن فلاناً يحبك ويكثر ذكرك. قال: إنه لحبيب لي، وأعرف قدره، لكن يهون علي أن ألقى الشيطان مئة مرة ولا ألقاه مرة واحدة! فقيل له: كيف ذلك؟! فقال: أخشى أن أتزين له ويتزين لي.

أي: الشيطان أعرفه أنه عدوي فأخشاه، أما هذا الصديق فنفسي مطمئنة إليه ساكنة له، فأخاف ويشدد حذري منه.

لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى؛ لاختار العاقل الذي يبقى على الذي يفنى.

فما الدنيا وزخرفها بشيء وما أيامها إلا عواري  
وليس بعامل من يصطفئها أيشري الفوز ويلك بالبوار؟!  
يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

الدرس الرابع والعشرون بعد المئة

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

## أخلاق الصوفية

### طهارة الظاهر

كل منا يجب أن يكون مظهره حسنًا أمام الناس.. يصرح شعره، ويلبس أحسن ما عنده، ويتزين بالعمامة وغيرها، ويتطيب بالعطر...

لكن يجب على العبد أن يسأل نفسه قبل ذلك:

ما نيتي عند ارتدائي هذا الثوب؟ هل المظهر تابع لي أو أنا تابع له؟! بمعنى: هل أنت منقاد لثوبك أو ثوبك منقاد لك؟ هل هو يملكك أو أنت تملكه؟؟ لا ينبغي للثوب أن يحجبني عن الله عزَّ وجلَّ فأرتديه عجبًا ورياءً وتكبرًا، وإنما الذي يعينني أن أكون طاهر الظاهر والباطن والحقيقة أنك أنت والمظهر مملوكان لله تعالى..؛ لذلك عليك أن تحسن ما بينك وبين الله وتهتم به أكثر من اهتمامك بما بينك وبين الناس..

وأضرب لكم مثالين حتى لا أطيل عليكم، نستشف منهما أحكام طهارة الظاهر..

١- يذكرون عن سيدنا الحسن رضي الله عنه - سبط سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه اشتهر عنه أنه كان يلبس أحسن ما عنده، فشق ذلك على بعض الزهاد في عصره فعاتبه وقال له: كيف تفعل هذا وأنت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه للسائل:

- إن لباسي يقول للناس: إني غني عما في أيديكم، ولباسك يقول للناس: أنا محتاج لما

في أيديكم.

فلا عليك بأنواع الألبسة التي ترتديها ما دام قلبك طاهرًا..

٢- كذلك سيدنا جعفر الصادق -ابن سيدنا محمد الباقر رضي الله عنهما، وهو شيخ سيدنا أبي حنيفة رضي الله عنه - عتب عليه بعض أقرانه أنه يلبس الثوب الحسن، فقال له: ناولني يدك، فأدخلها إلى الثوب الداخلي فوجده من الصوف الذي لا يلبسه إلا الفقراء، وقال له: أما هذه فلنفسي، وأما الظاهر فلاستغني عن الناس..

لذلك لا ينبغي أن تبني الأمور والأحكام على الهيئات والمظاهر.

هذه صورة لمن كانوا يحسنون هيئتهم، ومثلهم غيرهم من الأئمة الأبرار؛ كالإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

تعالوا لنرى عكس الصورة.. الطرف المقابل للصورة.. وأضرب مثلاً له سيدنا أويساً القرني سيد التابعين رضي الله عنه..

سيدنا أويس رضي الله عنه كان رث الهيئة، حتى إنه كان يجمع من الأرض بقايا الأطعمة ليقدمها إلى الفقراء، ومرة جاء كلب ونبح عليه، أتدرون ماذا قال له سيدنا أويس؟

قال: يا كلب لا تؤذيني ولا أؤذيك، آكل مما يليني وتأكل مما يلئك، فإن دخلت الجنة فأنا خير منك، وإن دخلت النار فأنت خير مني..

وكان يوزع بقايا الطعام على الفقراء ثم يقول: اللهم لا تؤاخذني بمن بات جائعاً من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم..

كانت هيئته هيئة الفقراء والمساكين، وكان لا يؤبه له، حتى قبيلته استخدمته على رعي الغنم مقابل دراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين!!

في آخر سنة حج فيها سيدنا عمر رضي الله عنه أراد أن يلتقي بسيدنا أويس؛ لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما في «صحيح مسلم» - قال له: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لَكَ فافْعَلْ»، أويس مجهول في الأرض، معروف في السماء، إذا نظر إليه لا يؤبه له، ومع ذلك سيدنا عمر رضي الله عنه دعا أهل اليمن في آخر حجة، وخصّ منهم أهل قبيلة مراد ثم حي قرن، وسألهم: أفيكم أويس؟

رئيس القبيلة قال: لا نعلم أويساً ذا شأن نرفعه لك، إن هو إلا رجل به جنة، تركناه في عرفة يرعى غنماً لنا على أربعة دراهم..

سيد التابعين مجنون؟! هل عرفتم ماذا يفعل المظهر بصاحبه؟ رفع اسمه بين الملائكة، ووضع اسمه في الأرض؛ لذلك إعجاب الناس بمظهرك ليس هو القضية بصلتك بالله.. الهيئة لا تكون حكماً على غيرك ولا حكماً عليك.. وبالتالي نقول: لا يشترط إذا أردت السير إلى الله أن تكون معروفاً بين الناس، يكفي أنك معروف في السماء.

الشاهد كيف كانت نظرة المجتمع له؟ كانوا يعدونه مجنوناً لا قيمة له!!

انتبهوا كان سيدنا أويس في اليمن لما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بُعد كان في زمنه، ولكنه لم يلتق بسيدنا رسول الله لأنه كان يخدم أمه، لكن الله تعالى ذكره لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أمر سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر أن يستغفر له.

من أعظم عند الله؟ الصحابي أم التابعي؟

الجواب: الصحابي، سيدنا عمر رضي الله عنه أعظم عند الله تعالى، ومع ذلك أمره  
سيدنا النبي الكريم صلوات ربي وسلاماته عليه أن يطلب الاستغفار منه!!  
ومات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وماتت أم سيدنا أويس، فخرج من  
اليمن ووصل إلى عرفات حيث اللقاء المقدر بين أولياء عصره، بل أقطاب عصره..  
الله أكبر! قولوا: الله أكبر!

أسرع سيدنا عمر رضي الله عنه لما قيل له: إن أويساً في عرفات الله، أسرع إلى عرفات  
وكأنه وجد شيئاً قد ضاع منه منذ زمن بعيد، فوجد سيدنا أويساً يصلي وحوله الغنمات،  
فخفف من صلاته وسلم.

والتقى أهل الله: وزير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيد التابعين رضي الله  
تعالى عنه، وكانت ساعة من الزمان يشتريها الإنسان بعمره..

فسلم عليه، وأخبره بما قاله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا له.  
ثم سأله سيدنا عمر رضي الله عنه: إلى أين تذهب؟ قال: إلى العراق.  
فعرض عليه سيدنا عمر أن يعطيه شيئاً من المال والثياب لما وجد هيبته رثة، فقال  
سيدنا أويس: يا أمير المؤمنين؛ إن معي هذه الدراهم الأربع التي أعطانيها القوم، ولا  
أدري هل أعيش لأنفقتها أم لا؟! وعليّ هذه الخرقه لا أدري هل أعيش لأخلقها أم أموت  
قبل ذلك؟! يا أمير المؤمنين إن بين أيدينا عقبه لا يجتازها إلا المخفون.

فضرب سيدنا عمر الأرض بـدِرَّتِه وقال: ليت شعري! من يأخذها بما فيها؟! وددت  
لو أني أخرج منها كفافاً لابي ولا علي!!

ثم قال له: ألا أكتب لك إلى أمير العراق؟ قال: لا.. أحب أن أكون مع الناس.

وانقطعت الأخبار.. وغاب سيدنا أويس حتى لقيه هرم بن حيان على شط الفرات  
مُدلاً قدميه في الماء، فسلم عليه هرم وقال: أويس بن عامر؟! فقال سيدنا أويس: نعم،  
ألست هرم بن حيان؟ قال: كيف عرفتني؟  
قال: يا هرم من عرف الله عرف كل شيء..  
فاستنصحه فنصحه.

قال: أسير معك؟ قال: لا، الموعد على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم..  
هرب كي لا يعرف بين الناس حتى وجد قتيلاً في صفوف سيدنا علي في صفين..  
نحن اليوم وبعد ١٤٠٠ سنة ما زلنا نذكر سيدنا أويساً الذي كانت طهاره باطنه وقلبه  
أعظم من ثوبه الرث، وأنت أخي المسلم لن تصبح مثل سيدنا أويس إذا لبست مثله..  
ولكن ابحث عن قلب مثل قلب سيدنا الحسن وقلب سيدنا أويس.. واحرص أن يكون  
لك قلب متصل بقلب سيدنا الحسن وقلب سيدنا أويس.. بل متصل بقلب سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم؛ تسعد وتهتد.. ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق



الدرس الخامس والعشرون بعد المئة  
من دروس التصوف الإسلامي الصحيح  
العارف بالله

سيدي الشيخ مصطفى التركماني

(١٩٢٧-٢٠٠٦م)

شيخ الطريقتين الرفاعية والشاذلية

هو الشيخ مصطفى بن عبد الرزاق بن إسماعيل بن محمد التركماني الشافعي  
الأشعري، من الجولان.

نزل الشيخ إسماعيل ومحمد لتعلم العلم الشرعي عند الشيخ عبد الغني الغنيمي  
الميداني شيخ الحنفية.

وولد الشيخ مصطفى في محلة الجيزة حوران لعمل والده هناك سنة ١٩٢٧م، ونشأ في  
ظل والديه الكريمين من آل التركماني وآل المناشفي.

درس العلم الشرعي وعمره ١٢ سنة على يدي شيخه الشيخ حسن حبنكة رحمه الله في  
معهد التوجيه الإسلامي في الميدان.

وكان من شيوخه أيضاً الشيخ صادق حبنكة رحمه الله، والشيخ إبراهيم الغلابيني  
رحمه الله تعالى.

وكان من أقرانه عنده الشيخ خيرو ياسين، وكان أكبر منه..

وحين تخرج في المعهد انتسب إلى جامعة دمشق، وحصل على الإجازة في العلوم  
الشرعية، ثم دبلوم التربية.

عمل مدرسًا للعلوم الشرعية في مدارس دمشق من عام ١٩٦٣ إلى عام ١٩٧٥ .

صلته بالتصوف رحمه الله تعالى:

طاف للتدريس بالريف والمحافظات حتى وصل إلى دمشق سنة ١٩٦٩ في إعدادية

الفتى العربي بالميدان .

وفي سنة ١٩٧٥ أعير من التربية إلى قطر لتدريس العلوم الشرعية والقرآن، وفي سنة

١٩٩٠ انتهى عقده وعاد إلى دمشق .

سلك على أيدي أشياخ بررة في عصره من أهل التصوف والأخلاق؛ وهم:

١- مولانا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدي محمد بن الهاشمي: ودخل الخلوة عنده، وفي

نهاية الخلوة قال له: قم مرشدًا.

٢- سيدنا الشيخ إبراهيم الغلاييني في قطنا، وحضر جلساته، وله عنده حظوة

كبيرة.

٣- سيدنا وقدوتنا إلى الله سيدي عبد الرحمن السبسي في حماة، شيخ الطريقة

الرفاعية، وأجيز منه بالطريقة الرفاعية.

٤- وعلى أثرها صارت له صلة بسيدنا محمود الشقفة رحمه الله شيخ حماة، وكان من

خلفائه .

فهو مجاز في الطريقتين الرفاعية والشاذلية؛ الرفاعية عن شيخه الشيخ محمود الشقفة

عن شيخه الشيخ عبد الرحمن السبسي رحمهم الله، والشاذلية عن شيخه الشيخ عبد

الرحمن الشاغوري عن شيخه الشيخ محمد الهاشمي رحمهم الله .

٥- السيد محمد مكي الكتاني رحمه الله تعالى في عام ١٩٧٢ . وكان يصلي إمامًا في

الترابيح بحضرته ختمة كاملة، وأخذ منه إجازة في حفظ القرآن عالية الإسناد بالتسلسل

عن ثمانية عشر قارئاً إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان مولانا السيد المكي معجباً بقراءة سيدنا الشيخ مصطفى ويقول لإخوانه:

كيف لم نتعرف من قبل على الشيخ مصطفى؟!

و حين تولى الخلافة سنة ٢٠٠٤م بعد وفاة سيدنا الشيخ عبد الرحمن الشاغوري كان لا يرضى أن يعطي الطريق لأحد حتى يأخذ الأذن بصورة مباشرة من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما حدثني ولده حفظه الله.

دروسه العلمية:

كان الشيخ خطيباً ومدرساً في جامع الرضا في الزاهرة.

ولم تتوقف دروسه رحمه الله في حياته كلها.

ففي دمشق درّس في مساجد: الأشمم - غزوة بدر - عبد القادر الحسيني - الرضا.

وكانت مواعيد دروسه بعد الفجر وبعد العصر وبين العشاءين.

قال بعد وفاة شيخه الشيخ حسن حبنكة: إن إمداداتي الروحية كانت أغلبها من

الشيخ حسن حبنكة رحمه الله تعالى.

عدد أولاده: ولدان: ذكر - وهو سيدي عبد الرزاق - وابنة، وله ٢٣ حفيداً.  
وفاته: توفي الشيخ إثر مرض ألم به ودخل المشفى لإجراء عملية جراحية توفي على  
أثرها سنة ٢٠٠٦م وصلي عليه في جامع زين العابدين، وبويع بعده سيدنا الشيخ شكري  
اللُّحفي الحافظ الجامع، بقية السلف الصالحين.

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

الدرس السادس والعشرون بعد المئة

من دروس التصوف الإسلامي الصحيح

العارف بالله

سيدنا الشيخ شكري اللُّحفي

(١٩٢٠ - ٢٠١٥ م)

الحافظ الجامع العابد الزاهد شيخ الطريقة الشاذلية

هو سيدنا الشيخ شكري بن أحمد بن علي بن أحمد اللُّحفي الحنفي الأشعري الشاذلي. ولد في القنوات بدمشق سنة (١٩٢٠م)، وأصله من مدينة لحف في طرف حلب. نشأ في كنف والديه، وكان والده يتكلم بالحكمة، متسامحاً لأبعد حد، ووالدته من آل الجزائري الحسينيين من الشام، وكانت من الصالحات، من مسها بسوء أصابه البلاء، وكان الشيخ مؤدباً معها وباراً بهما، حتى إنه لا يذكر ما لُونُ عيني والده! ومرة قدّم له فرنكاً من عمله، فدعا له وقال: (اذهب، الله لا يعيزك لأحد طوال حياتك) فوجد بركة دعوته طوال عمره.

تزوج من آل الجزائري الحسيني وأعقب أربعة أولاد، ثم تزوج فلسطينية من آل جاد الله ولم يعقب منها، وكان له منها ربيبة.

تسلسله العلمي:

- بدأ بحفظ القرآن في سنه السادسة، وفي سن الثامنة عشرة أكمل حفظ القرآن على يد

الشيخ عز الدين عرقسوسي في جامع السنانية.

-نال الابتدائية والإعدادية سنة ١٩٤٤م، وبينهما سنة، ونال الثانوية خلال أربع سنوات عام ١٩٥٥، وأراد متابعة الدراسة في الأدب العربي ثم الشريعة، ولكنه لم يتيسر له.

-انتسب إلى الكلية الشرعية التي أسسها الشيخ تاج الدين الحسني عام ١٩٤٢ خلال الحرب العالمية الثانية لمدة ثلاث سنوات.

-عين في وظيفة التعليم الابتدائي بين حلب ودرعا، ثم دمشق، ثم أصبح مدير مدرسة في أشرفية الوادي (الجديدة) لمدة سنتين، وكان يخرج كل يوم بعد الفجر ماشياً ليصل إلى مدرسته.

ثم انتقل إلى مديرية التربية وعمل في عدد من المديريات، وكان في بعضها موجهًا.

-أتقن اللغة الفرنسية وكان يدرّسها في كلية الشريعة بدمشق.

-تعلم الخط العربي على أيدي أساتذة مهرة؛ وهم: السيد ممدوح الشريف، والسيد بدوي الديراني، والسيد حلمي حباب.

-أخذ علم القراءات القرآنية عن الشيخ يوسف أبو ديل (وهو تلميذ الشيخ أبي الحسن الكردي) لمدة سنتين، وألف أثناءها كتاباً سماه «تحفة العصر في القراءات» يدرس في بعض المعاهد الشرعية اليوم.

-خطب في عدة مساجد، فلما طلب منه أن يتكلم على الشيوعية رفض واستقال وقال كلمته: الخطيب لسان قومه.

-درس الفقه الحنفي على سيدنا الشيخ عبد الحميد كيوان في جامع سيدي هشام في سوق مدحت باشا، وحضر النحو على الشيخ لطفي الفيومي.

-ومن شدة جرأته رحمه الله أنه زرع العَلم السوري على دبابة كانت في باب الجابية لفرنسة، ولم يطلق عليه النار أحد.

وكان له نافذة في إحدى الجرائد الفرنسية كان يكتب فيها.

توجهه نحو التصوف:

تعرف الشيخ إلى سيدنا محمد بن الهاشمي عن طريق شيخه الشيخ يوسف أبو ديل تلميذ الشيخ الهاشمي، ولازمه، وكان يسقي الماء في مجلسه وقال: إنه أخذها من الشيخ أبي سليمان عبد الوهاب المنير خادم الشيخ الهاشمي رحمهم الله تعالى. وكان يقول: كان الشيخ الهاشمي يقبل تلامذته على أية حال كانوا عليها ولا يرد أحدًا عن بابه، وعمل أول خلوة له عند سيدنا الهاشمي وقال عنه: إن سيدي شكري دخل الخلوة ولم يخرج منها، فكان ذاكرًا لله بالاسم الأعظم طوال حياته رحمه الله.

وكان إذا غاب شيخه عن درسه في الجامع الأموي يوم الثلاثاء بعد العصر؛ ناب عنه. عاش في ظل شيخه الهاشمي متنعمًا بدروسه وذكره، فتعلم الزهد والتواضع والتسليم المطلق لله تعالى في جميع أموره، فكان لا يرى فاعلاً في الكون إلا الله تعالى، حافظًا للسانه لا يغتاب ولا يسمح بالغيبة أمامه، وحين حضر «البردة» في أحد المساجد غير بيتًا في «البردة» لأن فيه غيبة، وكانت الغيبة أكره شيء على قلبه، قال سيدنا البوصيري:

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت  
يدا زهير بما أثنى على هرم  
فغير الشطر الثاني:

... .. يد امرئ جاء مدًا لذي كرم

وله تعبيرات لطيفة في تحويل بعض كلمات الإرشاد؛ نحو:

محمد كل ما في الكون مظهره      محمد خير ما في الكون مظهره  
برد الأصال سلم على طه محمد      رهو الأصال سلم على طه محمد  
محمد مشرق بدرًا على علم      محمد مشرق بدرًا على علم

وفي تصحيح «حزب النصر»:

(مُساَقًا ومُصَادًا فيها) (مَسُوَقًا ومَصِيدًا).

وفي تصحيح ختم القرآن:

(مردًا غير مخزي ولا فاضح): (مردًا غير مُخْزٍ ولا فاضح).

وبعد وفاة سيدنا الشيخ الهاشمي لازم مجالس مولانا الشيخ الشاغوري رحمه الله الذي

قال عنه: (هذا الرجل لا نشك بولايته).

وقال عنه مولانا الشيخ عبد الوكيل الدروبي رحمه الله: لم يستفد من حال الهاشمي إلا

سيدي شكري اللحفي.

وحين توفي سيدنا الشيخ عبد الرحمن الشاغوري سنة ٢٠٠٤م وبويع سيدنا الشيخ

مصطفى؛ كلفه بعمل خلوة لإخوان الطريقة وقال عنه: لو رضي الشيخ شكري أن أكون

خادمًا لنعله لفعلت.

وبوفاة سيدنا الشيخ مصطفى التركماني في رمضان (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) بويع سيدنا

الشيخ شكري شيخًا للطريقة الشاذلية بيعة عامة من إخوان الطريقة قبل دفن الشيخ

مصطفى، وبيعة خاصة في يوم الجمعة ٦/١٠/٢٠٠٦م، واشترط علينا شرطًا وافقناه

عليه رحمه الله تعالى.



ومع ذلك بقي سيدنا الشيخ يسقي الماء للإخوة حتى كبر، وتحولت السقيا إلى سقيا روحية.

كانت بيعته بركة لأهل الطريق، حتى شاهدوا وتعلموا من حال الشيخ التواضع والاستسلام والانقياد لمراد الله تعالى، ومن يقرأ ديوانه «المروج الخضر في الشعر» يرى حال الشيخ مع الله تعالى واحترامه لشيوخ الطريق.

وكان من جلس إليه أو أخذ عنه يتأثر به أيما تأثر؛ كما تأثر به كل من حفظ عنده أو جمع القرآن الكريم...

وقد جاءت إليه امرأة مع رفيقتها تزوره وهي حاسرة، فأمرها بوضع كوفية على رأسها، فما مضت فترة حتى تحجبت وبدأت تحفظ القرآن.

حج حجتين إلى بيت الله الحرام.

ودامت خلافة سيدنا الشيخ تسع سنوات، وكان يعيش بكلية واحدة، يأكل قليلاً، ويشرب قليلاً، ويحلي كأسه لتعويضه عن الطعام، حتى مرض مرضاً شديداً دخل المستشفى على إثره، ورحل إلى الله تعالى في ٢ شوال ١٤٣٦ هـ.

وخرجت جنازته حافلة حيث صلي عليه في الجامع الأموي، وكان الحرم ممتلئاً عن بكرة أبيه، وحضر شيوخ الشام من العلماء والمحدثين والأولياء والصلحاء وشيوخ المنابر. وألقى كلمات التأيين الدكتور شريف الصواف والدكتور توفيق البوطي.

وألقيت كلمة العزاء الخاصة بالطريقة، وبإيعاز الناس جميعاً الفقير شيخاً للطريقة؛ لأن مولانا الشيخ استخلفني قبل وفاته رحمه الله تعالى بعد أن قمت بخلوة معه رحمه الله تعالى.

وقال لابنته: بايعت الشيخ عبد العزيز؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرني بذلك،  
وها هي كلمات التأين:

كلمة تأين مولانا الشيخ شكري اللُّحفي في الجامع الأموي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالنقاء... الذي حكم على خلقه بالانتقال عن دار الفناء.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره في السراء والضراء.

وأصلي وأسلم على هذا النبي الكريم، والسيد السند العظيم، سيدنا ومولانا محمد  
المنزل عليه ربه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] فإنا لله وإنا إليه  
راجعون.

بكت المعارف والرسوم فقيدنا      أوَاه لو كان البكاء يفيدنا!  
رزةً أصاب المسلمين فصدَّع الـ      أكباد منا واستطار قلوبنا  
يقول الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ  
(٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا  
تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

ويقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾  
[فصلت: ٣٣].

سادتي العلماء.... أيها المشيعون الكرام.... إخوتي طلبة العلم

أصببت بلاد الشام والعالم الإسلامي بمصاب فاجع وخطب أليم؛ ألا وهو رحيل سيدنا وشيخنا وإمامنا وقدوتنا الولي الصالح العارف بالله، بقية السلف الصالحين، وقرة عين الرجال الصوفيين، شيخ الذاكرين والموحدين، الزاهد المتواضع المشفق على عباد الله، المعظم لحرمت الله، شيخ الأتقياء والأصفياء، الحافظ الجامع سيدنا الشيخ شكري اللُّحفي، شيخ الطريقة الشاذلية في البلاد الشامية. قدس الله سره العزيز.

هذه شهادة المريدين بالراحل العزيز، فهل تشهدون؟... نعم.

ماذا أقول ودمع عيني يسائل من مات؟ ردَّ الكونُ هاك مقالةً

مات الذي أحيا القلوب محبةً مات الذي أفنى الزمان عبادةً

مات الذي أمضى الليالي مفكرًا مات الذي زكَّى الزمان فضيلةً

مات الذي أعطى الحياة نضارةً مات الذي ملأ البلاد ساحةً

يا عين ما بك لم تكفِّي عن البكا نظرت وقالت: قد فقدنا أمةً

سيدي ومولاي الشيخ شكري بن أحمد بن علي بن أحمد اللُّحفي الحنفي الأشعري الشاذلي.. أصله من حلب، وولد في حي القنوات بدمشق.

يا سيدي ومولاي:

وأنت مسجى الآن لطالما قرت عينك بذكر الله، واليوم تبكيك المحاريب، وتبكيك المساجد والمجالس، وتبكيك الطرق الموصلة إلى الله تعالى، وتبكيك مجالس الصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبكيك الحفاظ والجامعون الذين علمتهم كتاب الله زهاء ستين سنة.

لكنه درب الصالحين والأخيار، وإنما يعجل الله بالأبرار، إنه سبيل الكائنات، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

إنه يوم الفاجعة حقًا... يوم الحزن الأعظم... يوم تُكَلِّت فيه أمة سيدنا محمد. يا دمشق!.... قد فجعت اليوم بعلم الأعلام، وشيخ الشيوخ، وقمر الأقمار، وبركة العصر.... إمام الزاهدين وسيد المتواضعين..... لك الله يا دمشق!

فعلام تبكي العيون بعد شيخنا؟... علام تخفق القلوب بعد أستاذنا وسيدنا؟! والله لولا اعتقادنا أن الله لنا لجادت العيون بعد الدمع دمًا. .... الموت حق.. آمنا به... والرحلة إلى الله لا بد منها.... فصبرًا أهل الشام، فإن موعد سيدنا الجنة بفضل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

قد كان من لطف الله بنا أنه كان يدفع عنا البلاء به وبإخوانه الربانيين، وصدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: «الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلًا، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلًا، يسقى بهم الغيث، ويتنصر بهم على الأعداء... ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب»<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/١١٢).

لقد أعطاه الله فهماً ثاقباً، فتبين له ما يحيط بالتصوف من خرافات وأوهام، فجهر بكلمة الحق، وأعطى للناس صورة حقيقية للتصوف الحق؛ حتى يغلق الطريق أمام أدعيائه ومستغليه ومشوهي صورته.

التصوف عنده: تصفية النفس من أدران النفس الأمارة بالسوء، وهو الصدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخلق، ومن شدة زهده أنه لما وزعت سبائك الذهب على القراء تصدق بها فوراً. كان سيِّداً كريماً مشفقاً، رحمك الله يا مولانا.

فيا سيدي الشيخ شكري ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٤، ٥]، لئن رحل مولانا الشيخ شكري اليوم إلى الله، ونسأل الله أن تكون فتحت له أبواب الجنان؛ لقد رجعت الروح إلى بارئها راضية مرضية، راضية عن الله وراضياً عنها ربنا جل جلاله ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

والله يا إخوة:

كلُّ المصائب والمحن يسيرة أمام رحيل أولياء الله، أمام فقدان ورثة الأنبياء. كل ذلك حقير لا خطر له ولا قيمة أمام رحيل الصالحين. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤]. اللهم أنت الغالب فلا غالب سواك، وأنت المولى فليس لنا مولى سواك، انصر أهل الشام، وفرج عن أهل الشام.

اللهم إن شيخنا لطالما قرأ وأقرأ ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

اللهم هؤلاء الذين يبلغون رسالتك، فإن لم تتوهم فمن يتوهم؟

سادتي:

سيدي الشيخ شكري ما شاهدت العينان مثل زهده، ولا مثل تواضعه، ولا مثل ذكره، ولا مثل أخلاقه، ما عفر قط وجهه سخطاً على قضاء الله وقدره.

كان حاله حال الرضا عن الله، وحال الصبر مع الله، وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

كان كتابه القراءات) تحفة العصر في علم القراءات المتواترة العشر (يدرّس في مجالس الإقراء، وكان خطاطاً من الدرجة الأولى، وكتابه في الشعر) المروج الخضر (سارت به الركبان، صاح في بعض أبياته:

على باب طه يا خلّان دلّوني حتى أمرغ بالأعتاب جفوني

إن مساجد دمشق تنعى الشيخ لكم، مسجد النورية، ومسجد الشامية، ومسجد الورد، ومسجد القلبجية، وجامع التوبة، وجامع زيد بن ثابت، وجامع عبد الرحمن بن أبي بكر.... ومساجد الشام التي يقام فيها مجالس الصلاة على سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم.

اعرفوا قدر شيخكم يا سادة.

ما عرفنا عنه زلة قط، ما خالف دين الله قط، ما رأيناه إلا مستقيماً، كان عند شيخه الهاشمي يسقي الماء في مجالسه، وحتى لما صار شيخاً للطريق بقي يسقي الماء!! وهو يردد: إن سيدنا جبريل تمنى على الله أن ينزل إلى الأرض ليسقي الماء؛ لما رأى من ثوابه عند الله تعالى.. فلما مرض الشيخ شكري وأُقعد تحولت السقيا روحية مع أحبائه..

## أيها الصوفيون

اعرفوا تاريخ شيخكم رحمه الله.

كان سيدنا الهاشمي يحبه كثيرًا، ومنه الإجازة الأولى في الطريق.

وكان سيدنا الشيخ عبد الرحمن الشاغوري يحبه كثيرًا ويشني عليه، ويقول عنه: (هذا

الرجل لا أشك بولايته)، وكان الشيخ مصطفى التركماني يعتقد به ويقول: (لو رضي

الشيخ شكري أن أكون خادمًا لنعاله لفعلت)، وكان سيدنا الشيخ عبد الوكيل الدروي

يقول: (لم يستفد من حال الهاشمي إلا سيدي شكري اللحفي).

احترمه القاصي والداني، وكان مستجاب الدعوة، وهذا جريته عليه مرارًا...

حياته امتلأت علمًا وإقراءًا منذ سن الثامنة حتى المئات، خمسًا وتسعين سنة قضاهها في

طاعة الله.

درّس في الجامعة.. ودرّس في الأموي عند غياب شيخه.. وكان معلمًا عالمًا عاملاً.

## أيها الصوفيون:

ومن سنّة الأولياء الأبرار شيوخ الطرق العارفين أن يذكر سند الطريقة عند وفاتهم.

فسيدنا الشيخ شكري أجزى من سيدي محمد بن الهاشمي (ت ١٣٨١هـ - ١٩٦١م)

وهو عن سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي المستغامي (ت ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م) وسيدي

محمد بن يلس التلمساني (ت ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م) كلاهما عن سيدي محمد بن الحبيب

البوزيدي المستغامي (١٣٠١هـ - ١٩٠٩م) عن سيدي محمد بن قدور الوكيلي (١٣٠١هـ -

١٨٨٤م) عن سيدي محمد بن عبد القادر الباشا وأبي يعزى المهاجي (ت ١٢٧٧هـ -

١٨٦٠م) كلاهما عن سيدي العربي الدرقاوي (ت ١٢٣٩هـ) عن سيدنا علي بن عبد

الرحمن العمراني الشهير بالجميل (١١٩٤هـ) عن سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله، عن والده سيدي أحمد بن عبد الله الفاسي، عن سيدي قاسم الخصاصي، عن سيدي محمد بن عبد الله بن مَعْن الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي، عن أخيه سيدي يوسف بن محمد الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي الملقب بالدوار، عن سيدي إبراهيم الفحام الزرهوني، عن سيدي أحمد بن أحمد البرنسي الفاسي المعروف بـ(زُرُوق) (ت ٨٩٩هـ) عن سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي (ت ٨٩٥هـ) عن سيدي يحيى بن أحمد القادري، عن سيدي علي بن محمد بن وفا (ت ٨٠٧هـ) عن والده سيدي محمد بن وفا المعروف بـ(بحر الصفا) (ت ٧٦٥هـ) عن سيدي داود بن عمر الباخلي (ت ٧٣٢هـ) عن سيدي ابن عطاء الله السكندري (ت ٧٠٩هـ) عن سيدي أبي العباس المرسي (ت ٦٨٥هـ) عن سيدي أبي الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ) رضي الله عنهم، عن سيدنا عبد السلام بن مشيش، عن سيدي عبد الرحمن العطار الزيات المدني، عن سيدي تقي الدين الفقير، عن سيدي فخر الدين، عن سيدي نور الدين أبي الحسن علي، عن سيدي محمد تاج الدين، عن سيدي محمد شمس الدين (بأرض التُّرك)، عن سيدي زين الدين القزويني، عن سيدي أبي إسحاق إبراهيم البصري، عن سيدي أبي القاسم أحمد المرواني، عن سيدي أبي محمد سعيد، عن سيدي سعد بن عبد الله، عن سيدي محمد فتح السعود، عن سيدي سعيد الغزواني، عن سيدي أبي محمد جابر بن عبد الله، عن سيدنا الحسن سبط سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن سيدنا علي بن أبي طالب، عن سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نص إجازته للفقير:



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: فقد شاءت الأقدار الإلهية أن تجمعني مع العالم العلامة والبحر الفهامة، مرشد المريرين وعمدة المسلكين، سيدي عبد العزيز الخطيب في أسعد الأوقات؛ لأطلع على بعض اللمع الوهيبية التي استقاها من معين المرشد الكامل سيدي الشيخ عبد الرحمن الشاغوري رحمه الله تعالى، مما لم أجد لدي ريباً بأن أرفع إليه هذه الإجازة العطرة مضيئاً في تأدية واجبه السامي، مأذوناً بجميع الأوراد الخاصة والعامة لطريقتنا الشاذلية الدرقاوية العلوية، وهو جدير بها وأحق بها، والله الموفق للصواب والسلام.

الفقير لله

شكري أحمد اللُّحفي

قولوا: رحمه الله، فهل بايعتم الفقير على المشيخة؟... (قالوا: نعم).  
ولئن كانت روضته بجوار السلطان نور الدين زنكي؛ لقد اجتمع سلطانان؛ سلطان  
المسلمين وسلطان الزاهدين.

اللهم اجعل البركة في أولاده وذريته ومريديه وأتباعه وأحبابه، رضي الله عنه  
وأرضاه.

سيدي الإمام شكري

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

رحمكم الله، آواكم الله، جبركم الله، ورضي عنكم رضا لا سخط بعده...

خادمكم... محبكم

عبد العزيز محمد سهيل الخطيب الحسني

يتبع دروس التصوف

هنا دمشق

## قصيدة في مدح التصوف وآدابه

يقول الشيخ مصطفى البكري الصديقي الخلوتي (ت ١١٦١ هـ) في «ألفية التصوف»:

وَمَنْ يَخَالَفُ فِعْلُهُ الشَّرِيعَةَ      فَذَاكَ فِي مَهَامِهِ الْقَطِيعَةَ  
إِذْ كُلُّ مَنْ خَالَفَهَا زَنَدِيقُ      وَكُلُّ مَنْ خَالَفَهَا صِدِّيقُ  
وَجَاهِلٌ يَفْرُقُ مَا بَيْنَهُمَا      وَلَيْسَ يُمَكِّنُ انْفِكَاكُ عَنْهَا  
شَّرِيعَةٌ يَا ذَا بِلَا حَقِيقَةَ      عَاطِلَةٌ إِذْ لَمْ تَكُنْ وَثِيقَةَ  
حَقِيقَةٌ بِدُونِهَا فَبَاطِلَةٌ      فَافْهَمْ مُبِحَّتَ مُزْنَ فَيَضِ هَاطِلَةٌ  
وَمَنْ عَدَا مَسْلُوبَ الْاِخْتِيَارِ      فَحُكْمُهُ تَسْلِيمُهُ لِلْبَّارِي  
لَا تَعَرِّضُ فِي فِعْلِهِ عَلَيْهِ      إِذْ عَقْلُهُ حَبَاهُ لَدَيْهِ  
وَإِنَّا يَعْترِضُ الْبَاقِي عَلَى      عَقْلٍ لَهُ وَشَرَعٌ طَهَ قَدْ قَلَى  
يَقُولُ: "إِذَا حَقِيقَةٌ ذَرِيعَةٌ      كَيْ يَنْبِذَنَّ جَانِبَ الشَّرِيعَةَ  
فَاحْذَرْ عَلَى دِينِكَ مِنْ ذِي الْقَوْمِ      وَلَا تُجَالِسُهُمْ وَلَا فِي النَّوْمِ  
وَقَدْ نَمَا فِي ذَا الزَّمَانِ شَرُّهُمْ      حَتَّى سَمَا فِي النَّاسِ جِدًّا ضَرُّهُمْ  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ هُنَا مَنْ يَرْدَعُ      مِنْ أَجْلِ ذَا الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ وَدَعَا

ملحق

كتاب أبحاث التصوف الإسلامي

الإمام العلم

الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني

قدس الله سره

(٤٧٠ - ٥٦١ هـ)

(يا غلام سافر ألف عام لتسمع مني كلمة)



## مقدمة

الحمد لله الذي فتح لأولياته طرق الهدى، وأجرى على أيديهم أنواع الكرامات ونجاهم من الردى، فمن اقتدى بهم انتصر واهتدى، ومن عرج عن طريقهم انتكس وتردّى، ومن أم حماهم أفلح وسلك، ومن أعرض عنهم بالإنكار انقطع وهلك. أحمده حمد من علم أن لا ملجأ منه إلا إليه، وأشكره شكر من اعتقد أن النعم والنعم بيديه.

وأشهد أن لا إله إلا إلهٌ واحد لا شريك له، فتح لأولياته الباب، وكشف لهم الحجاب، فشاهدوا جمالاً ليس له مثال، وخلع عليهم خِلاصَ الولايات، وصرّفهم في المملكة في جميع الجهات، فخرقت لهم العادات.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده المجتبي، ورسوله المصطفى، المختار من جميع الأنام، المبعوث إلى الخلق كافة بالإسلام، الهادي من ظلام الكفر إلى نور الإيمان ودار السلام. اللهم صلِّ وسلم وبارك وعظّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، أما بعد؛ فيا معشر الإخوة الكرام:

في أعلى قمة الولاية لله عزّ وجلّ تربع الأقطاب المحمديون الذين سبحت أرواحهم في محيط النور المحمدي، وجالت قلوبهم في حضرة الجمال القدسي، فاستمدت ذواتهم من نور الأنوار، ورشفت من رحيق الأسرار، وتحققت بكمالات الإرث المحمدي الذي نالت بفضلها شرف الإمامة، وتربعت على عرش الكرامة، قلوبهم بذكره أحياءها، ومن الأرجاس والأكدار طهرها وجلاها، أحياءهم الدين، ونفع المريدين، وجلا بهم عن القلوب الصدأ، وأغاث بهم العباد، وأصلح بهم البلاد، هم الناطقون بالحق عن الحقيقة،

والمرشدون إلى سلوك الطريقة، أولئك هم خواص الحق تعالى، الذين استخلصهم لنفسه، وأجلسهم على بساط أنسه، وقربهم إلى حضرة قدسه، وجعلهم شهود حضرته، وجنود مملكته، فافهم هذا أيها المسلم، وأصغِ إلى ما قال فيهم المعلم:

فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري  
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم وما عرجوا عن مس بؤس ولا ضر  
همومهم جِوَالَةٌ بمعسكرٍ به أهل الله كالأنجم الزهر

الولي: عبد تولى طاعة الله تعالى، فتولى الله أمره فلم يكله لغيره طرفة عين.

الولي عبد الله ظاهر الصلاح، عارف بالله وصفاته بحسب الإمكان، مواظب على الطاعات، مجتنب للمعاصي، غير منهمك في الشهوات ولو كانت مباحة، وهو على قدم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، تظهر على يديه الكرامات؛ لتدل على مكانته عند الله وبلوغه المقامات؛ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

وقد اشتهر في المشرق والمغرب بين المسلمين أربعة أقطاب معظمين؛ أعني بهم: مولانا الشيخ الإمام أحمد الرفاعي، وسيدنا الإمام الشيخ أحمد البدوي، وسيدنا الإمام الشيخ إبراهيم الدسوقي.

ورابعهم: وفي الذروة العليا ممن تربعوا على عرش الولاية الربانية والوراثة المحمدية: الإمام العارف بالله، قطب الأقطاب في عصره، وسلطان العارفين الأصفياء، باب الحضرة المحمدية؛ سيدنا الإمام عبد القادر الجيلاني، فقد انعقد إجماع الأمة على إمامة القطب الجيلاني للأولياء، وبلوغه الذروة العليا في الولاية والمعرفة، بيد أن حقيقة الباز الأشهب

لم يقف عليها عارف، وحسبُ الناس أن يستضيئوا بنور الشمس، ولا عليهم أن يحيطوا  
بجوهرها أو يصلوا إلى كنهها.

فقولوا: رضي الله عنه وأرضاه وأرضانا معه.

### عصره:

يتميز عصره باضمحلال الخلافة العباسية، وتفكك السلطة المركزية لها إلى دول  
كثيرة، ودخلوا في حروب كثيرة بينهم وبين الخليفة؛ مما أثر سلبيًا في جميع ميادين الحياة،  
ويتميز عصره بظهور العلماء الأعلام في كل علم وفن؛ كالإمام الجيلاني وابن الجوزي  
وأبي سعيد المخرمي وابن رشد.

أرحب مع حضرتكم بقطب الأولياء الكرام، وشيخ المسلمين والإسلام، ركن  
الشريعة وعلم الطريقة، وموضح أسرار الحقيقة، شيخ الشيوخ وحامل راية علماء  
المعارف والمفاخر، وقدوة الأولياء العارفين الأكابر، أستاذ الوجود.

### نسبه وأسرته:

هو سيدي وجدي الشيخ عبد القادر الجيلاني ابن أبي صالح موسى جنكي دوست  
محمد<sup>(١)</sup> ابن السيد عبد الله ابن السيد يحيى الزاهد ابن السيد محمد شمس الشموس ابن  
داود الأمير ابن موسى الثاني ابن عبد الله (الشيخ الصالح) ابن موسى الجون بن عبد الله

---

(١) أي: محب الجهاد؛ لأن شعاره كان مجاهدة النفس وتركيتها بالأعمال الصالحة.



المحض إمام المدينة المنورة ابن سيدنا الحسن المثنى بن سيدنا الحسن ابن سيدتنا فاطمة  
الزهراء بنت سيدنا ومولانا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.  
وذكر حسبه ونسبه في كتب كثيرة، وترجم له الأئمة الأعلام. ذكرت مصادرهما آخر  
الترجمة.

وكان لمولانا الجيلاني ٤٩ ولدًا<sup>(١)</sup>، منهم سبعة وعشرون ذكرًا صار أكثرهم علماء  
وأولياء، واشتهر منهم عشرة<sup>(٢)</sup>.  
وكان يقول: إذا ولدي ولدٌ أخذته على يدي وأقول: هذا ميت، فأخرجه من قلبي،  
فإذا مات لم يؤثر عندي موته شيئًا.

فروعٌ من أصول عالياً فأكرم بالفروع وبالأصول  
تسلسل أصلهم خلقًا وخُلُقًا لجدِّهم التهاميَّ الرسول  
(وجيلان): بلاد متفرقة وراء طبرستان<sup>(٣)</sup> وبها وُلد<sup>(٤)</sup>.

---

(١) من ثلاث عشرة امرأة، حرائر وجواري.

(٢) منهم: عبد الوهاب (ت ٥٧٣هـ)، عيسى (ت ٥٧٣هـ)، عبد العزيز (ت ٦٠٢هـ)، عبد الجبار، عبد الرزاق (ت  
٦٠٣هـ)، إبراهيم (ت ٥٩٢هـ)، يحيى (ت ٦٠٠هـ)، موسى (توفي بدمشق)، صالح وبه يكنى، مدفون  
قرب والده في بغداد.

(٣) في إيران على بحر قزوين.

(٤) كان عصر الإمام الجيلاني فيه كثير من الاضطرابات السياسية والاجتماعية، ونشأ في عصر أحد أجداده  
حاكمٌ يلاحق آل البيت ويقتلهم، فانتقل هذا الجدُّ إلى جيلان بطبرستان؛ لينجو هو وأسرته من سطوة هذا  
الحاكم، وهناك وُلد الإمام، وهو سبب ولادته هناك.

وقيل: بل هو من جيلان تحت المدائن في العراق.

أما أبوه فكان محاربًا شجاعًا حتى لقبوه بـ(جنكي دوست) أي: رجل الحرب أو محب الجهاد.

وأما أمه: فهي السيدة أم الخير فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي<sup>(١)</sup>، وهي من نسل سيدنا الحسين رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>، كان لها حظ وافر من الصلاح والخير، أخبرت غير مرة أنها حملت به وهي بنت ستين سنة، -ويقال: لا تحمل لستين إلا قرشية- وأنها لما وضعته كان لا يرضع ثديها في نهار رمضان، وحين غم على الناس هلال رمضان سألوها عنه فقالت: لم يلتقم اليوم ثدياً! ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان. وكان له أخٌ واحدٌ مات شاباً.

وقد بلغت عمته من الصلاح والتقوى أنهم كانوا إذا أجذبت الأرض بجيلان جاؤوا إليها وسألوها الاستسقاء، فتقوم إلى رَحبة بيتها وتكنس الأرض وتقول: يا رب أنا كنست، فَرُشَّ أنت، فلا يلبثون أن يمطروا ببركتها. والحاصل أن نسبهم العالي أشهر من الصباح المتلالي، لا ينكره إلا الأعمى، ولا يجله إلا من دهمته الجهالة الدهما.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رميدٍ      وينكر الفم طعم الماء من سقم

---

(١) وكان مجاب الدعوة، وإذا غضب انتقم الله عز وجل له سريعاً، وإذا أحب أمرًا فعله الله له كما يختاره، وكان مع ضعف قوته وكبر سنه كثير النوافل، دائم الذكر، ظاهر الخشوع، صابراً على حفظ حاله ومراعاة أوقاته.

(٢) فهو حسنيٌّ من جهة الأب، حسينيٌّ من جهة الأم.

## ولادته ونشأته رضي الله عنه:

ولد جدي سيدنا الإمام عبد القادر بجيلان من طبرستان<sup>(١)</sup> يوم ١١ ربيع الثاني سنة ٤٧٠هـ، وأثبت آل الجيلاني في بغداد أن جيلان قرية قريبة من بغداد<sup>(٢)</sup> هم أعرف بها، وبشر به الأولياء قبله، وكانوا يقولون: سوف يظهر بالعراق رجل من العجم عالي المنزلة عند الله وعند الناس، اسمه عبد القادر، وسكنه ببغداد، يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وتدين له الأولياء في عصره.

وقدم بغداد شاباً سنة ٤٨٨هـ<sup>(٣)</sup>، وتفقه حنبلياً على القاضي أبي سعدة المخرمي<sup>(٤)</sup> (ت ٥١٣هـ) وغيره حتى أحكم الأصول والفروع والخلاف المذهبي، ولازم الأدب على أبي زكريا التبريزي والإمام حماد بن مسلم الدبّاس<sup>(٥)</sup> الذي انتهت إليه تربية المريدين ببغداد

---

(١) شمال إيران على بحر قزوين.

(٢) قرب المدائن ٦٥ كم جنوب بغداد.

(٣) كانت بغداد في عصر الإمام عنواناً لحضارة علمية، بما تضمنته من تنوع وثراء، فكانت مجمعا للعلماء والفلاسفة، ومركزاً للفقهاء والمفسرين والمحدثين، وامتدى للقراء والكتاب، ومحراباً للزهاد والصوفية، ومن المؤرخين من يقول: الإمام دخل بغداد، والغزالي خرج إلى دمشق.

(٤) أبو سعيد المخرمي أو أبو سعيد المخزومي، ثمّة خلافٌ في مصادر الترجمة، وكان عنده مدرسة يعظ فيها، ثم سلمها للإمام عبد القادر، وبعد وفاة أبي سعيد، فوضت مدرسته إلى الإمام عبد القادر، فأقبل عليه الطلاب حتى ضاقت مدرسته، فضم ما جاورها من المنازل، وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتها، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم؛ حتى تم بناؤها سنة ٥٢٨هـ، وصارت منسوبة إليه.

(٥) مدفون في مقبرة باب الصغير بدمشق، خلف مقام سيدنا بلال، وكان الإمام السبكي إذا وقع في ضائقة زاره؛ ففرج الله عنه.

وانعقد عليه الإجماع؛ لأنه من أهل الكشف، فلازم عليه الخلوة والرياضة والسياسة والمجاهدة والسهر والمقام في الصحراء، وأخذ عنه علم الطريق، وحين سأله أصحابه قال: لهذا الشاب وقت إذا جاء افتقر إليه الخاص والعام.

ثم إن الله تعالى أظهره للخلق، وأوقع له القبول العظيم، وعقد مجلس درسه سنة ٥٢١هـ، وأظهر الله الحكمة على لسانه، وبدأ يصنّف في الفروع والأصول.

صفته رضي الله عنه:

حدث عن صفاته البدنية مؤرخو عصره؛ كابن قدامة المقدسي قال: كان شيخنا شيخ الإسلام محيي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلي نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر، عريض اللحية طويلها، أسمر اللون، مقرون الحواجب، أدعج العينين، ذا صوت جهوري، وسمت بهيٍّ، وقدر عليٍّ، وعلم وفيٍّ، رضي الله عنه وأرضاه.

كان إذا مرَّ على مجالس العلم ببغداد ينهض له الأولياء والعلماء حين يرونه، ويقولون لمن حضره: قوموا لولي الله، وربما قالوا في وقتٍ: من لم يقم لهذا الشاب لم يقم لولي الله.

سيدنا عقيل المنبجي سئل عن القطب، فقال: هو في وقتنا هذا في مكان خفي لا يعرفه إلا الأولياء، وسيظهر هنا -وأشار إلى العراق- فتى أعجمي شريف يتكلم على الناس ببغداد ويعرف كرامته الخاص والعام، وهو قطب وقته يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي، وتضع الأولياء له رقابهم، ولو كنت في زمانه لوضعت له رأسي، ذلك الذي ينفع الله به من صدّق بكرامته من سائر الناس.

كان كلما همَّ أن يلعب مع الصبيان في صغره سمع قائلاً يقول: إلى أين يا مبارك؟! فيهرب، وفي شبابه كان يسمع صوتاً يقول: يا عبد القادر؛ واصطفيتك لنفسي.

سأله سائل: علامَ بنيت أمرك؟ قال: على الصدق، ما كذبت قط، ولا عندما كنت في الكتاب.

وقال: كنت صغيرًا في بلدنا، فخرجت إلى السواد في يوم عرفة، وتبعت بقرَ حرث، فالتفتت إلي بقرة وقالت لي: يا عبد القادر ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فرجعت فزعًا إلى داري، وصعدت إلى سطح الدار، فرأيت الناس واقفين بعرفات. فجاء إلى أمه وقال لها: هبيني لله عزَّ وجلَّ، وائذني لي بالمسير إلى بغداد أشغل بالعلم وأزور الصالحين، فسألته عن السبب، فأخبرتها خبري، فبكت وقدمت لي ثمانين دينارًا خلفها أبي، فتركت لأمي أربعين، وخاطت لي في ثوبي الأربعين تحت إبطي وأذنت لي بالمسير، وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي، وخرجت مودعة لي، وقالت: يا ولدي اذهب فقد خرجتُ عنك لله عزَّ وجلَّ، فهذا وجهٌ لا أراه إلى يوم القيامة.

يقول: فسرت مع قافلة صغيرة تطلب بغداد، فلما تجاوزنا همذان خرج ستون فارسًا من الأودية فأخذوا القافلة، ولم يتعرض لي أحد<sup>(١)</sup>، فاجتاز بي أحدهم وقال: يا فقير ما معك؟ فقلت: أربعون دينارًا، فقال: وأين هي؟ فقلت: مخاطة تحت إبطي<sup>(٢)</sup>. فظنه يستهزئ به فتركه وانصرف، ومرَّ به آخر وسأله فقال له مثل ذلك، فأخذه إلى رئيس العصابة، فأمره بفتق تحت إبطه فوجد فيه الأربعين دينارًا، فقال: ما حملك على الاعتراف؟ قال: عاهدتني أمي على الصدق، وإني لا أخون عهدًا. فبكى وقال: أنت لم

---

(١) لكون هيئته ومنظره لا يوحى بأنه سليل عز وريب غنى.

(٢) لأنَّه عاهد أمه بأغلظ الأيمان أنَّه لن يكذب أبدًا، ولن يفعل ما يغضب الرب عز وجل..

تحن عهد أمك، وأنا لي كذا وكذا سنة أخون عهد ربي!! فتاب على يدي<sup>(١)</sup>، فقال له أصحابه: أنت كنت مقدّمنا في قطع الطريق، وأنت الآن مقدّمنا في التوبة، فتابوا كلهم على يده، وردّوا على القافلة ما أخذوا منهم، فهم أول من تاب على يده رضي الله عنه.

يقول<sup>(٢)</sup> الإمام عن بداية أول عهده بالمشيخة:

بعد مدة قدم رجل من همدان يقال له: يوسف الهمداني، وكان يقال: إنه القطب، ونزل في رباط، فمشيت إليه ولم أره، وقيل لي: هو في السرداب، فنزلت إليه، فلما رأيته أجلسني فعرفني وذكر لي جميع أحوالي، وحلّ لي المشكل علي، ثم قال لي: تكلم على الناس، فقلت: يا سيدي أنا رجل أعجمي قح أخرس، أتكلم على فصحاء بغداد؟! فقال

---

(١) ذهل اللص من ذلك الوفاء، واغرورقت عيناه بالدموع، واهتزّ صدره الموبوء بجرائم الضغائن والحقود من فرط البكاء، وأزمع التوبة بعد أن رأى الفتى اليافع يتهافت في الحفاظ على وصية والدته، غير آبه ولا مهتم بضياح ما يملك، لكنّه هو وثلته منذ عهدو خلت سلكوا سبيل الردى والعناد، وتركوا سبيل الهدى والرشاد، قطعوا الطريق، وروعوا الأمنين؛ فأعلن توبته، وصدع بها أمام جماعته الذين حذوا حذوه، وتحرّوا طريقته.

(٢) لم يكن في بلاد جيلان ما يرضي طموحه إلى معرفة أصول الشريعة وفروعها؛ لذلك أخذت تحدّثه نفسه بالسفر إلى حاضرة الدنيا في ذلك الزمان، وكان أهل جيلان يدينون بالمذهب الحنبلي في ذلك العهد بعد النصر العظيم الذي نالته السنة المطهرة على يد حاميتها ورافع لوائها الإمام أحمد رضي الله عنه.

وصل الشيخ عبد القادر بغداد زمن الخليفة المستظهر وعمره ١٨ عامًا، وأمضى فيها ٧٣ عامًا شهد فيها حكم خمسة من الخلفاء العباسيين هم: المستظهر بالله والمسترشد، والراشد والمقتفي والمستنجد، كانت الدولة العباسية في تلك الفترة قد تقوضت أركانها، ووهت دعائمها، ولم يبق لها من الحكم إلا اسمه، وكانت مقاليد الأمور بيد السلاطين السلاجقة، ورأى الشيخ عبد القادر الشباب يهيمنون في أودية الضلال، ويتسكعون في بيداء الغواية؛ فأقبل على العلم بهمة ماضية وحرص شديد.

لي: أنت حفظت الفقه وأصوله والخلاف والنحو واللغة وتفسير القرآن؛ لا يصلح لك أن تتكلم؟ اصعد على الكرسي وتكلم؛ فإني أرى فيك عذفاً سيصير نخلة.

ثم إن الإمام رأى سيدنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه سنة ٥١٢ = (وعمره ٤٢ سنة) من شهر شوال، فقال له: يا بني لم لا تتكلم؟! قلت: يا أبتاه أنا رجل أعجمي، كيف أتكلم على فصحاء العرب ببغداد؟! قال لي: افتح فاك، ففتحت فتفل فيه سبغاً، وقال لي: تكلم على الناس وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، قال: فصلى الظهر وجلس، وحضره خلق كثير فأرتج عليه، فرأى سيدنا علي بن أبي طالب قائماً بإزائه في المجلس، فقال له: يا بني لم لا تتكلم؟ فقلت: يا أبتاه قد أرتج علي، فقال: افتح فاك، ففتحت فتفل فيه ستاً، فقلت: لم لا تكملها سبغاً؟ فقال: أدباً مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! ثم ألقى الدرس الأول له<sup>(١)</sup>.

## أقوال الأئمة الأعلام

### في مكانة سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني

(١) كان يتكلم بأنواع العلوم، وإذا صعد الكرسي؛ هابه الناس حتى ما تسمع همسة، وإذا نظر إلى أحد يكاد يرعد من هيئته، وكان أقصى الناس في مجلسه، يسمع صوته كما يسمعه أذناهم على كثرتهم، وكان يتكلم على خواطر أهل المجلس، ويوجههم بالكشف، بقي على ذلك أربعين سنة ٥٢١ - ٥٦١، يقرأ في درسه مقرئان قراءة مجودة مرتلة، وكان من شدة خشوع المجلس يموت في مجلسه الرجلان والثلاثة، وكان يكتب في مجلسه ٤٠٠ محبرة عالم، وكان إذا مرَّ إلى الجامع يوم الجمعة، وقف الناس في الأسواق يسألون الله تعالى به حوائجهم.

## قدس سره العزيز

قال الأئمة الأعلام عن سيدنا الجيلاني:

(١) - الإمام الحافظ الكبير، الأوحد الثقة، محدث خراسان، أبو سعد عبد الكريم السمعاني (المتوفى: ٥٦٢هـ):

كان عبد القادر أبو محمد من أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيهٌ صالحٌ دينٌ خيّرٌ، كثيرُ الذكرِ، دائمُ الفكرِ، سريعُ الدمعةِ، تفقه على المخرمي، وصحب الشيخ حمادًا الدباس<sup>(١)</sup>.

(٢) - الإمام الزاهد القطب الكبير سيد الأولياء الشيخ أحمد الرفاعي (المتوفى: ٥٧٨هـ):

الشيخ عبد القادر: من يستطيع وصف مناقبه؟! ومن يبلغ مبلغه؟! ذاك رجل بحرُ الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره، من أيها شاء اغترف، لا ثاني له في وقتنا هذا<sup>(٢)</sup>.

(٣) - الإمام موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٦٢٠هـ) (صاحب كتاب «المغني» في الفقه الحنبلي، شرح فيه «مختصر الخرقى» في الفقه):

دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمس مئة<sup>(٣)</sup>؛ فإذا الشيخ عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علمًا وعملاً وحالًا واستفتاءً، وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره؛ من

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) (ج ٢٠ ص ٤٤١) طبع مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

(٢) «طبقات الأولياء» لابن الملقن (المتوفى: ٨٠٤هـ) (١/١٠٠) طبع مكتبة الخانجي، بالقاهرة مصر، «قلائد الجواهر» للإمام محمد بن يحيى التادفي (ص ٦٦) طبع مصطفى الباي الحلبي بمصر.



كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر، كان ملي العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله، ولم أسمع عن أحد يُحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت أحداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه<sup>(٣)</sup>.

(٤) - الإمام المحدث الحافظ الرحال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي (المتوفى: ٦٣٦هـ):

عبد القادر الجيلاني: فقيه الحنابلة والشافعية ببغداد وشيخ جماعتها، له القبول التام عند الفقهاء والفقراء والعوام، وهو أحد أركان الإسلام، انتفع به الخاص والعام، كان مجاب الدعوة، سريع الدمعة، دائم الذكر، كثير الفكر، رقيق القلب، دائم البشر، كريم النفس، سخي اليد، غزير العلم، شريف الأخلاق، طيب الأعراف، مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد<sup>(٣)</sup>.

(٥) - الإمام العالم الحافظ البارع محدث العراق مؤرخ العصر محب الدين أبو عبد الله محمد بن النجار (المتوفى: ٦٤٣هـ):

عبد القادر الجيلاني: ابن أبي صالح جنكي دوست، من أهل جيلان، أحد الأئمة الأعلام، صاحب الكرامات الظاهرة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) في السنة نفسها التي توفي فيها سيدنا الجيلاني، التقى به ستة أشهر فقط من حياته.

(٢) «قلائد الجواهر» للإمام محمد بن يحيى التادفي (ص ٦).

(٣) «قلائد الجواهر» للإمام محمد بن يحيى التادفي (ص ٧).

(٤) «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» للحافظ ابن النجار البغدادي (ج ١ ص ١٢٧) طبع دار الكتب العلمية،

بيروت - لبنان.

٦- شيخ الإسلام سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام (المتوفى: ٦٦٠هـ):  
إنه لم تتواتر كرامات أحدٍ من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر؛ فإن كراماته نقلت  
بالتواتر<sup>(١)</sup>.

٧- الإمام الحافظ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ):  
ما علمنا - فيما بلغنا من الثقات الناقلين كرامات الأولياء - أكثر مما وصل إلينا من  
كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، كان شيخ السادة  
الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد، وانتهت إليه رئاسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير  
واحد من الأكابر، وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق، وتلمذ له خلق لا يُحصون  
عددًا من أرباب المقامات الرفيعة، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء رضي الله عنهم  
بالتبجيل والإعظام، والرجوع إلى قوله، والمصير إلى حكمه، وأهرع إليه أهل السلوك من  
كل فج عميق، وكان جميل الصفات، شريف الأخلاق، كامل الأدب والمروءة، كثير  
التواضع، دائم البشر، وافر العلم والعقل، شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه، معظماً  
لأهل العلم، مُكْرَمًا لأرباب الدين والسنة، مبغضًا لأهل البدع والأهواء، محبًا لمريدي  
الحق، مع دوام المجاهدة ولزوم المراقبة إلى الموت، وكان له كلام عالٍ في علوم المعارف،  
شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى، سخي الكف كريم النفس على أجمل  
طريقة، وبالجملة لم يكن في زمنه مثله رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>!!

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي (ج ٢٠ ص ٤٤٣).

(٢) «قلائد الجواهر» للإمام محمد بن يحيى التادفي (ص ١٣٧) نقلًا عن «بستان العارفين» للإمام النووي.

(٨) - الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحرانی (المتوفى:

:٧٢٨هـ):

ولهذا قال الشيخ عبد القادر قدس الله روحه: كثير من الرجال إذا دخلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، وأنا انفتحت لي فيه روزنة، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والولي من يكون منازعاً للقدر، لا من يكون موافقاً له<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً: وأما أئمة الصوفية والمشايخ المشهورون من القدماء - مثل الجنيد بن محمد وأتباعه، ومثل الشيخ عبد القادر وأمثاله - فهؤلاء من أعظم الناس لزوماً للأمر والنهي، وتوصيةً باتباع ذلك، وتحذيراً من المشي مع القدر كما مشى أصحابهم أولئك. وهذا هو الفرق الثاني الذي تكلم فيه الجنيد مع أصحابه، والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على اتباع المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور، ولا يثبت طريقاً تخالف ذلك أصلاً، لا هو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين، ويجذر عن ملاحظة القدر المحض بدون اتباع الأمر والنهي<sup>(٢)</sup>.

(٩) - الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي

(المتوفى: ٧٤٨هـ):

---

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تیمیة (٣٠٦/٨) طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية -

المملكة العربية السعودية.

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تیمیة (٣٦٩/٨).

الشيخ عبد القادر: الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي شيخ بغداد.

وختم ترجمته بقوله: وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعود، وبعض ذلك مكذوب عليه<sup>(١)</sup>.

(١٠) - الشيخ العلامة الفقيه زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردی (المتوفى: ٧٤٩هـ):

السَّيِّدُ الْقُطْبُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى... أَعَادَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَتِهِ<sup>(٢)</sup>.

(١١) - الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ):

شيخ الوری والدين عبد القادر الجيلاني<sup>(٣)</sup>.

(١٢) - العلامة المؤرخ محمد بن شاکر الکتبی (المتوفى: ٧٦٤هـ):

الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي: عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، الشيخ أبو محمد الجيلي الحنبلي المشهور الزاهد، صاحب المقامات والكرامات وشيخ الحنابلة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي (٤٣٩/٢٠).

(٢) «التاريخ» لابن الوردی (٢٤٨/١)، (١٩/٢)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(٣) «القصيدة النونية» لابن القيم الجوزية (ص ٨٤) طبع مكتبة ابن تيمية، القاهرة-مصر.

(١٣) - الشيخ العلامة أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان

اليافعي اليمني المكي<sup>(٣)</sup> (ولد: ٦٨٩، المتوفى: ٧٦٨هـ):

شيخ الشيوخ في المجد والفاخر، الذي خضعت لقدمه رقاب الأكابر، الشيخ محيي

الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني، قدس الله روحه، ونور ضريحه<sup>(٣)</sup>.

وقال: قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام، ركن الشريعة وعلم الطريقة،

شيخ الشيوخ، قدوة الأولياء العارفين الأكابر، أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي،

قدس سره ونور ضريحه، تحلى رضي الله عنه بحلي العلوم الشرعية، وتجمل بتيجان الفنون

الدينية، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق، قام بنص بالكتاب والسنة خطيباً على

الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد، وأبرز جواهر التوحيد

من بحار علوم تلاطمت أمواجهها، وأبرأ النفوس من أسقامها، وشفى الخواطر من

أوهامها، وكم رد إلى الله عاصياً! تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء<sup>(٤)</sup>.

---

(١) «فوات الوفيات» لابن شاکر (٢/٣٧٣) طبع ونشر دار صادر - بيروت.

(٢) شيخ الحرم، رجل عزيز الوجود، فرد زمانه، ونادرة أوانه، شاعر مؤرخ صاحب كتاب «مرآة الجنان

وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان»، رحالة، رحل إلى القدس والشام والقاهرة ومكة والحجاز،

ودفن في مكة، تأثر بابن عربي، واتبع طريقته في التصوف، ذكروا له ٦٦ مؤلفاً، له قصيدة من ٣٠٠٠ بيت

تشتمل على قريب من عشرين علماً، من شعره:

يا غائباً وهو في قلبي يشاهده

ما غاب من لم يزل في القلب مشهودا

إن فات عيني من رؤياك حظها

فالقلب قد نال حظاً منك محمودا

(٣) «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» لليافعي المكي (ج ٤ ص ٢٤٤) طبع دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٤) «قلائد الجواهر» للإمام التادفي (ص ١٣٦).

(١٥) - الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ):

الشيخ عبد القادر الجيلي: ابن أبي صالح، أبو محمد الجيلي، ولد سنة سبعين وأربع مئة، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي، وقد كان بنى مدرسة ففوضها إلى الشيخ عبد القادر، فكان يتكلم على الناس بها ويعظهم، وانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، وكان له سمت حسن، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه تزهد كثير، وله أحوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفاتٍ أكثرها مغالاة، وقد كان صالحاً ورعاً، وقد صنف كتاب «الغنية» و«فتوح الغيب» وفيه أشياء حسنة، وذكر فيها أحاديث ضعيفة وموضوعة، وبالجملة كان من سادات المشايخ<sup>(١)</sup>.

(١٦) - الإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ):

عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي: الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة، محيي الدين..... ظهر للناس، وحصل له القبول التام، وانتصر أهل السنة الشريفة بظهوره وانخذل أهل البدع والأهواء، واشتهرت

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير الدمشقي (ج ١٢ ص ٣١٣) طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم<sup>(١)</sup>.

(١٧) - الإمام محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ):

شيخ العارفين، قطب الزمان، عبد القادر الجيلاني، قدس الله سره<sup>(٢)</sup>.

(١٨) - الإمام المؤرخ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ):

شيخ الإسلام الإمام الكبير العارف بالله عبد القادر الجيلي المعروف بالكيلاني، نفع الله

تعالى بركاته<sup>(٣)</sup>.

(١٩) - الإمام أبو بكر بن علي ابن حجة الحموي الأزرازي (المتوفى: ٨٣٧هـ):

سيدنا القطب الفرد الجامع، عبد القادر الجيلاني، قدس الله ضريحه، وأعاد علينا من

بركاته في الدنيا والآخرة بمحمد وآله<sup>(٤)</sup>.

(٢٠) - الإمام الحافظ شمس الدين الشهير بابن ناصر الدين دمشقي (المتوفى:

٨٤٢هـ):

الشيخ العارف ولي الله أبو محمد عبد القادر الجيلي (رضي الله عنه)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) «كتاب الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلي (ج ٢ ص ١٨٨، ١٩١) طبع مكتبة العبيكان -

الرياض - بالمملكة العربية السعودية.

(٢) «حياة الحيوان» للدميري (ج ١ ص ٣٤٩) طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) «صبح الأعشى» للقلقشندي (ج ١٤ ص ٤٤٩) طبع دار الفكر - دمشق.

(٤) «خزانة الأدب وغاية الأرب» لابن حجة الحموي (١/٢٧٧) دار ومكتبة الهلال - بيروت، دار البحار -

بيروت.

(٥) «مجالس في تفسير قوله تعالى»..... لابن ناصر الدين دمشقي (١/٤٥٨) طبع دار القبة الإسلامية -

مؤسسة الريان.

(٢١) - الإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢هـ):

كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة، يدعو إليها وينفر عن مخالفتها، ويشغل الناس فيها، مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة، ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالباً كالأزواج والأولاد، ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره؛ لأنها صفة صاحب الشريعة صلي الله عليه واله وسلم<sup>(١)</sup>.

(٢٢) - العلامة النسابة محمد كاظم بن أبي الفتوح بن سليمان اليماني الموسوي (المتوفى: ٩٠٠هـ):

الشيخ وحيد عصره، وفريد دهره، قدوة الأنام، وإمام الزهاد والحسان؛ أهل العراق، الباز الأشهب، والقطب الخطير، عبد القادر الجيلي بن عبد الرحمن الشهير بجنتكي دوست<sup>(٢)</sup>.

(٢٣) - الإمام المحدث يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن المبرّد (المتوفى: ٩٠٩هـ):

قطب الأولياء محيي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلي الكيلاني الحنبلي، قدس الله روحه<sup>(٣)</sup>.

(٢٤) - الإمام المحدث الفقيه عبد الوهاب الشعراني (المتوفى: ٩٧٣هـ):  
طريقته التوحيد ووصفاً وحكماً وحالاً، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً.

---

(١) «قلائد الجواهر» للإمام التادفي (ص ٢٣).

(٢) «النفحة العنبرية في أنساب خير البرية» للموسوي (ص ١٢٢) طبع ونشر مكتبة المرعشي النجفي، قم إيران، ١٤١٩هـ.

(٣) «النهاية في اتصال الرواية» لابن المبرّد (١/٢٦٧) طبع دار النوادر - سورية.



(٢٥) - الإمام المحدث أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي (المتوفى: ٩٧٤هـ):

إمام العارفين، وقطب الإسلام والمسلمين، الأستاذ عبد القادر الجيلاني، قدس سره العالي<sup>(١)</sup>.

(٢٦) - الإمام المحدث علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا علي الهروي القاري المكي (المتوفى: ١٠١٤هـ):

سيدنا وسندنا ومولانا القطب الرباني، والغوث الصمداني، الشيخ عبد القادر الجيلاني، رَوَّحَ اللهُ روحه، ورزقنا فتوحه، في كتابه «الغنية» الذي للسالكين فيه المنية<sup>(٢)</sup>.

(٢٧) - الإمام المحدث أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي التتوي السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ):

القطب الرباني، والغوث الصمداني، الشيخ عبد القادر الجيلاني، قدس سره العزيز<sup>(٣)</sup>.

(٢٨) - الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، المعروف بابن عقيلة (المتوفى: ١١٥٠هـ):

قطب الوجود، وبركة كل موجود، الشيخ عبد القادر الجيلاني، قدس الله روحه<sup>(٤)</sup>.

---

(١) «الفتاوى الحديثية» لابن حجر الهيثمي (ج ١ ص ١٤٥) طبع دار الفكر بيروت - لبنان.

(٢) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للملا علي القاري المكي (ج ٤ ص ١٥٠١) طبع دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٣) «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» للتتوي السندي (ج ٢ ص ٤٣٨) نشر دار الجليل - بيروت.

(٤) «الفوائد الجليلية في مسلسلات ابن عقيلة» لابن عقيلة المكي (ج ١ ص ٩٩) طبع دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان.

(٢٩) - العلامة الفقيه أبو البركات عبد الله بن حسين السويدي البغدادي (المتوفى: ١١٧٤هـ):

قطب العارفين، وسلطان الموحدين، سيدي [ابن] أبي صالح محيي الدين عبد القادر الجيلي - قدس سره العزيز<sup>(١)</sup>.

(٣٠) - الإمام المحدث محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بالمرتضى الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ):

جِيلَانُ؛ بِالْكَسْرِ: إِقْلِيمٌ بِالْعَجَمِ، مُعَرَّبٌ (كِيْلَانٌ) بِالْإِمَالَةِ، وَإِلَيْهِ نِسْبَةُ الْقُطْبِ سَيِّدِي عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيَّ (قدس سره العزيز). وَأَوْلَادُهُ: عَبْدُ الْوَهَّابِ، وَعَبْدُ الرَّزَاقِ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ، وَمُوسَى، وَيَحْيَى، وَمُحَمَّدٌ<sup>(٢)</sup>.

(٣١) - الإمام القاضي محمد ثناء الله المظهري الفاني فتي الحنفي النقشبندي (المتوفى: ١٢٢٥هـ):

غوث الثقلين السيد السند محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

(٣٢) - الشيخ العلامة صديق حسن خان القنوجي البهوپالي (المتوفى: ١٣٠٧هـ):  
عبد القادر الجيلاني ابن أبي صالح موسى بن جنكي دوست، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي - رضي الله عنهما - الشيخ أبو محمد، الجيلي، الحنبلي، الزاهد المشهور. صاحب

---

(١) «النفحة المسكية في الرحلة المكية» للسويدي (ج ١ ص ٩٢) طبع ونشر المجمع الثقافي - أبو ظبي.

(٢) «تاج العروس» للزبيدي (٢٨ / ٢٦١) طبع ونشر دار الهداية.

(٣) «التفسير المظهري» لثناء الله الفاني فتي (٥ / ٢٤٦) طبع مكتبة الرشدية - باكستان.

المقامات والكرامات والعلوم والمعارف والأحوال المشهورة، شيخُ الحنابلة، ولد بجيلان سنة ٤٩٠ هـ أو سنة ٤٩١ هـ<sup>(١)</sup>.

(٣٣) - العلامة المؤرخ عبد الرزاق البيطار (المتوفى: ١٣٣٥ هـ):

الباز الأشهب، والطراز المذهب... الغوث الأعظم، سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره الأقوم<sup>(٢)</sup>.

(٣٤) - الشيخ أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألويسي (المتوفى: ١٣٤٢ هـ):

القطب الرباني، سيدي عبد القادر الجيلاني، قدس الله تعالى سره<sup>(٣)</sup>.

(٣٥) - مسند الدنيا الإمام المحدث أبو الفيض محمد ياسين الفاداني المكي (المتوفى: ١٤١٠ هـ):

قطب الأقطاب الغوث الأعظم أبو محمد عبد القادر الجيلاني (قدس سره العزيز)<sup>(٤)</sup>.  
صحبه للشيخ حماد الدباس<sup>(٥)</sup>:

---

(١) «التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول» للبهوبالي (١/١٥٥) طبع ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر.

(٢) «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» لعبد الرزاق البيطار (١/٤٠٢، ٥٨٠) طبع دار صادر - بيروت.

(٣) «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» للألويسي (٧/١١٣) طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤) «العجالة في الأحاديث المسلسلة» للفاداني (ص ١١٣) طبع دار البصائر - دمشق.

للشيخ عبد القادر الجيلاني شيوخ كثير، من أهمهم: الإمام الغزالي، التقى به، وتأثر به حتى إنه ألف كتابه «الغنية لطالبي طريق الحق» على طريقة كتاب «إحياء علوم الدين». هتف هاتف بالفتى الجيلاني ذات ليلة: يا عبد القادر؛ ادخل إلى بغداد، فدخل، وكانت ليلة مطيرة باردة، فجاء إلى زاوية الشيخ حماد الدباس، فقال الشيخ: أغلقوا باب الزاوية، وأطفئوا الضوء، فجلس الشيخ عبد القادر على الباب، فألقى الله عليه النوم، فلما كان عند الصباح فتح الباب، فدخل الشيخ عبد القادر، فقام إليه الشيخ حماد، فاعتنقه وضمه إليه وبكى وقال: يا ولدي عبد القادر؛ الدولة اليوم لنا وغداً لك، فإذا وليت فاعدل بهذه الشيبة.

ومرةً جلس مولانا الجيلاني بين يدي شيخه الدباس متأدباً ثم قام. فقال الشيخ حماد بعد قيام الشيخ عبد القادر: لهذا العجمي قدمٌ تعلق في وقتها على رقاب الأولياء في ذلك الوقت، وليؤمننَّ أن يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، ولتوضعن له رقاب الأولياء في زمانه.

ثم عرفه بعد ذلك وكشف له جميع ما يشكل عليه، يقول مولانا الجيلاني: وكان إذا غبتُ عنه لطلب العلم وجئت يقول: إيش جاء بك إلينا؟! أنت فقيه، مرَّ إلى الفقهاء. (وأنا أسكت)، فلما كان يوم الجمعة خرجت مع الجماعة في شدة البرد، فدفعتني فألقاني في

---

(١) حماد بن مسلم الدباس، من الدبس، أصله من الشام، أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق، انتهت إليه تربية المريدين، وانعقد عليه الإجماع في الكشف عن مخفيات الموارد، وانتمى إليه معظم مشايخ بغداد، ومن كلامه: (القلوب ثلاثة: قلبٌ يطوف في الدنيا، وقلبٌ يطوف في الآخرة، وقلبٌ يطوف بالمولى)، ويقول: (طهر قلبك باليقين لتجري فيه الأقدار)، ويقول: أقرب الطرق إلى الله تعالى حبه، ولا يصفو حبه حتى يبقى المحب روحًا بلا نفس، وما دام له نفس لا يدوق محبة الله تعالى أبداً، ت (٥٢٥هـ) قيل: دفن ببغداد، وقيل: بدمشق.

الماء، فقلت: غسل الجمعة بسم الله، وكان عليّ جبة من صوف، وفي كمي أجزاء، فرفعت كمي لئلا تهلك الأجزاء، وخلّوني ومشوا، فعصرت الجبة وتبعتهم، وتأذيت بالبرد كثيرًا، وكان يؤذيني ويضربني، وإذا جئت يقول: جاءنا اليوم الخبز الكثير والفالودج، وأكلنا وما خبأنا لك؛ وحشة عليك. فطمع في أصحابه وقالوا: أنت فقيه، إيش تعمل معنا؟! فلما رأهم يؤذونني غار لي. وقال: يا كلاب لم تؤذونه؟ والله ما فيكم مثله، وإنما أؤذيه لأمتحنه فأراه جبلاً لا يتحرك.

ومات الشيخ حماد الدباس سنة (٥٢٥هـ) وزاره مولانا الجيلاني، فرأى عليه تاجًا وأسورة ونعلان من ذهب، لكن يده معطلة، فسأله؟ فقال: هذه اليد التي رميتك بها في النهر، فهل أنت غافري؟ فقال: نعم، فسأل الله أن يردها إليه، فأمن خمسة آلاف من أولياء الله في قبورهم وسألوا الله له أن يقبل شفاعته. فما زال يسأل الله حتى رد عليه يده وصافحه بها وتم سروره. وأخبر أصحابه بالقصة فاشتهرت ببغداد، وجاء أصحاب الشيخ حماد الدباس يطالبون الإمام الجيلاني بتحقيق ما قال في الشيخ حماد الدباس، فقال لهم: اختاروا شيخين يذكرون صدق ما قلت، فقالوا: نختار الشيخ يوسف الهمداني والشيخ عبد الرحمن بن شعيب الكردي، وكانا في بغداد، فأملهوه أسبوعًا فقال: بل الآن، لا تقومون حتى يتحقق لكم الأمر، فأطرق الإمام وأطرقوا، وإذا بصائح من خارج مدرسة الشيخ؛ وإذا هو الشيخ يوسف جاء حافيًا يشد في عدوه حتى دخل المدرسة وقال: أشهد في الله عز وجل الساعة رأيت الشيخ حمادًا وقال لي: يا يوسف أسرع إلى مدرسة الشيخ عبد القادر وقل للمشايع الذين فيها: صدق الشيخ عبد القادر فيما

أخبركم به عني، فلم يتم كلامه إلا وجاء الشيخ عبد الرحمن وقال مثل قول الشيخ يوسف، فقام المشايخ يطلبون العفو من الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وأرضاه.

مجاهداته رضي الله عنه:

\*يقول: مكثت خمسًا وعشرين سنة متجرّدًا سائحًا في براري العراق وخرابه (أي:

بقي في الخلوة هذه المدة). أطول خلوة مع الله تعالى.

\*وبقي أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء رضي الله عنه، وخمس عشرة سنة

يصلي العشاء ثم يستفتح القرآن وهو واقف على رجل واحدة ويده في وتد مضروب في

حائطٍ خوف النوم، حتى ينتهي إلى آخر القرآن عند السحر رضي الله عنه.

\*وكان يلقي سيدنا الخضر عليه الصلاة والسلام، ويأمره أن يأكل معه، حتى دخل

بغداد، يقول: بقيت في صحارى العراق خمسًا وعشرين سنة لا أعرف الخلق ولا

يعرفونني، تأتيني طوائف من رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله عزّ وجلّ،

ورافقني الخضر عليه السلام في أول دخولي إلى العراق، وما كنت عرفته من قبل، وشرط

علي ألا أخافه، ويأتيني رجل في رأس كل سنة بجبة صوف ألبسها، ودخلت في ألف فن

حتى أستريح من دنياكم، وكنت أمشي حافيًا في الشوك وغيره، وتَرِدُ عليّ الأثقال التي لو

وضعت على الجبال تفسخت، فأضع جنبي على الأرض وأقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ \*

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] ثم أرفع رأسي وقد انفرجت عني.

\*يقول الجبائي: قال لي الشيخ عبد القادر: كنت أؤمر وأُنهى في النوم واليقظة، وكان

يغلب علي الكلام، ويزدحم على قلبي إن لم أتكلم به، حتى أكاد أختنق ولا أقدر أن

أسكت، رضي الله عنه.

من اتقى الله فذاك الذي يفوز بالخيرات يوم الحساب  
ويأمن الهول إذا بعثت قبورٌ من أودع تحت التراب

\*وقال: كنت في الصحراء أكرر في الفقه<sup>(١)</sup> وأنا في فاقة. فقال لي قائل لم أر شخصه:  
اقترض ما تستعين به على طلب الفقه. فقلت: كيف أقترض وأنا فقير ولا وفاء لي؟! قال:  
اقترض وعلينا الوفاء، فأتيت بقالاً فقلت: تعاملني بشرط: إذا سهل الله أعطيتك، وإن  
مُتُّ تجعلني في حلٍّ، تعطيني كل يوم رغيفاً ورشاداً<sup>(٢)</sup>؟ فبكى وقال: أنا بحكمك، فأخذت  
منه مدة، فضاقت صدري - فأظن أنه قال - : فقيل لي: امضِ إلى موضع كذا، فأبى شيء  
رأيت على الدكة فخذته وادفعه إلى البقال، فلما جئت رأيت قطعة ذهب كبيرة فأعطيها  
البقالي.

\*يقول: لحقني الجنون مرة، وحملت إلى المارستان، فطرقني الأحوال حتى حسبوا أنني  
مُتُّ، وجاءوا بالكفن، وجعلوني على المغتسل، ثم سُري عني وقمت، ثم وقع في نفسي أن  
أخرج من بغداد لكثرة الفتن، فخرجت إلى باب الحلبة، فقال له قائل: إلى أين تمشي؟  
ودفعه دفعة فرَّ منها، وقال: ارجع فإن للناس فيك منفعة، فقلت: أريد سلامة ديني، قال:  
لك ذلك.

---

(١) كان يدرس الفقه في خلوته مع الذكر، حتى صار إماماً في الفقه لا يبارى.

(٢) حَبَّ الرشاد ينمو على أطراف الأنهار والبحيرات، من فصيلة الكرنب والفجل، طعمها لاذع،  
يستخدمونه لإعداد السلطة والشوربات، يستعمل لعلاج السعلة ونقص فيتامين C، فيه فيتامينات  
وكالسيوم وحديد ومغنيسيوم وفوسفور ومنغنيز وبوتاسيوم وصيديوم.

\* يقول أحد تلامذته: كنت أدخل على الشيخ عبد القادر في وسط الشتاء وقوة برده وعليه قميص واحد، وعلى رأسه طاقية، وحوله من يروحه بالمروحة، والعرق يخرج من جسده كما يكون في شدة الحر.

\* يقول: طالبتي نفسي يوماً بشهوة، فكنت أضاجرها، وأدخل في درب وأخرج من آخر أطلب الصحراء، فرأيت رقعة ملقاة فإذا فيها: ما للأقوياء والشهوات؟! وإنما خلقت الشهوات للضعفاء، فخرجت الشهوة من قلبي.

\* ينقل موسى بن الشيخ عبد القادر عن والده قوله: كنت أقتات الخرنوب والشوك وقامة البقل وورق الخس من جانب النهر والشط، وبلغت بي الضائقة في غلاء نزل بغداد إلى أن بقيت أياماً لم أكل فيها طعاماً، بل كنت أتبع المنبذات أطعمها، فخرجت يوماً من شدة الجوع إلى مسجد ببغداد فقعدت في جانب منه، وقد كدت أصافح الموت؛ إذ دخل شاب أعجمي ومعه خبز رصافي وشواء وجلس يأكل، فكان كلما رفع يده باللقمة أفتح فمي، فرآه الأعجمي فقال: بسم الله يا أخي، فأبيتُ، فأقسم عليه فأجابه، فأكل وهو يسأله: من أنت؟ وبمن تُعرف؟ فقال: أنا متفقه من جيلان، فقال: وأنا من جيلان، فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر يعرف بأبي عبد الله الصومعي الزاهد؟ فقلت: أنا هو، فاضطرب وتغير وجهه وقال: والله لقد وصلت إلى بغداد ومعى بقية نفقة لي، فسألت عنك فلم يرشدني أحد، ونفدت نفقتي، ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلا مما كان معي، وقد حلت لي الميتة، وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء، فكل طيباً فإنها هو لك، وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي!! فقلت له: وما ذاك؟ فقال: أمك وجهت



لك معي ثمانية دنانير، فاشتريت منها هذا وأنا معتذر إليك، قال: فسكنته وطيبت نفسه ودفعت إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب برسم النفقة، فقبله وانصرف.

### علم الإمام:

قدم الإمام رضي الله عنه بغداد سنة ٤٨٨ وعمره ١٨ سنة، وسارع في طلب فروع العلم وأصوله، وقصد الأشياخ الأئمة الأعلام، فاشتغل بالقرآن العظيم حتى أتقنه، وبالعلوم الشرعية حتى صار إماماً فيها، وقرأ الفقه الشافعي والحنبلي حتى أصبح إماماً فيهما.

وصحب العارف قدوة المحققين أبا الخير حماد بن مسلم الدباس، وأخذ عنه علم الطريق وتأدب به.

يقول جده سيدنا علي بن أبي طالب:

بقدر الجد تكتسب المعالي      ومن طلب العلا سهر الليالي  
تروم العز ثم تنام ليلاً      يغوص البحر من طلب اللآلي؟!  
أتزعم أن تنال بغير سقي      منالاً لا سبيل إلى المنال؟!  
فمن هجر الكرى وصل الأمانى      فذاك الهجر داعية الوصال  
حتى فاق أهل زمانه، ثم أظهره الله للخلق، فأوقع له القبول العظيم على الخاص والعام، والهيبة الوافرة عند العلماء.

قال الإمام محيي الدين بن عربي: وبلغني أن عبد القادر الجيلي كان عدلاً قطب وقته.

وأظهر الله الحِكم من قلبه على لسانه، وظهرت علامات قدرته من الله تعالى،  
وأمارات ولايته، وشواهد تخصيصه، مع قدم راسخة في المجاهدة.

وبنى مدرسته سنة ٥٢٨هـ، واجتمع بها من العلماء والفقهاء والصلحاء جماعة كثيرة  
ينتفعون بكلامه، وقصد إليه طلبة العلم من كل مكان، فحملوا عنه وسمعوا منه،  
وانتهت إليه تربية المريدين، فأصبح قطب الوقت حكماً وعلماً.

وصدق من قال: إذا أراد الله بقوم سعادةً سخر لهم سعيداً فسعدوا به.

وقوي بالاشتغال بالتدريس حتى نقلوا عنه<sup>(١)</sup> فقالوا: "كان يتكلم في ثلاثة عشر علماً،  
وكانوا يقرؤون عليه في مدرسته درساً من التفسير، ودرساً من الخلاف المذهبي، وكانت  
القراءة عليه طرفي النهار في التفسير وعلوم الحديث والمذهب والأصول والنحو، وكان  
يقرأ بالقراءات بعد الظهر، ويفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد ابن حنبل،  
وكانت فتواه تُعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب.

رفع إليه مرة سؤال: في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بد أن يعبد الله عز وجل  
عبادةً ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها، فماذا يفعل من العبادات؟! فأجاب  
على الفور:

يأتي مكة ويحلي له المطاف، ويطوف سبغاً وحده (سبعة أشواط) وتنحل يمينه.

فأعجب علماء العراق، وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها! حتى غدا إمام الحنابلة  
وشيخهم في عصره.

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني.

كان يبدأ درسه بختم القرآن كاملاً بين أصحابه، ثم يلقي درساً يفهمه مريدوه، وتزاحم عليه الناس حتى ضاقت عليه مدرسته، فخرج منها إلى سور بغداد، يستند إلى جدار مدرسته ليلقي درسه والناس بين يديه، فإذا دخل وقت الصلاة صلى بهم الفريضة إماماً، أتعرفون ماذا كان يفعل بعد الدرس كل ليلة؟ كان رضي الله عنه يأمر كل ليلة بمد البساط، ويأكل مع الأضياف، ويجالس الضعفاء، ويصبر على طلبة العلم، لا يظن جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، ويتفقد من غاب من أصحابه، ويسأل عن شأنهم، ويحفظ ودّهم، ويعفو عن سيئاتهم، ويصدق من حلف له، ويخفي علمه فيه<sup>(١)</sup>.

يحدثنا سيدنا عبد القادر فيقول: كانت تأتيني الإلهامات في المنام، كنت أوامر وأنها في النوم واليقظة، وكان يغلب عليّ الكلام ويزدحم على قلبي إن لم أتكلّم.

#### ألقابه:

سئل أمام جمع: ما سبب تسميتك محيي الدين؟ قال: رجعت من بعض سياحاتي مرة في يوم جمعة سنة ٥١١ هـ إلى بغداد حافياً، فمررت بشخص مريض متغير اللون نحيف البدن، فقال لي: السلام عليك يا عبد القادر. فرددت عليه السلام. فقال: أدن مني. فدنوت منه. فقال: أتعرفني؟ فقلت: لا. قال: أنا الدين، وكنتُ اندثرت كما رأيت، وقد أحياني الله تعالى بك، وأنت محيي الدين، فتركته وانصرفت إلى الجامع، فلقيني رجل ووضع لي نعلاً وقال: يا سيدي محيي الدين، فلما قضيت الصلاة هرع الناس إليّ يقبلون يدي ويقولون: يا محيي الدين.. وما دُعيتُ به من قبل! رضي الله عنه.

---

(١) «قلائد الجواهر».

رأى أحد تلامذته في منامه الشيخ في مكان عظيم السعة، وفيه مشايخ البر والبحر، والشيخ في صدرهم، ومن المشايخ من على رأسه عمامة فحسب، ومنهم من فوق عمامته طرحة، ومنهم من فوق عمامته طرحتان، وفوق عمامة الشيخ ثلاث طرحات، فبقي في النوم مفكرًا في تلك الطرحات الثلاث: ما هن؟ واستيقظ مفكرًا، وإذا بالشيخ فوق رأسه فقال: يا خضر طرحة تشريف علم الشريعة، وطرحة تشريف علم الحقيقة، وطرحة الشرف (من آل البيت).

ووصف الشيخ بأوصاف عدّة: بذي البيان واللسانين، كريم الجدّين والطرفين، صاحب البرهانين والسلطانين، إمام الفريقين والطريقين.

التزامه الشريعة الغراء<sup>(١)</sup>:

\*يقول سيدي عبد القادر: كل ولي على قدم نبي، وأنا على قدم جدي صلى الله عليه وسلم، وما رفع المصطفى صلى الله عليه وسلم قدمًا إلا وضعتُ أنا قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه.

\*فاق أهل زمانه في علوم الدين، وكانت له القدم الراسخة في التصوف، حتى عرفت طريقته بالقادرية. وسبب إقبال الناس عليه أن طريقته كانت سهلة على المسلم ومفهومة وتتفق مع روح الإسلام، حتى أشاد به علماء الأمة -منهم ابن كثير الدمشقي- لقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزهده وورعه وصلاحه ومكاشفاته، كما تأثر به ابن

---

(١) كل المستقيمين من السالكين المتقدمين والمتأخرين لا يسوغون للسالك -ولو طار في الهواء، أو مشى على الماء- أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يفعل المأمور ويدع المحذور إلى أن يموت.

تيمية - الذي كان يحمل على شطط الصوفية - وقال عن طريقته: إنها الطريقة الشرعية الصحيحة.

فما هذه الطريقة التي أشاد بها العلماء؟

أريدكم أن تعرفوا أن سيدنا الإمام الشيخ عبد القادر هو أول من نادى بالطرق الصوفية وأسسها، وكان يقول: إن التصوّف من الصفاء من أدران النفس الأتّارة بالسوء، وإنّه الصّدق مع الحق وحسن الخُلُق مع الخُلُق.

التصوف عنده: هو الأخلاق، ومن زاد عليك في الأخلاق فقد زاد عليك في التصوّف، والتصوفي يجب أن يكون في كلّ أحواله على ثلاثة أمور: أمر يمثله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به. فهذه الثلاثة يجب على الصوفي القادري أن ينطبع بها ليزهد في الدنيا ويفنى عنها.

يقول سيدنا الإمام الشعراني عنه: "كانت طريقته التوحيد وصفًا وحُكْمًا وحالًا، وتحقيقه الشرع ظاهرًا وباطنًا".

فلا ينبغي للمتصوف أن يخترع لنفسه عبادات وصلوات لم يكتبها الله تعالى عليه، يعني باختصار: التصوف عند سيدي جدي الإمام الشيخ عبد القادر أن يلتزم الصوفي الكتاب والسنة التزامًا حرفيًا، فكل حقيقة يتصف بها الصوفي لا تشهد لها الشريعة الغراء فهي زندقة.

واسمعوا إليه وهو يقول: "طُرِّ إلى الحق عزَّ وجلَّ بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، اجعله وزيرك ومعلمك، دع يده تزينك وتمشطك وتعرِّضك عليه".

- أخرجوا الدنيا من قلوبكم إلى أيديكم، فإنَّها لا تضركم. (اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا).

- الاسم الأعظم أن تقول: (الله) وليس في قلبك سواه.

- كونوا بوابين على باب قلوبكم، وأدخلوا ما يأمركم الله بإدخاله، وأخرجوا ما يأمركم الله بإخراجه، ولا تدخلوا الهوى قلوبكم؛ فتهلكوا.

- لا تظلموا أحداً ولو بسوء ظنكم، فإنَّ ربكم لا يجاوز ظلم ظالم.

- كلما جاهدت النفس وقتلتها بالطاعات؛ حييت، وكلما أكرمتها ولم تنهها في مرضاة الله؛ ماتت، قال: وهذا معنى حديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

ويقول: "اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تخالفوا"<sup>(١)</sup>.

ويقول منكرًا على من يعتقد أنَّ التكاليف الشرعية تسقط عن السالك في حال من الأحوال: "ترك العبادات المفروضات زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال"<sup>(٢)</sup>.

وفي كتاب «فتوح الغيب»: احفظ أبدًا أمره، وانته أبدًا عن نهيه، وسلِّم إليه أبدًا مقدوره، ولا تشركه بشيء من خلقه، وإرادتك وهواك وشهوتك خلقه، فلا تُرد ولا تمهوَ ولا تشته؛ لئلا يكون شركًا، ليس الشرك عبادتك الأصنام فحسب، بل هو أيضًا متابعتك هواك، وأن تختار مع ربك شيئًا سواه من الدنيا وما فيها... فإذا ركنت إلى غيره؛ فقد

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني (ص ١٢٩).

(٢) «الفتح الرباني» (ص ١١).

أشركت به غيره.. فالعبادة في مخالفتك نفسك وهواك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

سيدنا أبو يزيد البسطامي رأى رب العزة في المنام، فقال له: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال، قال أبو يزيد: فانسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها.

ومنها أبيات قالها، سُمِّي بها البازَ الأشهب، وهي قصيدة فيها هذه الأبيات:

أنا بلبل الأفراح أملاً دوحها	طرباً وفي العلياء بازُ أشهب
أضحت جيوش الحب تحت مشيئتي	طوعاً ومهما رُمْتُه لا يعزب
لا زلت أرتع في ميادين الرضا	حتى وُهبت مكانةً لا توهب
أضحى الزمان كحُلَّةٍ مرقومة	تزهو ونحن لها الطراز المذهب
أفَلت شموسُ الأولينَ وشمسنا	أبدًا على فلك العلا لا تغرب

طريقته القادرية:

ينبغي أن تحفظوا الوصايا السبع التي كانت تقوم عليها الطريقة القادرية:

١- مجاهدة النفس عن هواها.

٢- التوكل على الله.

٣- حسن الخُلُق مع الناس.

٤- الذكر لله تعالى.

٥- الصبر على قضائه.

٦- الرضا بقدره.

٧- الصدق في كل أمره.

وأنا أسأل: أليست هذه الوصايا السبع من عيون الشريعة الغراء؟ أليس هذا هو مقام السالكين إلى الله؟ إن سيدنا الشيخ عبد القادر يريد من المريد عنده أن يكون عبد الأمر الإلهي، وليس عبد هواه، يريد ما يريده الله تعالى، لا ما تريده نفسه الأمارة بالسوء، هذا هو عين التوحيد؛ لذا كان رضي الله عنه يقول لمريده: الخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك، ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك.

والورد الأعظم الذي يقرؤه القادرية يومياً هو:

٧٠ مرة أستغفر الله.

٣١٣ مرة الصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي صيغة.

١٦٦ مرة لا إله إلا الله.

وقد أجزتُ بالطريقة القادرية وبقراءة هذا الورد كل من قرأ رسالتي هذه عن الجد

رضي الله عنه وأرضاه بالسند المتصل إليه.

سند طريقته الصوفية:

أخذ الشيخ عبد القادر رضي الله عنه الطريق عن شيخه وأستاذه أبي سعيد علي

المخرمي، عن الشيخ يوسف الطرطوسي، عن شيخه علي بن محمد بن يوسف القرشي

الهكاري، عن شيخه عبد الواحد التميمي، عن شيخه عبد العزيز اليميني، عن شيخه أبي



بكر الشبليّ، عن شيخه شيخ الصوفيّة علماً وعملاً الجنيد البغداديّ، عن شيخه سري السَّقَطِيّ، عن شيخه وخاله معروف الكَرْخِيّ، عن شيخه أبي سليمان داود بن نصر الطائيّ، عن شيخه السيد الإمام علي الرضا، عن أبيه السيد الإمام موسى الكاظم، عن أبيه السيد الإمام جعفر الصادق، عن أبيه السيد الإمام محمّد الباقر، عن أبيه السيد الإمام عليّ زين العابدين، عن أبيه السيد الإمام الشهيد الحسين، عن أبيه أمير المؤمنين الإمام عليّ كرم الله وجهه ورضي الله عنهم أجمعين، وهو مجازٌ من سيّد المرسلين وخاتم النبيّين ورسول ربّ العالمين سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم.

شروط الشيخ المرشد عنده:

قال الإمام الشيخ عبد القادر الجيلانيّ في القصيدة العينية:

وإن ساعدَ المقدورُ أو ساقَكَ القضا	إلى شيخٍ في الحقيقة بارع
فقم في رضاه واتبع مراده	ودع كلَّ ما من قبل كنت تسارع
ولا تعترض فيما جهلت من امره	عليه فإنَّ الاعتراض تنازع
ففي قصّة الخضر الكريم كفايةٌ	بقتلِ غلامٍ والكليم يُدافع
فلما أضاء الصبحُ عن ليل سرّه	وسلَّ حُسامًا للغياهب قاطع
أقام له العذرَ الكليمُ وإنّه	كذلك علمُ القوم فيه بدائع

لقد أسس الإمام الجيلانيّ طريقته وفق الكتاب والسنة، ووضع لها ضوابط شرعية حتى لا يكثر الشطط والنقصان والتغيير والابتداع ويدّعي المشيخة من يقدرُ ومن لا

يقدر، ومَن يعلم ومَن لا يعلم، فوضع الشيخُ ضوابطَ وشروطًا ينبغي أن تتوفرَ بالشيخ المرشد الذي يتصدَّر للإرشاد.

وهذه الشروط هي:

إذا لم يكن للشيخ خمسُ فوائد وإلاَّ فدجالٌ يقود إلى جهل  
عليه بأحكام الشريعة ظاهرًا ويبحثُ عن علم الحقيقة عن أصل  
ويظهر للورادِ بالبشر والقوى ويخضعُ للمسكين بالقول والفعل  
فهذا هو الشيخ المعظم قدره عليه بأحكام الحرام من الحلِّ  
يُهدبُ طلابَ الطريق ونفسه مهذبٌ من قبلِ ذو كرمٍ كُلِّ

لقد بيَّن الإمام الشيخ في هذه الآيات بعض شروط الشيخ المربي، وهي خمس، فإن لم تتوفر فيه، فليس لديه الأهلية للإرشاد، وهذه الشروط هي:

أن يكون عالمًا بأحكام الشريعة والدين، عالمًا بالحلال والحرام، عالمًا بحدود الشرع، وعالمًا بالسنة النبوية، وعالمًا بما عُلم من الدين بالضرورة، وهذا معنى قول الشيخ:

عليه بأحكام الشريعة ظاهرًا ... ..

أن يكون عالمًا بعلم الحقيقة والطريقة، وعالمًا بأحوال القلوب والنفوس وطرق تزكيتها، وخبيرًا بأحوال السالكين وتدرجهم في الطريق إلى الله.

ويكون قد أخذ هذا العلم من شيخٍ مرشدٍ كاملٍ عبر سننٍ متصلٍ إلى رسول الله، وهذا

معنى قول الشيخ:

... .. ويبحثُ عن علم الحقيقة عن أصل

أن يكون كريماً سخياً مع ضيوفه، والسخاء من صفات ربِّ العالمين، ومن خُلِقَ الرسول الكريم والصالحين، فلا يليق بالمرشد أن يكون بخيلاً؛ كما جاء في الحديث: «ما جُبِلَ وليُّ الله إلا على السخاء وحسن الخلق»، فيكرم ضيوفه ورؤاد زاويته دون التقصير بحق ضيافتهم، وأن تدوم البسمة على وجهه.

وأن يكون رحب الصدر وهذا معنى قول الشيخ (ويظهر للوراد بالبشر والقرى).

أن يكون متواضعاً للمؤمنين يخضع لهم بالقول والفعل، وهذه الخصلة هي من خصال النبي حيث أمره الله فقال له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وكان الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني معروفاً بتواضعه للفقراء، وكان يجلس معهم ويطاعهم، ويتجنب مجالسة الأغنياء والكبراء والأمراء والوزراء إلا إذا أراد نصحاً لهم، وهذا معنى قول الشيخ:

... .. ويخضعُ للمسكين بالقول والفعل

أن يكون ناجحاً في تربية المريدين وتزكية نفوسهم، ولن يكون له هذا إلا إذا كان قد زكى نفسه قبل ذلك على يد شيخٍ خبيرٍ بارع، وأن يكون قد أُذِنَ له بالإرشاد والمشیخة من قبل شيخه وفق سندٍ متصلٍ، وهذا معنى قول الشيخ:

يَهْدُبُ طَلَابَ الطَّرِيقِ وَنَفْسَهُ مَهْدَبَةً مِنْ قَبْلِ ذُو كَرَمٍ كُلِّي

ويتنشر أتباع المدرسة التربوية القادرية في كثيرٍ من البلاد أشهرها سوريا وتركيا والعراق والمغرب والجزائر وموريتانيا والسنغال وفلسطين ولبنان وموزمبيق والكاميرون ونيجيريا والصين وفرنسا وبلجيكا والاتحاد السوفيتي وغانا وإيران والجزائر والسودان والنيجر ومالي وغينيا وتشاد وأفغانستان وباكستان والصومال وأندونيسيا ويوغسلافيا ومصر وتونس وماليزيا وأرتيريا.

مجلسه:

\*كان إذا مرّ على الجامع يوم الجمعة وقف الناس في الأسواق يسألون الله تعالى به حوائجهم.

\*يقول أولاده وتلامذته: إذا صعد الكرسي فقال: الحمد لله، أنصت له كل ولي في الأرض، سواء كان حاضرًا مجلسه أو غائبًا عنه، وكذلك يكررها (الحمد لله) ويسكت بعدها، وإن الأولياء ليزدحمون في مجلسه، وإن من لا يرى فيه أكثر ممن يرى، وإن الرحمة لتصب على الحاضرين صبًّا. وهكذا مجلس تحضره الملائكة، وتنزل عليه السكينة، كما وردت به الأحاديث الشريفة.

\*يقول أبو سعد القيلوي من أصحابه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم في مجلس الشيخ عبد القادر غير مرّة، وإن أرواح الأنبياء لتجول في السماوات والأرض جولان الرياح في الأفاق، ورأيت الملائكة عليهم السلام

يحضرون طوائف بعد طوائف<sup>(١)</sup>، ورأيت رجال الغيب والجان يتسابقون إلى مجلسه، ورأيت أبا العباس الخضر يكثر من حضوره، فسألته فقال: من أراد الفلاح فعليه ملازمة هذا المجلس.

\*وكان درسه يعقد ثلاث مرات في الأسبوع، ويحضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم.

ومدة كلامه على الناس أربعون سنة. وبقي يتصدّر الفتوى بمدرسته ٣٣ سنة، وكان له مقرئان. وكان يجلس عنده رجلان وثلاثة في الدرس، ثم تسامع الناس وازدحم عليه الخلق حتى صار يحضر مجلسه نحو سبعين ألفاً.

\*يقول مولانا الجيلاني: أراد الله مني منفعة الخلق، فأسلم على يدي أكثر من ٥٠٠ من اليهود والنصارى، وتاب على يدي أكثر من مئة ألف.

فلم يكن مجلس من مجالسه يخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى، ولا ممن يتوب عن قطع الطريق وقتل النفس وغير ذلك، ولا ممن يرجع معتقداً شيئاً من خارج أهل السنة وغيرهم.

\*أتاه راهب وأسلم على يديه في المجلس، ثم قال للناس: إني رجل من أهل اليمن، وإن الإسلام وقع في نفسي، وقوي عزمي على أن لا أسلم إلا على خير أهل اليمن في ظني، وجلست مفكراً، فغلب علي النوم فرأيت عيسى ابن مريم عليه السلام وهو يقول

---

(١) الإمام السيوطي له رسالة سماها (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك) ساق فيها الأدلة والبراهين على جواز ذلك يقظة، وابن حجر الهيتمي يقول: أنكر ذلك جماعة، وجوزه آخرون وهو الحق، فقد أخبر بذلك من لا يؤتّم من الصالحين.

لي: يا سنان اذهب إلى بغداد وأسلم على يد الشيخ عبد القادر الجيلي؛ فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت.

\*وأناه مرة أخرى ثلاثة عشر رجلاً من النصارى وأسلموا على يده في مجلس وعظه، ثم قالوا: نحن من نصارى المغرب، وأردنا الإسلام وترددنا فيمن نقصده لنسلم على يده، فهتف بنا هاتف نسمع صوته ولا نرى شخصه يقول: أيها الركب ذوو الفلاح اتتو إلى بغداد، وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر؛ فإنه يوضع في قلوبكم من الإيمان عنده ببركته ما لم يوضع فيها عند غيره من سائر الناس.

\*يقول أحد العارفين بالله أبو القاسم محمد الجهني: كنت أجلس تحت كرسي الشيخ، وكان له نقباء يجلسون على كرسي، على كل مرقة منهم اثنان، وكان يجلس تحت كرسيه رجال كأنهم أسود هيبية، ولقد استغرق مرة في كلامه على كرسي حتى انحلت طية من عمامته وهو لا يدري، فألقى الحاضرون جميعهم عمامتهم وطواقيمهم تحت كرسيه، فلما فرغ من كلامه ذلك أصلح عمامته وقال لي: يا أبا القاسم ردّ على الناس عمامتهم وطواقيمهم. ففعلت وبقيت معي عصابة لا أدري لمن هي؟ ولا بقي أحد في المجلس. فقال لي الشيخ: أعطيتها، فأعطيتها إياها فجعلها على كتفه؛ فإذا هي ليست عليه. فهتتُ لذلك. فلما نزل الشيخ توكأ على كتفي وقال: يا أبا القاسم لما وضع أهل المجلس عمامتهم وضعت أختُ لنا بأصبهان عصابتها، فلما رددت على الناس ما لهم وجعلتها على كتفي؛ مدت يدها من أصبهان وأخذتها رضي الله عنه.

\*وكان يقول في درسه: وعزة العزيز ما تكلمت حتى قيل لي: بحقي عليك تكلم، فقد أمتك من الرد. ويقال لي: يا عبد القادر تكلم يُسمع منك. وكان له صيت وصوت،

وسمت وصمت، ولقد عطس في الجامع يوم الجمعة فشمتته الناس حتى سُمِعَتْ في الجامع ضجة عظيمة يقولون: يرحمك الله ويرحم بك، وكان الخليفة المستنجد في مقصورة في الجامع فقال: ما هذه الضجة؟ فقيل له: قد عطس الشيخ عبد القادر، فشمتته الناس. فهاله ذلك!!

من أقواله رضي الله عنه:

أعذب مورد وردته عطاش العقول مورد الذكر والتوحيد.  
نهاية الولي بداية النبي.

الولاية لمن ولي الله حديثه على طريق الإلهام فأوصله إليه.  
الكلام للأنبياء والحديث للأولياء، ومن ردّ الكلام كفر؛ لأنه ردّ على الله عزّ وجلّ  
كلامه ووحيه وروحه، ومن ردّ الحديث لم يكفر، بل يخيب ويصير وبالأعلى عليه.

أخلاقه رضي الله عنه:

يقول تلامذته: كانت الأوقات التي جالسنا فيها الشيخ عبد القادر كأنها المنام، فلما استيقظنا فقدناها.

كانت أخلاقه رضية، وأوصافه زكية، ونفسه أبيضّة، وكفه سخية، وكان يأمر كل ليلة بمد السباط، ويأكل مع الأضياف، ويجالس الضعفاء، ويعود المرضى، ويصبر على طلب العلم، لا يظن جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، ويتفقد من غاب من أصحابه، ويسأل عن شؤونهم ويحفظ ودّهم ويعفو عن سيئاتهم، ويصدّق من حلف ويخفي علمه فيه، وما رأيت أشدّ حياءً منه.

الحمد لله أني في جوار فتى حامي الحقيقة نفاع وضرار

لا يرفع الطرف إلا عند مكرمة من الحياء ولا يغضي على عار  
كان عطوفاً رؤوفاً شفوفاً، يكرم جلسيه ويباسطه، إذا رآه مغموماً أزال غمه، وما  
رأيت أنزه لساناً ولا أظهر لفظاً منه.

سريع الدمعة، شديد الخشية، كثير الهيبة، مجاب الدعوة، كريم الأخلاق، طيب  
الأعراق، أبعاد الناس عن الفحش، أقرب الناس إلى الحق، شديد البأس إذا انتهكت  
محارم الله عزَّ وجلَّ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لغير ربه، ولا يرد سائله ولو بأحد ثوبيه،  
كان التوفيق رائده، والتأييد معاضده، والعلم مهذبته، والقرب مؤدبه، والمحاضرة كنزه،  
والمعرفة حرزه، والصدق رايته، والحلم صناعته، والذكر والفكر سميره، والمكاشفة  
غذائه، والمشاهدة شفاءه، وآداب الشريعة ظاهره، وأوصاف الحقيقة سرائره، رضي الله  
عنه.

إن الشريف إذا ترونق شيمه قرشيه قامت بها الأعراق  
وأراد باغٍ قطع نسبة عزه شهدت له الأطوار والأخلاق  
يقول رضي الله عنه: فتشت الأعمال كلها، فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام،  
أود لو أن الدنيا بيدي فأطعمها الجياع، كفي مثقوبة لا تضبط شيئاً، لو جاءني ألف دينار لم  
أبيتها (كما يقال: اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب).

يقول أحمد بن مطيع الباجسراي<sup>(١)</sup>: كنت أجيء من مدرسة الوزير ابن هبيرة من باب  
البصرة إلى الشيخ عبد القادر، فجئت في بعض الأيام وهو ضجران، فانتهرني وقال: قم<sup>(٢)</sup>،

---

(١) طالب علم، جاء ليقراً على مولانا الجيلاني.



فمضيت، فبينما أنا في بعض الطريق أنفدَ خلفي<sup>(١)</sup>. فجئت فقال: لما حردتُ عليك ومشيت؛ نمتُ فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أنت معلم الخير لا تضجر. أنت معلم الخير لا تضجر. أنت معلم الخير لا تضجر. ثلاث مرات. قال: ثم أخذ علي وأقرأني:

عبدك فوق المعالي رتبة وله المحاسن والفخار الأوفر

وله الحقائق والطرائق في الهدى وله المعارف كالكواكب تزهري

وله الفضائل والمكارم والندى وله المناقب في المحافل تنشر

وله التقدم والمعالي في العلا وله المراتب في النهاية تكثر

غوث الورى غيث الندى نور الهدى بدر الدجى شمس الضحى بل أنور

قَطَعَ العلوم مع العقول فأصبحت أطوارها من دونه تتحير

ما في علاه مقالة لمخالف فمسائل الإجماع فيه تُسَطَّر

من كراماته رضي الله عنه:

\*-يقول الإمام العزّ بن عبد السلام: ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ

عبد القادر.

---

(١) أي: قم فاذهب.

(٢) أي: بعث أحدًا يأتي بي.

\*-يقول ولده عبد الوهّاب: ما من شهر إلا ويأتي إليه قبل أن يهْلَ بهيئة إنسان، فإن كان قدّر الله تعالى سوءًا وشدّة؛ جاء في صورة منكّرة، وإن كان قد قدر الله فيه نعمة أو خيرًا وبركة وسلامة؛ جاء في صورة جميلة.

\*-يقول سيدي عبد القادر: الإنس لهم مشايخ، والجن لهم مشايخ، والملائكة لهم مشايخ، وأنا شيخ الكل، رضي الله عنه.

\*-ويقول بيني وبينكم وبين الخلق كلهم بُعد ما بين السماء والأرض، لا تقيسوني بأحد، ولا تقيسوا عليّ أحدًا.

\*-يقول: يا أهل الأرض شرقًا وغربًا، يا أهل السماء؛ قال الله تعالى: ﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] أنا مما لا تعلمون. يا غلام سافر ألف عام لتسمع مني كلمة (رضي الله عنه).

\*وفي مجلس فيه عشرة آلاف رجل كان الإمام على كرسيه والشيخ علي بن الهيتي جالسًا تجاه الشيخ، فأخذته سنة (نام) فقال سيدنا عبد القادر للناس: اسكتوا، فسكتوا حتى يقول القائل: إنه لا يسمع منهم إلا أنفاسهم. ثم نزل من على كرسيه ووقف بين يدي الشيخ علي متأدبًا، وجعل يحدّق إليه، ثم استيقظ الشيخ علي بن الهيتي فقال له الشيخ: رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم في المنام؟ فقال: نعم. قال: من أجله تأدبت. قال: فما أوصاك؟ قال: بملازمتك (رضي الله عنه).

وسئل الشيخ علي عن معنى قول سيدي عبد القادر: من أجله تأدبت. قال: الذي رأيته في المنام رآه هو في اليقظة. فهات في المجلس سبعة رجال وغشي على الآخرين.

\*عندما قال عبارته: (قدمي هذه على رقبة كل ولي) كان في مجلسه خمسون شيخاً من عامة مشايخ العراق وفيه أولاده، فحين قالها مدَّ الحاضرون كلهم أعناقهم، ولم يبق ولي في الأرض إلا مدَّ عنقه منهم سيدي عدي بن مسافر، وسيدي أحمد الرفاعي، وسيدي أبو مدين الغوث، وسيدي حياة بن قيس الحراني رضي الله عنهم.

جاء رجل إلى سيدنا عدي بن مسافر سنة ٥٥٦، فسأله: من أين؟ قال: من بغداد من أصحاب الشيخ عبد القادر، فقال: بخ بخ ذلك قطب الأرض، وضعت ثلاث مئة ولي لله وسبع مئة غيبي - ما بين جالس في الأرض وماز في الهواء - أعناقهم له في وقت واحد حين قال: (قدمي هذه على رقبة كل ولي).

وزار الشيخ أحمد الرفاعي وذكر له ذلك فقال: صدق عدي. يعني أنه القطب الفرد، فلكل وقت فرد.

وأجاب سيدنا الرفاعي: على رقبتي، ومدَّ عنقه. فسئل فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. وكذا فعل سيدي عدي بن مسافر.

كراماته يسمو عن العد قدرها ومن أين رملُ البحر نحصيه بالعدد

\*قال السراج: روينا أنه جاء الشيخ أبو المظفر الحسن بن تميم بن أحمد البغدادي التاجر إلى الشيخ حماد الدباس رحمه الله تعالى في سنة ٥٢١ وقال: قد جهزت لي قافلة إلى الشام فيها بضاعة بسبع مائة دينار فقال: إن سافرت في هذه السنة قتلت وأخذ مالك، فخرج مغموماً، فوجد الشيخ عبد القادر وهو شاب يومئذ، فحكى له فقال: سافر تذهب سالماً وترجع غانماً والضمهان عليّ.

فسافر وباعها بألف دينار، ودخل في سقاية حلب لحاجة، فنسي الألف على رفّ فيها وأتى المنزل فنام، فرأى أن العرب قد انتهبت في قافلة وقتلوهم وضربه أحدهم بحربة فقتلته، فانتبه فزغاً فوجد أثر الدم في عنقه وأحس بالألم، وذكر الألف فقام مسرعاً فوجدها سالمة، ورجع إلى بغداد وقال: إن بدأت بالشيخ حماد فهو الأسنّ، والشيخ عبد القادر هو الذي صح كلامه، فلقي الشيخ حماداً في سوق السلطان فقال: ابدأ بعبد القادر فإنه محبوب، وقد سأل الله فيك سبع عشرة مرة حتى جعل ما قدر عليك من القتل يقظة مناماً، وما قدر من الفقر نسياناً، فجاء إلى الشيخ عبد القادر فابتدأه وقال: قال الشيخ حماد سبع عشرة مرة: وعزة المعبود لقد سألت الله سبعة عشر وسبعة عشر إلى سبعين حتى كان ما ذكره.

\*وقال الإمام الياضي: حكى أن سيدي عبد القادر طلب من بعض الناس وديعة كانت عنده لبعض الغائبين، فامتنع من تسليمها إليه وقال له: لو استفتيتك في مثل هذا ما أفيتتني بتسليمها إلى غير صاحبها، فلما كان بعد ذلك بزمن يسير جاء كتاب صاحبها إلى المودع المذكور وهو يقول: سلم الوديعة إلى الشيخ عبد القادر فقد صارت للفقراء، فسلمها إليه، فعتب عليه الشيخ وقال: تتهمني في مثل هذا؟! رضي الله عنه.

\*وقال الإمام الشعراي: من كراماته رضي الله عنه: أنه توضع يوماً فبال عليه عصفور، فرفع رأسه إليه وهو طائر فوق ميتاً، فغسل الثوب ثم باعه وتصدق بثمنه، وقال: هذا بهذا.

\*ولما اشتهر أمره في الآفاق اجتمع مئة فقيه من أذكيا بغداد يمتحنونه في العلم، فجمع كل واحد له مسائل وجاء إليهم، فلما استقر بهم الجلوس أطرق الشيخ، فظهرت

من صدره بارقة من نور فمرّت على صدور المئة فمحت ما في قلوبهم، فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم، ثم صعد الكرسي وأجاب الجميع عما كان عندهم فاعترفوا بفضله.

\*ومنها: أنه مرّ على مجلسه حدأة فصاحت فشوشت على الحاضرين، فقال: يا ريح خذي رأس هذه الحدأة، فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية، فنزل الشيخ عن الكرسي وأخذها بيده وأمرّ يده الأخرى عليها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فحييت وطارت.

\*ومنها: أنه مرّ به ثلاثة أحمال خمر للسلطان ومعها صاحب الشرطة، فقال لهم: قفوا، فأبوا، فقال للدواب: قفي، فوقفت، وأخذ من معها من الأعوان القولنج فضجوا وتابوا، فزال الألم وانقلب الخمر خلًّا، ففتحوها فإذا هي خل!

\*يقول أول من خدمه وهو الشيخ محمد الهراوي السائح:

كنت قائمًا بين يدي سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ببغداد سنة ٥٤٠هـ فبادرتني نخامة فبصقتها، ثم استحيت وقلت في نفسي: أبصق في مثل حضرة الشيخ عبد القادر؟! فقال: يا محمد لا بأس عليك، لا بصاق بعدها ولا نخام، قال: فلي منذ قالها: ثلاث وثمانون سنة ما بصقت ولا تنخمت.

وكان يسميني محمدًا الطويل، فقلت له يومًا: يا سيدي أنا قصير من الرجال. فقال لي: أنت طويل العمر طويل الأسفار، فعاش الشيخ محمد ١٣٧ سنة ورأى في سياحته عجائب وأرضين قاصية (بعيدة) ببركة كلام الشيخ.

\*وقال أحد تلامذته في نفسه: أريد أن أحصي كم يقص الشيخ عبد القادر شعر تائب؟ فحضرت المجلس ومعني خيط، كلما قص شعرًا عقدت عقدة في ثيابي من الخيط. وأنا في آخر الناس، وإذا به يقول: أنا أحلّ وأنت تعقد؟!\*

\*يقول الشيخ أبو الحسن بن نجا الواعظ: سبقت يوم العيد إلى المصلى، إلى المكان الذي يصلي فيه الشيخ عبد القادر ومعه خلق كثير، فأقبل والناس يقبلون يده، فصلى ركعتين قبل صلاة العيد. فقلت في نفسي: ما هذه الصلاة؟ فمن السنة ألا يتنقل قبلها. قال: فلما سلم التفت إلي وقال: لها سبب.

\*\*\*

بهذه الشفافية الشرعية وبهذه الروح النورانية وصل سيدنا عبد القادر الجيلاني إلى الولاية القطبية، وظهرت على يديه الكرامات التي قال عنها الفقيه الحنبلي ابن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠هـ): (لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر، ولا رأيت أحدًا يعظمه الناس للدين أكثر منه).

وتقدم معنا ما قاله عنه سيدنا العز بن عبد السلام الفقيه الشافعي: "ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر".

وقال سيدنا الإمام النووي في كتابه «بستان العارفين»: "ما علمنا - فيما بلغنا من الثقات الناقلين كرامات الأولياء - أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه،...".

\*\*\*

ومن كراماته رضي الله عنه أيضًا:

\*جلس جماعة يتحدثون أن الذباب لا يقع على سيدنا الشيخ عبد القادر، فأثاه واحد منهم يسلم على الشيخ في مجلسه، فالتفت إليه مولانا الشيخ عبد القادر وقال له: إيش يعمل عندي الذباب؟! لا دبس الدنيا عندي ولا غسل الآخرة.

\*وقال آخر: كنت وأنا شاب أقرأ النحو وأسمع الناس يصفون حسن كلام الشيخ عبد القادر، فكنت أريد أن أسمعها ولا يتسع وقتي، فاتفق أني حضرت يوماً مجلسه، فلما تكلم لم أستحسن كلامه، ولم أفهمه، وقلت في نفسي: ضاع اليوم مني، فالتفت إلى ناحيتي فقال: ويلك! تفضّل النحو على مجالس الذكر وتختار ذلك؟! أصحابنا نُصيرُك سبيويه (يعني: أن الله يفتح عليك ببركتنا).

\*وجاء حفيد الوزير ابن هبيرة إلى جدّه الوزير يستأذنه أن يزور مولانا الجيلاني، فأذن له وقال: خذ هذا المبلغ من الذهب وأعطه للشيخ، فلما نزل مولانا الجيلاني عن المنبر يوم الجمعة سلّم عليه حفيد الوزير، وتحرّج من دفع الذهب إليه أمام الناس، فقال: هات ما معك ولا عليك من الناس وسلّم لي على الوزير.

\*أمطرت السماء مرة وهو يعطي الدرس، فتفرق بعض أهل المجلس ليتقوا المطر، فرفع رأسه وقال: أنا أجمع عليك وأنت تفرق علي!! قال: فسكت المطر عن المجلس وبقي على حاله يقع خارج المدرسة ولا يقطر على المجلس قطرة واحدة. (إن الله رجلاً إذا أرادوا أراد).

\*كان أحد شيوخ الصوفية الكبار - وهو الشيخ عمر السهروردي<sup>(١)</sup> - يشتغل بعلم الكلام في شبابه، وكان عمه يزجره، فأتيا يوماً إلى الإمام سيدي عبد القادر، فشكا عمه للإمام ابن أخيه وأنه مشتغل بعلم الكلام. فنظر سيدنا عبد القادر إليه وسأله عن الكتب التي قرأها. (فلم تعجبه) قال: فمر بيده المباركة على صدر السهروردي، يقول: فوالله ما نزعها وأنا أحفظ من الكتب لفظة. وأنساني الله مسائلها، وأقرَّ الله في صدري العلم اللدني في الوقت العاجل، وقمت بين يديه وأنا أنطق بالحكمة، وقال لي: يا عمر أنت آخر المشهورين في العراق.

\*وقال رجل يدعى الجبائي: كنت أسمع كتاب «حلية الأولياء» على ابن ناصر، فرقَّ قلبي وقلت في نفسي: أشتهي أن أنقطع عن الخلق في زاوية وأشتغل بالعبادة، ومضيت واصلت خلف الشيخ عبد القادر، فلما صلي جلست بين يديه، فنظر إلي وقال: إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم، فحينئذ يصلح لك الانقطاع، وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه وأنت فُرِيخ ما رِيَّشْتَ، فإن أشكل عليك شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك وتسال الناس عن أمر دينك، ما أحسن صاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنورها!!

\*ودخل عليه الإمام علي الهيتي فوافاه فوق سطح مدرسته يصلي الضحى، فنظر إلى الفضاء فوجد أربعين صفًّا من الأولياء واقفين، في كل صف سبعون رجلاً، فقلت لهم:

---

(١) من أعلام التصوف في القرن السابع، ومؤسس الطريقة السهروردية، وصاحب كتاب «عوارف المعارف»، (ت ٦٣٢هـ)، وصفه الذهبي بـ: (الشيخ، الإمام، العالم، القدوة، الزاهد، العارف، المحدث، شيخ الإسلام، أوحد الصوفية) فهو انتهت إليه تربية المريدين.



ألا تجلسون؟ فقالوا: لا نجلس حتى يقضي القطب صلاته ويأذن لنا، فإن يده فوق أيدينا وقدمه على رقابنا، ولما سلّم الإمام أقبل القوم يسلمون عليه ويقبلون يديه.

يقول ابن الهيثمي: ما وجدتُ الإمام عبد القادر في مكان إلا وهو يقول: خرجت في بعض سياحتي إلى البرية ومكثت أيامًا لا أجد ماءً، فاشتدّ بي العطش؛ فإذا بغمامة تظللني وينزل علي منها شيء يشبه الندى حتى ترويت، ثم رأيت نورًا أضواء حولي، وبدت لي صورة ونوديت منها: يا عبد القادر أنا ربك، وقد حللت لك المحرمات. فقال سيدنا عبد القادر: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ فإذا بذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، وإذا هو إبليس، وإذا بإبليس يجيبه: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك، وبحفظ ربك، وصدقك في أحوال مُنازلاتك، ولقد أغويتُ بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، وسئل الإمام الجيلاني: بم عرفت أنه شيطان؟ فقال: بقوله: قد حللت لك المحرمات.

\*جاءه الوالي أبو المظفر وسلم عليه وقال: أريد أن أرى شيئًا من الكرامات ليطمئن قلبي. قال: وما تريد؟ قال: تفاحًا من الغيب، ولم يكن ذلك أوان التفاح بالعراق. فمدَّ يده في الهواء فإذا فيها تفاحتان. فأعطاه إحداهما، وقسم الشيخ التي بيده وإذا هي بيضاء تفوح منها رائحة المسك، وكسر المستنجدُ التي بيده فإذا فيها دودة. فقال: ما هذا؟ قال: يا أبا المظفر لمستّها يد الظلم فدوّدت!

\*دعاه أحدهم وقال: إن جدّك رسول الله يقول: (من دعني... فليُجب) وها أنا قد دعوتك إلى منزلي. فقال: إن أذن لي أجبت. ثم أطرق مليًا ثم قال: نعم، فركب بغلته، فلما أتى داره إذا فيها مشايخ بغداد وعلماءؤها وأعيانها، فمدَّ بساطًا فيه من كل حلو وحامض، وأتى بسلة كبيرة مختومة يحملها اثنان وضعت آخر السماط. فأشار الإمام بتقديم السلة

إليه فحملت وهي ثقيلة حتى وضعت بين يديه، فأمرهم بفتحها فإذا فيها ولد أكمه (أعمى) مقعد مجذوم مفلوج. فقال له الشيخ: قم بإذن الله. فقام معاقاً يعدو وهو يبصر ولا عاهة، فضج الحاضرون، وتكرر هذا منه رضي الله عنه.

وكانوا يقولون: أربعة هم الذين يبرئون الأكمه والأبرص؛ منهم سيدنا عبد القادر وسيدنا علي بن الهيثمي رضي الله عنه، وأربعة يتصرفون في قبورهم تصرف الأحياء: سيدنا عبد القادر، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ عقيل المنبجي، والشيخ حياة بن قيس الحراني رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

\*جاءت امرأة إليه ومعها ولدها وقالت: إني رأيت قلب ابني هذا شديد التعلق بك، وقد خرجتُ عن حقي فيه لله عزَّ وجلَّ ولك. فقبله الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك طريق السلف.

---

(١) الروح لا تفنى إن فنيَّ الجسد، والأولياء أحياءٌ في قبورهم كما الشهداء، ومكانة الولي لا تذهب إذا مات، جسده حيٌّ وروحه حيَّةٌ؛ لذا يتصرف بإذن الله تعالى، وهؤلاء المذكورون صرَّحوا في حياتهم أنهم يغيثون من استنجد بهم، وكلما ذكرت ذلك؛ رنَّ في أذني كلام والدي رحمه الله يوم أن حجَّ ماشياً من دمشق إلى مكة، وفي منتصف الطريق سلخت أسفل قدمه، فمشت القافلة وتركته على قارعة الطريق في صحراء ممتدة، وهنا نادى والدي: الغوث يا سيدي أحمد البدوي، ومَرَّت دقائق فجاء رجل على جملٍ وسأله: ماذا يفعل هنا؟ فأخبره، فقال: اصعد خلفي على الجمل، وساعده وحمله على جملة حتى وصل أطراف المدينة المنورة، ثم أنزله والتفت الوالد يريد أن يعطيه أجرة نقله؛ فقال الرجل: يا شيخ سهيل؛ مَنْ كان جده عبد القادر لا يستغيث بأحمد البدوي، وإذا هو سيدنا عبد القادر رضي الله عنه؛ لأنَّه اختفى بطرفة عين! هذه القصة قالها وكتبها بخطِّ يده مولانا الوالد رحمه الله تعالى.

ثم دخلت عليه أمه يوماً فوجدته نحيلًا ومصفرًا من آثار الجوع والسهر، ووجدته يأكل في قرصٍ من شعير، فدخلت على الشيخ فوجدت بين يديه إناءً فيه عظام دجاجة مسلوقة قد أكلها، فقالت: يا سيدي تأكل الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير؟! فوضع يده على تلك العظام وقال: قومي بإذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم، فقامت الدجاجة سوية. فصاحت. فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل مما شاء.

\*يقول أحد تلامذته: شكوت إليه الفاقة وكثرة العيال في غلاء نزل بغداد، فأخرج كيسًا من قمح وقال: ضعه في كواره وسُدَّ رأسها، وافتح في جنبها فتحًا، وأخرجوا منه واطحنوا ولا تغيروه. قال: فأكلنا منه خمس سنين، ثم فتحت زوجته فوجدته على حاله أول مرة، فنفذ في سبعة أيام. فأخبر الشيخ عبد القادر فقال: لو تركتموه لأكلتم منه إلى أن تموتوا! رضي الله عنه.

\*يقول تلامذته: كنا بين يدي شيخنا سنة ٥٥٥ هـ فقام وتوضأ في قبقاب له وصلى ركعتين، فلما سلم صرخ صرخة عظيمة، وأخذ فردة من قبقابه ذاك ورمى بها في الهواء، فغابت عن أبصارنا، ثم صرخ أخرى ورمى بالفردة الأخرى فغابت عن أبصارنا أيضًا. ثم جلس ولم يتجاسر أحد سؤاله. ثم بعد ٢٣ يومًا قدمت قافلة من بلاد العجم وقالت: إن معنا للشيخ نذرًا. فاستأذناه فقال: خذوه منهم. فأعطونا ثيابًا من حرير وثيابًا من خز وذهبًا وقبقاب الشيخ الذي رمى به في ذلك اليوم. فقلنا لهم: من أين لكم هذا القبقاب؟ قالوا: بينما نحن سائرون في يوم كذا وكذا؛ إذ خرجت علينا عُرب (بدو) لهم مقدمان (رئيسان) فانتهبوا أموالنا وقتلوا منا، ونزلوا واديًا يقتسمون أموالنا، ونزلنا على شفير الوادي فقلنا: لو ذكرنا الشيخ عبد القادر في هذا الوقت ونذرنا له شيئًا من أموالنا إن

سلمنا، فبينما ذكرناه سمعنا صرختين عظيمتين ملأتا الوادي، ورأيناهم يفرون مذعورين، فظننا أن قد جاءهم عُرب آخرون، فجاء إلينا بعضهم وقالوا: تعالوا خذوا أموالكم وانظروا ما قد داهمنا، ونظروا فوجدونا المقدمين ميتين، وعند كل واحد منها فردة قبقاب مبتلة بماء. فردوا علينا أموالنا وقالوا: إن لهذا الأمر نبأً عظيماً!! رضي الله عنه.

\*وخطفت ابنة أحد الشيوخ ببغداد لما صعدت إلى سطح دارها، فجاء والدها إلى سيدنا الشيخ عبد القادر وأخبره، فقال له: اذهب إلى خراب الكرخ في الليل، وخط عليك دائرة في الأرض وقل وأنت تخطها: بسم الله على نية عبد القادر. فإذا كانت فحمة الليل مرت بك طوائف من الجن على صور شتى، فلا يروعنك منظرهم، فإذا كان السحر مرَّ بك مليكهم في جحفل منهم، فيسألك عن حاجتك فقل له: قد بعثني عبد القادر إليك. واذكر له شأن ابنتك، ففعل الرجل، وجاء ملكهم راكباً فرساً وبين يديه أممٌ منهم، فوقف بإزاء الدائرة وقال: يا إنسي ما حاجتك؟ قلت: قد بعثني الشيخ عبد القادر إليك، فنزل عن فرسه وقبل الأرض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه وقال: ما شأنك؟ فذكر له قصة ابنته. فقال لمن معه: من فعل هذا؟ فلم يعلموا من فعله. ثم بعد ساعة أتى بهارد وهي معه، وقيل له: هذا من مردة الجن، فقال: ما حملك أن اختطفت من تحت ركاب القطب؟ قال: إنها وقعت في نفسي وأحببتها، فأمر بضرب عنقه، وأعطاه ابنته، فقال له: ما رأيت كالليلة في امتثالك أمر الشيخ عبد القادر!! قال: نعم إنه من داره ينظر إلى المردة منا وهم بأقصى الأرض، فيفرون من هيبته إلى مساكنهم، وإن الله إذا أقام قطباً مكّنه من الجن والإنس. (رضي الله عنه وأرضاه وأرضانا معه).

\* واجتمع لديه من الزوار نحو من ٣٠٠ رجل، فخرج من داخل الدار عَجَلًا وصاح بالناس: أسرعوا إلي... فأسرعوا إليه، حتى لم يبق في المكان أحد سقط السقف وسلم الناس. فقال: إني كنت في الدار فقيل لي: إن السقف سيقع الآن. فأشفقت عليكم، رضي الله عنه.

\* يقول واعظ مصر إبراهيم بن نجا الأنصاري الدمشقي: حججت مرة وأتيت بغداد أنا ورفيق لي، وما كنا دخلناها قبل ولا نعرف فيها أحدًا، ولم يكن معنا إلا مديّة، فبعناها واشترينا بثمانها أرزًا فأكلناه، فلم يشبعنا. وأتينا مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر، فلما جلسنا قطع كلامه وقال: مساكين الغرباء، جاؤوا من الحجاز ولم يكن معهم إلا مديّة فباعوها واشتروا أرزًا وأكلوه، فلم يطب لهم ولم يشبعوا. فأعجبت به إعجابًا شديدًا، فلما انقضى كلامه أمر بمدّ السباط، فقلت لرفيقي سرًّا: ما تشتهي؟ قال: كشكًا بدراج. وقلت في نفسي: أشتهي شهيدًا. فقال الشيخ: أحضر كشكًا بدراج وشهدًا على الفور. فأحضرهما. فقال: ضعهما بين يدي ذينك الرجلين، وأشار إلينا، فأحضرهما ووضع الكشك قدامي والشهد قدام رفيقي، فقال له الشيخ: اعكس تصب. فلم أتمالك نفسي أن صرخت وسعيت إليه أتخطى رقاب الناس، فقال لي:

أهلاً وسهلاً بواعظ الديار المصرية! فقلت: يا سيدي فكيف وأنا لا أحسن أصحح الفاتحة؟! فقال: قد أمرت أن أقول لك هذا القول. قال: فاشتغلت عليه بالعلم، ففتح الله علي بالعلم في سنة بما لم يفتحه علي غيري في عشرين سنة، وألقيت دروسًا في بغداد، ثم

استأذنته في السفر إلى مصر، فقال لي: إنك ستصل إلى دمشق وتجد بها الغز<sup>(١)</sup> متأهبين للدخول إلى مصر ليملكوها، فقل لهم: إنكم لن تنالوا ما تريدون من مصر هذه المرة، بل ترجعون وتعودون إليها مرة أخرى وتملكونها. قال: فلما أتيت دمشق وجدت الأمر كما قال لي الشيخ، وقلت لهم فلم يقبلوا، ودخلت مصر فوجدت الخليفة متأهبًا للقائهم، فقلت له: لا بأس، إنهم ينقلبون خائنين وترجعون ظافرين، وهكذا كان. فاتخذني الخليفة جليسًا وأطلعني على أسراره، ثم جاء الغز في الثانية فملكوها وأكرموني إكرامًا عظيمًا - بالكلام الذي قاله لهم في دمشق - وحصل لي من الدولتين مئة وخمسون ألف دينار، بكلمة واحدة من الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه!!

\*- وازدادت مياه دجلة في بعض السنين حتى أشرفت بغداد على الغرق، فأتى الناس إلى الإمام يستغيثون به، فأخذ عكازه وأتى إلى الشط وركز عند حد الماء وقال: إلى هنا، فنقص الماء من وقته! رضي الله عنه.

\*- وخرج معه رجل اسمه ذيال ويبد الشيخ عكازه، فخطر له فقال: لو أراني الشيخ ما في هذه العكازة من كرامة، فنظر إليه متبسّمًا وركزها في الأرض؛ فإذا هي نور يتلألأ متصاعدًا نحو السماء وأشرق به الجو، وبقيت كذا ساعة، ثم أخذها فعادت عكازًا كحالتها أول مرة، وقال: يا ذيال أنت أردت هذا. رضي الله عنه.

---

(١) (الغز) أو (الأوغوز) مصطلح تركي، وهو تحالف قبليّ تركيّ خلال فترة العصور الوسطى، وهم أصل دولة السلاجقة والعثمانيين، وعشيرة من هذه الأمة، اعتنقت الإسلام وأسست الإمبراطورية السلجوقية العظمى.. ثمّ تغير المصطلح إلى (التركان) مع بداية عام ١٢٠٠، المهتمُّ أنّهم قومٌ غزاةٌ غزوا عددًا من البلدان...

\*قال خادمه الخضري الحسيني الموصلبي: خدمت سيدي ثلاث عشرة سنة، وشهدت له خارقات؛ منها: أنه كان إذا أعيأ الأطباء مريض أتى به إليه، فيدعو ويمر يده عليه فيقوم بين يديه وقد برئ بإذن الله. رضي الله عنه.

\*يقول خادمه محمد الهروي: خدمت سيدي الشيخ أربعين سنة، فكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء، يدخل خلوته ولا يدخلها أحد معه، ولا يخرج إلا عند طلوع الفجر، ولقد أتاه الخليفة بالليل مرارًا يقصد الاجتماع به ولا يقدر على ذلك إلى الفجر. كان يصلي ثم يذكر إلى ثلث الليل الأول، ثم يصلي قائمًا على قدميه يتلو القرآن إلى أن يذهب الثلث الثاني، وكان يطيل السجود جدًّا ثم يجلس متوجهًا مراقبًا مشاهدًا إلى قرب طلوع الفجر. ثم يأخذ في الدعاء والابتهاال والتدلل، ويغشاه نور يكاد يخطف الأبصار إلى أن يغيب فيه عن النظر، وكنت أسمع عنده: سلام عليكم، وهو يرد السلام إلى أن يخرج إلى صلاة الصبح، رضي الله عنه.

\*ويقول آخر: خدمت سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر ثلاث عشرة سنة فما رأيت به يتمخط ولا يتنخم، ولا قعدت عليه ذبابة، ولا قام لأحد من العظماء، ولا ألمَّ بباب أي سلطان، ولا جلس على بساطه، ولا أكل من طعامه إلا مرة واحدة. وكان يرى الجلوس على بساط الملوك ومن يليهم من العقوبات المعجلة. وكان يأتيه الخليفة والوزراء أو من له الحرمة الوافرة وهو جالس، فيقوم ويدخل داره، لثلا يقوم لهم، وكان يكلمهم الكلام الخشن ويبالغ في الموعظة، وهم يقبلون يده ويجلسون بين يديه متواضعين متصاغرين، رضي الله عنه.

وكان إذا كاتب الخليفة يكتب إليه: عبد القادر يأمرك بكذا وكذا، وأمره نافذ فيك، وطاعته واجبة عليك، وهو لك قدوة أو عليك حجة، فإذا وقف الخليفة على ورقته قبلها وقال: صدق الشيخ عبد القادر. رضي الله عنه.

\*حدث عنه الشيخ أحمد الجيلي يقول: كنت مع الشيخ عبد القادر بالمدرسة النظامية، واجتمع إليه الفقهاء والفقراء، فتكلم عليهم في القضاء والقدر، فبينما هو يتكلم إذ سقطت حية عظيمة في حجره من السقف، ففرَّ منها كل من كان حاضرًا عنده ولم يبق إلا هو، فدخلت الحية تحت ثيابه ومرّت على جسده وخرجت من طوقه والتفت على عنقه، ومع ذلك ما قطع كلامه ولا غير جلسته، ثم نزلت إلى الأرض، وقامت على ذنبها بين يديه وصوتت، ثم كلمها بكلام لم يفهمه أحد منا. ثم ذهبت، فجاء الناس وسألوه عما قالت وقال لها، فقال: قالت لي: لقد اخترت كثيرًا من الأولياء فلم أر مثل ثباتك، فقال لها: لقد سقطت علي وأنا أتكلم في القضاء والقدر، وهل أنت إلا دويبة يحركك القضاء، ويسكنك القدر؟! فأردت ألا يناقض فعلي قولي. رضي الله عنه.

\*-كان إذا سار في الظلمة كلما مرَّ بحجر أو خشبة أو جدار أو قبر؛ أشار إليه فيضيء كضوء القمر، ويمشي مع أصحابه في نوره إلى أن ينتهي ضوءه، فيشير الشيخ إلى آخر فيضيء، وما زالوا يمشون في النور.

يقول أبو بكر بن العماد: كنت أقرأ في أصول الدين<sup>(١)</sup>، فأوقع عندي شكًا فقلت: حتى أمضي إلى مجلس الشيخ عبد القادر، فقد ذكر أنه يتكلم على الخواطر، فمضيت وهو يتكلم، فقال: اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة. فقلت في نفسي: هذا قاله اتفاقًا، فتكلم، ثم التفت إلى ناحيتي فأعاده، فقلت: الواعظ قد يلتفت، فالتفت إليّ الثالثة

---

(١) أي: في العقيدة والتوحيد.



وقال: يا أبا بكر، فأعاد القول ثم قال: قم قد جاء أبوك وكان غائبًا. فقمتم مبادرًا وإذا أبي قد جاء. رضي الله عنه.

\*يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي: عزمت على الاشتغال بأصول الدين، فقلت في نفسي: أستشير الشيخ عبد القادر. فأتيته فقال قبل أن أنطق: يا عمر<sup>(١)</sup> ما هو من عدة القبر، يا عمر ما هو من عدة القبر، رضي الله عنه.

\*وقال أبو البقاء النحوي: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر، فقرأوا بين يديه بالألحان (بالأنشيد الدينية) فقلت في نفسي: ترى لأي شيء ما ينكر الشيخ هذا؟ فقال: يجيء واحد قد قرأ أبوابًا من الفقه ينكر؟! فقلت في نفسي: لعل أنه قصد غيري، فقال: إياك نعني بالقول! ففتبت في نفسي من اعتراضه. فقال: قد قبل الله توبتك. رضي الله عنه.

\*حكى الشيخ أبو الحسن بن غريبة الفقيه: أن ابن هبيرة الوزير قال: قال لي الخليفة المقتفي لأمر الله: إن الشيخ عبد القادر يستخف بي ويذكر نخلة في رباطه يقول لها: يا نخيلة لا تتعدي أقطع رأسك. وإنما يشير إلي، تمضي إليه وتقول في خلوة: ما يحسن بك أن تتعرض بالإمام (الخليفة) أصلاً، وأنت تعرف حرمة الخلافة!!

فأرسل الشيخ أبو الحسن، فذهب إليه فوجد عنده جماعة، فجلس ينتظر منه خلوة، فسمعه يتحدث ويقول في أثناء كلامه: نعم أقطع رأسها، فعلمت أن الإشارة إلي، فقمتم وذهبت، فقال لي الوزير: بلغت؟ فأعدت عليه ما جرى، فبكى الوزير وقال: لا شك في صلاح الشيخ عبد القادر رضي الله عنه.

احترام الأولياء له:

---

(١) عمر: هو اسم الإمام شهاب الدين السهروردي رضي الله عنه.

\*يقول الشيخ علي الهيتي: دخلت بغداد مرة لزيارة الشيخ عبد القادر، فوافيته فوق سطح مدرسته يصلي الضحى، فنظرت إلى الفضاء فوجدت فيه أربعين صفًا من رجال الغيب واقفين، في كل صف سبعون رجلًا. فقلت لهم: ألا تجلسون؟ قالوا: حتى يقضي القطب صلاته ويأذن لنا، فإن يده فوق أيدينا، وقدمه على رقابنا، وأمره علينا كلنا. فلما سلم أقبلوا يسلمون عليه ويقبلون يده رضي الله عنه.

\*زار قبر سيدنا معروف الكرخي فقال: السلام عليك يا شيخ معروف، عبرتنا بدرجة. ثم زاره مرة أخرى فقال: السلام عليك يا شيخ معروف، عبرناك بدرجتين، فقال له من القبر: وعليك السلام يا سيد أهل زمانه. رضي الله عنه.

\*- قيل للشيخ عقيل المنبجي رضي الله عنه: قد اشتهر ببغداد أمر شاب أعجمي شريف اسمه عبد القادر، فقال: وإن أمره في السماء أشهر منه في الأرض، ذلك الفتى الرفيع العلي المدعو في الملكوت بالباز الأشهب، وسينفرد في وقته، وسيرد إليه الأمر ويصدر عنه، ويُقصد بالزيارة في عصره. رضي الله عنه.

\*- قال الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه يومًا لأحد مريديه: اذكر لي شيئًا من مناقب الشيخ عبد القادر وصفاته، فذكر له شيئًا منها، فجاء رجل في أثناء حديثه وقال: مه، لا تُذكر عندنا مناقب غير مناقب هذا (وأشار إلى الشيخ أحمد) فنظر إليه الشيخ أحمد مغضبًا، فرفع الرجل من بين يديه ميتًا. ثم قال: ومن يستطيع وصف مناقب الشيخ عبد القادر؟! ومن يبلغ مبلغ الشيخ عبد القادر؟! ذلك رجل بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره، من أيهما شاء اعترف. الشيخ عبد القادر لا يأتي له ثانٍ في عصرنا. رضي الله عنه.

وقال يوصي أكابر أصحابه وقد جاء رجل يودعه مسافرًا إلى بغداد قال له: إذا دخلت بغداد فلا تُقدِّم على زيارة الشيخ عبد القادر شيئًا إن كان حيًّا، ولا على زيارة قبره إن كان ميتًا، فقد أُخِذَ له العهد: أيما رجل من أصحاب الأحوال دخل بغداد ولم يزره؛ سلب حاله ولو قبيل الموت، ثم قال: عندما كان يجيء إلى الشيخ حمّاد الدباس وهو شاب؛ يقوم إليه ويتلقاه ويقول: مرحبًا بالجبل الراسخ والطود المنيف الذي لا يتحرك، ويجلس إلى جانبه. رضي الله عنه.

\*- وزار مع الشيخ علي الهيتي وآخر قبر الإمام أحمد ابن حنبل، فخرج من قبره وضم الشيخ عبد القادر إلى صدره وألبسه خلعة وقال له: يا شيخ عبد القادر قد افتُقر إليك في علم الشريعة وعلم الحقيقة، وعلم الحال وفعل الحال.

\*- كان تلامذته الأولياء يقولون أول درسهم: الحمد لله على الإيمان والإسلام والكتاب والسنة، وأن كنا من محبي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه. وما تتلمذ عليه أحد إلا صار مفتيًا أو محدثًا أو فقيهاً أو وليًّا أو زاهدًا، وقد كان يفتي رضي الله عنه على المذهبين الشافعي والحنبلي.

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

مؤلفات مولانا الإمام الجيلاني رضي الله عنه:

١- الفتح الرباني والفيض الرحماني.

٢- فتوح الغيب.

٣- الغنية لطالبي طريق الحق، وفيه أحاديث مدسوسة عليه.

٤- الفيوضات الربانية.

- ٥- جلاء الخاطر في الباطن والظاهر.
- ٦- سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار.
- ٧- آداب السلوك والتوصل إلى منازل الملوك.
- ٨- إغائة العارفين وغاية منى الواصلين.
- ٩- أوراد الجيلاني.
- ١٠- تحفة المتقين وسبيل العارفين.
- ١١- حزب الرجاء والانتها.
- ١٢- الحزب الكبير.
- ١٣- دعاء البسملة.
- ١٤- الرسالة الغوثية.
- ١٥- رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله.
- ١٦- معراج لطيف المعاني.
- ١٧- يواقيت الحكم.
- ١٨- سر الأسرار في التصوف.
- ١٩- الطريق إلى الله (الخلوة والبيعة).
- ٢٠- عمدة الصالحين في ترجمة غنية الصالحين.
- ٢١- كيمياء السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة.
- ٢٢- المختصر في علوم الدين.
- ٢٣- رسائل الشيخ عبد القادر (١٥ رسالة).

٢٤- المواهب الرحمانية.

٢٥- حزب عبد القادر الجيلاني.

٢٦- تنبيه الغبي إلى رؤية النبي.

٢٧- الرد على الرافضة.

٢٨- تفسير القرآن.

٢٩- الحديقة المصطفوية.

جهوده في إعداد جيل صلاح الدين:

قام الإمام بحركة تجديدية في بثّ روح الإيمان، وفتح مدرسة ببغداد معتمداً فيها على الوقف الخيري، تغذية وسكناً لرواد المدرسة، ثمّ انطلق رواد المدرسة في سائر أقاليم العالم الإسلامي، وهي المدرسة نفسها نهجاً وممارسةً، فتحوا قرابة ٤٠٠ مدرسة، وكان الشعار هو: (لكلّ مذهبه الفقهي والفكري، وهدفنا واحد؛ هو تحرير القدس من نير الاحتلال الصليبي) الذي جثم عليها قرابة ٩٠ سنةً.

لقد اعتمد الإمام الجيلاني منهجاً سلوكياً في التزكية؛ هو صناعة الإنسان على مائة الإيمان، وفعلاً نجح الإمام الجيلاني في إعداد (جيل الرواد) الذين حملوا الفكرة، ثمّ نشروها عبر مدارسهم في سائر الأقاليم؛ فظهر جيل جديد من الجنسين، فقد سجل التاريخ نساء وصلن إلى درجة الإفتاء في الشام فقط في الفترة التي تولى فيها صلاح الدين الأيوبي، وبلغن ٨٠٠ امرأة خريجات مدرسة الجيلاني الأصلية أو فروعها، ليأتي صلاح الدين<sup>(١)</sup> على قمة جبل يفور حيوية وتضحية، منسجم الرؤية في قواسم مشتركة؛ أبرزها:

---

(١) ولد (٥٣٢هـ)، وتوفي (٥٨٩هـ)، وهو معاصر للإمام الجيلاني الذي توفي ٥٦١هـ.

تطهير القدس من رجس الاحتلال، وكذا احترام الآخر أيًا كان مذهبه الفقهي أو الفكري، وكذا الزهد في الدنيا؛ بأن يجعلوها في اليد لا في القلب.

وهذا أكد عليه الإمام الجيلاني في خطابه تكررًا ومرارًا، ودعا للأخذ بالأسباب مخالفاً ومحاربًا لما كان ترسخ في الخطاب الصوفي المنحرف، مؤكدًا أن ترك الأسباب مخالفةٌ للشريعة؛ إذ لا فرق بين تارك الأخذ بالأسباب وتارك الصلاة التي تعدُّ من أقوى الأسباب المانعة من الوقوع في الفحشاء والمنكر، وكذا سائر الشعائر التعبدية.

كما أن الإمام الجيلاني استفاد من تجارب المدارس الإصلاحية التي سبقته؛ كـ(مدرسة سيدنا الإمام أبي حامد الغزالي<sup>(١)</sup>).

وفاته رضي الله عنه:

يقول الإمام ابن رجب الحنبلي: سمعت أنه كان يقول عند موته: رفقا رفقا.

ثم يقول: وعليكم السلام.. وعليكم السلام. أجيء إليكم.. أجيء إليكم.

وسمعت من يحكي أنه قال عند موته: أنا شيخ كبير.. ما وعدنا بهذا<sup>(٢)</sup>.

لقد عاش جدي الإمام الجيلاني تسعين سنة، فلما حضره الأجل أوصى ولده ومن حوله فقال: عليك بتقوى الله وطاعته، ولا تخف أحدًا ولا ترجه، وكل الحوائج كلها إلى الله عز وجل واطلبها منه، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل، ولا تعتمد إلا عليه سبحانه:

---

(١) المصادر: «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» - ماجد الكيلاني (ص ٢٥١)، «الشيخ عبد القادر الجيلاني رؤية تاريخية

معاصرة» د. جمال الدين فالح الكيلاني (ص ٢١٤)، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب بغداد ٢٠١١.

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب.

التوحيد - التوحيد - التوحيد. مُرُّوا بأخبار الصفات كما جاءت، الحكم يتغير والعلم لا يتغير، الحكم ينسخ والعلم لا ينسخ، لا تبغض علم الله بحكمه.

ثم قال: قد حضر عندي غيركم، فوسّعوا لهم وتادبوا معهم، ههنا زحمة عظيمة، ولا تضيقوا عليهم المكان، وصار يمد يده ويرفعها: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هو ذا أجي إليكم، استعنت بلا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. سبحان من تعزز بالقدرة، وقهر عباده بالموت.. الله الله الله، حتى خفي صوته، ثم خرجت روحه الكريمة.

وانتقل إلى جوار الله سنة ٥٦١هـ، وشيعة أهل بغداد وخلق لا يحصون من الأبدال والأولياء الغائبين والحضار<sup>(١)</sup>، ودفن هناك في مدرسته، رضي الله عنه وأرضاه وأرضانا معه.

وهكذا وقفنا على حياة: (سيدي ومولاي الإمام عبد القادر الجيلاني) سلطان الأولياء وإمام الأصفياء، وأحد أركان الولاية الأقوياء، الذين وقع الإجماع على ولايتهم عند جميع أفراد الأمة المحمدية من العلماء وغير العلماء، رضي الله عنهم وعن سائر الأولياء. إنَّ شيوخ السجادة القادرية يعطون لكلٍّ مريدٍ ينتسب إلى الطريقة شجرة النسب، والإجازة بالأوراد؛ ليكون السند متصلًا، وقد أُجزتُ بالطريقة القادرية من والدي رحمه الله تعالى بالإجازة العامة، ومن الشيخ محمد اختر رضا خان من الهند، ومن الشيخ تراب الحق القادري من باكستان، ومن الشيخ أبي سعيد قويدر عن الشيخ فريز الكيلاني المتوفى

---

(١) وصلى عليه ابن عبد الوهاب، وكان يومًا مشهودًا.

بحمّاء، ومن الإمام الشّخ محمد الفّاح الكّان بالإنّارة العامة للطرق كلّها، ومن الشّخ  
أحمد الوهاج الصّدّيق التّمي القرشي في مكة، وإلّك صورها:



ورد الطريقة القادرية  
الاستغفار ٧٠ مرة  
الصلاة على النبي ٣٢٣ مرة  
لا إله إلا الله ١١ مرة  
الدعاء للمؤمنين

# سَيِّدُنَا رَسُولَ اللَّهِ مَحْمَدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سند الطريقة القادرية

سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

الإمام الحسن البصري

الإمام حبيب العجمي

الإمام داود الطائفي

الإمام معروف الكرخي

الإمام السري السقطي

الإمام الجنيد البغدادي

الشيخ أبي بكر الشيبلي

الشيخ أبي الفرج طبرطوس الكوفي

الشيخ أبي الحسن القرني

أبو سعيد الخرمي الخرمي

الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني

الإمام أبو بكر عبد الرزاق

الإمام أبو صالح محمد نصر

الإمام أبو نصر علي الدين محمد

الإمام أبو محمد رشيد

الإمام عبد الرزاق العفراوي

الإمام قطب الرجال أبو رسلان

الإمام محمد السلسال

الإمام صاحب الأحوال خالد

الإمام شمس الدين محمد

الإمام قطب أبو محمد رشيد

الإمام شمس الدين محمد

الإمام قطب عثمان

الإمام شهاب الدين أحمد

الإمام عيسى

الإمام الفقيه وهبة

الإمام محمد

الإمام علي

الإمام محمد الخطيب

الإمام عبد الرحيم الخطيب

الإمام عبد الله الخطيب

الإمام محمد الخطيب

الإمام محمد سهيل الخطيب

الإمام عبد العزيز الخطيب  
الحسني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى ذَوِيهِ وَآلِهِ أَبَدَ الدُّهُورِ وَكَرَّمَا

### سند الإجازة

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، الحمد لله العليّ الأعلى وكفى، والصلاة الأبهى، والسلام الأسنى، الأوفى الأوفى، على عباده الذين اصطفى، خصوصاً على حبيبه سيّدنا محمّد المصطفى، نبيه المجتبي، رسوله المرتضى، وعلى آله ومحبيه أولى الصدق والصفاء، لا سيّما الأربعة الخلفاء، وعلى جميع التابعين وجميع أئمّة الدين، والأولياء العرفاء، لا سيّما الإمام الأعظم، والهمام الأفخم، أبي حنيفة كاشف الغمّة، إمام أئمّة الشريعة الغرّاء، والغوث الأعظم، الغياث الأكرم، سيّدنا أبي محمّد محيي الدين والملة البيضاء، سيّدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رضوان الله تعالى عليه، وعلى جميع الصلحاء، أهالي الوفاء، ثمّ علينا إلى يوم الجزاء.

أما بعد: فقد التمس منّي عزيزي المولوي الدكتور عبد العزيز الخطيب الحسني إجازة السلسلة العليّة العالية، القادريّة البركاتيّة، الرضويّة المباركة، وإجازة الأوفاق، والأعمال والأذكار والأشغال، فأجزته على بركة الله تعالى ذي الجلال، ثمّ على بركة رسوله الأعلى، صاحب الجمال جلّ جلاله، وعم نواله، عليه الصلاة والتحيّة والثناء، كما أجازني شيخي وسندي وكنزي وذخري ليومي وغدي جدّي المفتي الأعظم، مولانا مصطفى رضا القادري، قدّس سرّه وأجازه حضرة نور العارفين، قدوة الواصلين، خاتم الكبراء، مولانا الشاه أبو الحسين أحمد نوري ميان صاحب وشيخ الإسلام والمسلمين، رأس المحققين،

مجدد الملة والدين، إمام أهل السنة، قانع الفتنة، سيدي وسندي الشيخ مولانا الشاه أعلى  
حضرت إمام أحمد رضا رضي الله تعالى عنهما، وأمطر شآبيب الرحمة والرضوان عليهما،  
وأوصيه بحماية السنن السنية، ونكاية الفتن الدنية، واكتساب الحسنات، واجتناب  
البدعات الغير المرضية، بارك الله لنا وله، وحقق أملي وأمله، وأصلح لي عملي وعمله،  
أمين أمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، قال بفمه، وأمر برقمه العلامة محمد اختر رضا خان  
القادري الأزهري.

الرابع والعشرون من شهر شعبان ١٤٢٩ هـ

أستانة عالية قادرية بركاتية رضوية سوادگران بريلي شريف



وَعَلَى ذَوِيهِ وَاللَّهُ أَبَدًا الذُّهُورُ وَكُرَّمًا  
 اللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

# سَنَدُ الْجَائِزَةِ

تَحْرِيرًا وَتَصَدِيقًا عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى وَكَفَى وَالصَّلَاةُ الْأَجْمَلُ  
 وَالسَّلَامُ الْأَسْمَى الْأَوْفَى الْأَوْفَى عَلَى عِبَادَةِ الذُّنُوبِ أَصْطَفَى خُصُوصًا عَلَى حَبِيبِهِ سَيِّدِنَا  
 مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى نَبِيِّهِ الْمَجْتَبَى رَسُولِهِ الْمُرْتَضَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الْمَصْدَقِ وَالصَّفَا كَسْبِنَا  
 الْأَرْبَعَةَ الْخُلَفَاءَ وَعَلَى جَمِيعِ الْتَابِعِينَ وَجَمِيعِ أُمَّةِ الدِّينِ وَالْأَوْلِيَاءِ الْعَرَفَاءِ لِاسْمِ الْأَعْلَى  
 الْأَعْظَمِ وَالْهَيْبَةِ الْأَفْخَمِ وَأَبِي حَتِيفَةَ كَاشِفِ الْخَيْمَةِ أَمَامِ أُمَّةِ الشَّرِيعَةِ الْغُرَرِ  
 وَالْعَوْتِ الْأَعْظَمِ الْعَاشِقِ الْأَكْرَمِ سَيِّدِنَا ابْنِ مُحَمَّدٍ عَمِّ الدِّينِ وَالْمِلَّةِ الْبَيْضَاءِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ  
 عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَلَى جَمِيعِ الصُّلَحَاءِ أَهْلِ الْوَقَاءِ نَحْنُ عَلَيْنَا  
 إِلَى يَوْمِ الْجَزَاءِ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ تَقَرَّرَ مَعْتَقِي عَزِيزِي الْمُؤَلَّى الدُّعَاةُ عَسَاةُ الْعَرَبِ فِيهَا سَاعِدِينَ  
 اجازة التسلسل العلية العالوية القادرية البركاتية الرضوية المباركة واجازة الافاق  
 والاعمال والادكار والاشغال فاخرته على بركة الله تعالى ذي الجلال ثم على بركة رسوله  
 الاعلى حصصا لجلالته وعمه نواله عليه الصلوة والتحية والثناء كتابا اجازتي شيعي  
 وسندي وكنتي ولاخيري ليومي وعدي جدي المغني الاعظم مولانا مصطفى رضا قادري  
 قدس سره واجازة خصصة نور العارفين قدوة الواصلين نخامة الكبراء مولانا الشاه  
 ابوالحسن محمد نوري ميان حسنا وشيخ الاسلام والمسلمين راسل المحققين محمد زك الملقب بالذبي  
 امانه لاهل السنة قاصح الفتنة سيدنا وسندي الشيخ مولانا الشاه اجل حظه امام احمد رضا رضي  
 الله تعالى عنهما وامطر شاميل رحمة والرضول غايبا واوصيه بنجاية السكون السنية ونيكايه  
 الفتن الدينية واكتساب الحصان واجتناب لبدن الغر المضحية انك الله لنا وله وحقق امل  
 املة واصلح لي على معلمة امين امين برحمتك يا ارحم الراحمين قال بقية وامير وقمة

العلامة محمد اختر صاحب دار الحديث الانوارية  
 الرابع والستون من شهر رمضان سنة 1344 هـ

آشانه عاليه قادرية بركاتية رضوية، سوادگران بريلي شريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى ذَوِيهِ وَآلِهِ أَبَدَ الدُّهُورِ وَكَرَّمَا

### سند الإجازة

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، الحمد لله العليّ الأعلى وكفى، والصلاة الأبهى، والسلام الأسنى، الأوفى الأوفى، على عباده الذين اصطفى خصوصاً على حبيبه سيّدنا محمد المصطفى، نبيّه المُجتبى، رسوله المرتضى، وعلى آله ومحبيه أولى الصدق والصفاء، لا سيّما الأربعة الخلفاء، وعلى جميع التابعين، وجميع أئمة الدين والأولياء العرفاء، لا سيّما الإمام الأعظم، والهمام الأفخم، أبي حنيفة كاشف الغمّة، إمام أئمة الشريعة الغرّاء، والغوث الأعظم، الغياث الأكرم، سيّدنا أبي محمد محيي الدين والملة البيضاء، سيّدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رضوان الله تعالى عليه وعلى جميع الصلحاء، أهالي الوفاء، ثمّ علينا إلى يوم الجزاء.

أمّا بعد: فقد التمس منّي عزيزي المولوي فضيلة الشيخ العلامة الدكتور عبد العزيز الحسيني الجيلاني الشافعي الدمشقي حفظه الله تعالى، إجازة السلسلة العلية العالية، القادرية البركاتية، الرضوية المباركة، وإجازة الأوفاق والأعمال والأذكار والأشغال، فأجزته على بركة الله تعالى ذي الجلال، ثمّ على بركة رسوله الأعلى صاحب الجمال جلّ جلاله، وعمّ نواله، عليه الصلاة والتحيّة والثناء، كما أجازني شيخي وسندي وكنزي وذخري ليومي وغدي المفتي الأعظم مولانا مصطفى رضا القادري، قدّس سره، وأجازه حضرة نور العارفين، قدوة الواصلين، خاتم الكبراء، مولانا الشاه أبو الحسين أحمد نوري ميان صاحب وشيخ الإسلام والمسلمين، رأس المحقّقين، مجدّد الملة والدين، إمام أهل السنّة، قانع الفتنة، سيّدي وسندي الشيخ مولانا الشاه أعلى حضرت إمام أحمد رضا رضي الله تعالى عنهما، وأمطر شآبيب الرحمة والرضوان عليهما، وكما أجازني أستاذي

حضرة العلامة المولى القاري محمّد مصلح الدين الصديقي القادري، وفضيلة الشيخ  
حضرة العلامة المولى فضل الرحمن القادري المدني ابن ضياء الملة والدين، حضرة العلامة  
المولى ضياء الدين القادري المدني قدّس سرهم، وأوصيه بحماية السنن السُنِّيَّة، ونكاية  
الفتن الدنيَّة، واكتساب الحسنات، واجتناب البدعات الغير المرضيَّة، بارك الله لنا وله،  
وحقق أمني وأمله، وأصلح لي عملي وعمله، آمين آمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

٢٢/ ربيع الآخر ١٣٣٥ هـ

٢٢/ فبراير ٢٠١٣ م فقير السيد الشاه تراب الحق القادري الرضوى

أستاذة عالية قادرية بركاتية رضوية مصلح الدين كاردن كراتشي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُمَّ زِدْهُمُ زَكَاةً

وَأَلْحِقْهُمُ بِطَيِّبَاتِ عِلْمِهِ وَسُلَامَتِهِ

# سَنَدُ الْإِجَازَةِ

تَحْقِيقًا وَيُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ يُعْرِضُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَكْبَرِ وَكَفَى وَالصَّلَاةُ الْأَيْمَى  
 وَالسَّلَامُ الْأَسْمَى الْأَوْفَى الْأَوْفَى عَلَى جِهَادِ الدِّينِ أَصْطَفَى خُصُوصًا عَلَى حَبِيبِهِ سَيِّدِنَا  
 مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى نَبِيِّهِ الْمُبَشَّرِ رَسُولِهِ الْمُبَشَّرِ وَكُلِّ أُمَّةٍ وَجَبَتْهُ أُولَى الصَّدَقِ وَالصَّفَا لَأَسْمَى  
 الْأَرِيحَةِ الْحَقَائِقَ وَكُلِّ مَجْتَمِعِ النَّاجِينَ وَتَحْيِيهِ بِمَجْمَعِ الدِّينِ وَالْأَوْلِيَاءِ الْعَرَاءِ لِأَسْمَى الْأَمَامِ  
 الْأَعْظَمِ وَالْمُهَيَّمِ الْأَفِيضِ أَبِي حَبِيقَةَ كَاشِفِ الْهَمِّ أَمَامِ أُمَّةِ الشَّرِيعَةِ الْعُرَاءِ  
 وَالْعَوْتِ الْأَعْظَمِ الْغِيَاثِ الْأَكْبَرِ سَيِّدِنَا أَبِي مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ الدِّينِ وَالْمِلَّةِ الْبَيْضَاءِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ  
 عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَلَى كَمِيعِ الصُّلَمَاءِ أَهْلِ الْوَقَاءِ كُنْزِ عَلَيْنَا  
 إِلَى رُؤُوسِ الْحَقَائِقِ أَمَا يَكُنْ! فَهَذَا الْقَيْمِ تَمَّ كَنْزِي الْمَوْلَى رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 الدُّكْتُورُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَسَنِ الْجِيلَانِيُّ الشَّافِعِيُّ الرَّسْمِيُّ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

إِجَازَةُ السَّلْسَلَةِ الْعَالِيَةِ الْعَالِيَةِ الْقَادِرَةِ الْبُرْكَانِيَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ وَالْإِجَازَةُ الْأَوْفَى  
 وَالْإِعْجَالُ وَالْإِعْجَالُ وَالْإِعْجَالُ فَاجْزَيْهِ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَلَالِ ثُمَّ عَلَى بَرَكَاتِ رَسُولِهِ  
 الْأَعْلَى حَيْثُ الْمَعَالِ سَجَلٌ جَلَالَةٌ وَتَعَدُّ نَوَالَهُ كَاتِبُ الصَّلَاةِ وَالْعُرْمَةِ وَالْبِنَاءِ كَمَا إِيَّازِي شَيْخِي  
 وَسَيِّدِي وَكَرَمِي وَكَرَمِي لِيَوْمِي وَكَرَمِي لِلْمَنْعِيِّ الْأَعْظَمِ مَوْلَانَا مُصْطَفَى رَضِيَ الْقَادِرِي  
 قَدْ مَنَّ سَيِّدًا وَإِجَازًا بِحَضْرَةِ نَوْرِ الْعَارِفِينَ قُدْوَةَ الْوَاضِلِينَ كِتَابَهُ الْكَبِيرُ مَوْلَانَا الشَّاهِدِ  
 أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدٍ نُورِي مِيَانِ حَقًّا وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَمْرًا لِلْحَقِيقِينَ بِجَدِّكَ الْمَلِكِ الْإِسْلَامِيِّ  
 أَمَامِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَأَوْجُوهِ الْفَنَنِ سَيِّدِي وَسَيِّدِي الشَّيْخِ مَوْلَانَا الشَّاهِدِ أَجَلِي حَقًّا أَمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ  
 اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَإِعْطَانِي بِسَبِيلِ الشَّرْحِ وَالرَّجُولِ عَلَيْهِمَا وَكَمَا إِيَّازِي أَسْتَأْذِنُ حَضْرَةَ الْعَلَامَةِ الْمَوْلَى  
 الْقَادِرِي مُحَمَّدَ مُصْطَفَى الدِّينِ الصَّدِّيقِي الْقَادِرِي وَفَضِيلَةَ الشَّيْخِ حَضْرَةَ الْعَلَامَةِ الْمَوْلَى فَضَلَ الرَّحْمَنِ  
 الْقَادِرِي الْمَدَنِي بْنِ ضِيَاءِ الْبَيْتِ وَالَّذِينَ حَضَرُوا الْعَلَامَةَ الْمَوْلَى هَيْبَةَ الدِّينِ الْقَادِرِي الْمَدَنِي قَدَّرَ  
 سَتْرَهُمْ وَأَوْصِيَهُمْ بِحِمَايَةِ السُّكُونِ وَالسُّكُونِ وَكَيْفِيَّةِ الْفَيْتَنِ الدِّينِيَّةِ وَالْكَتْمَانِيَّةِ الْمَعْنِيَّةِ وَالْحَقَائِقِ الْبَيْضَاءِ  
 الْعَوْتِ الْمُبَشَّرِ بِمَا أَلَّفَ اللَّهُ تَعَالَى وَحَقَّقَ الْوَلِيَّ أَمَلَهُ وَأَصْلَحَ لِي وَعَلَى كَمِيعَةِ أُمَّةٍ أَمِينٌ بِرَحْمَتِكَ  
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

مَوْلَى الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَقِيرُ السَّيِّدَةِ الشَّاهِدَةِ وَالْحَقِّ الْقَادِرِي الرَّضَوِيِّ  
 آسَنَانُ عَلَيْهِ قَادِرِي بِرُكَايَةِ رَضِيَّةِ مُصْطَفَى الدِّينِ كَرَامَتِي

٢٣ / ربيع الآخر ١٤٣٥ هـ  
 ٢٢ / فرري ٢٠١٢ م

## إجازة بخلافة الطريقة القادرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.  
أمَّا بعد: فقد طلب مني مولانا وسيدنا الحسيب النسيب العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز بن الشيخ سهيل الخطيب أن أجزيه بما أجازني به شيخ الطريقة القادرية الشيخ فريز الكيلاني المتوفى بحماة وإن كنت لست أهلاً لأن أجاز فكيف بأن أجزى؟! ولكن امتثالاً لأمره وتحقيقاً لرغبته أجبته طلبه؛ رجاء أن يخصني بدعوةٍ صالحةٍ من قلبه الطاهر المبارك، وقد أجزته إجازةً عامَّةً بالأوراد والأذكار وخلافة الطريق، وأسأل الله أن تنفعه وينفع على يديه؛ كما نفع على يد جدّه الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس الله سرّه العزيز ونفعنا به وبعلمومه آمين.

٣ محرّم الحرام ١٤١١هـ

خادم الطريقة القادرية

محمود قويدر



وأوصي الفخار نظر الله تعالى بعين العناية إليه بمجاهدة النفس وتفرغ القلب عن  
الأغيار وتطهيره عن سقاسف هذه الدار بملازمة الأذكار المأثورة والأدعية المشهورة  
والإكثار من الصلاة والسلام على خير الأنام مع المشاهدة المعنوية المنتجة للمجالسة  
الحسية ، والمرجو من الشيخ المذكور ضاعف الله لنا وله الأجر أن لا يساني من دعوة  
صالحة جعل الله تجارة الجميع رابحة وأمدنا بالمدد الأسنى وختم له بالحسن .

دمشق في ٢٥ ربيع الأول ١٤١٥ هـ

وكتبه خادم العلم الشريف

أحمد نصيب المحاميد

### إجازة بخلافة الطريقة القادرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد فقد طلب مني مولانا وسيدنا الحبيب النسيب العلامة الجليل الشيخ  
عبد العزيز بن الشيخ سهيل الخطيب أن أجزئه بما أجازني به شيخ الطريقة القادرية  
الشيخ فريز الكيلاني المتوفى بحماه وإن كنت لست أهلاً لأن أجاز فكيف بإن أجزئ  
ولكن امتثالاً لأمره وتحقيقاً لرغبته أجبت طلبه رجاء أن يحني بدعوة صالحة من قلبه  
الطاهر المبارك وقد أجزته اجازة عامة بالاوراد والأذكار وخلافة الطريق واسأل الله ان  
تنفعه وينفع على يديه كما نفع على يد جده مولانا وسيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني  
قدس الله سره العزيز ونفعنا به ويعلموه آمين .

٣ محرم الحرام ١٤١١ هـ

خادم الطريقة القادرية

محمود قويدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه.  
أما بعد: أجزتُ الأخ الشيخ عبد العزيز محمّد سهيل الخطيب الحسني بالطرق  
الصوفيّة بما أجازني به سيّدي الوالد مولانا الشيخ محمّد مكّي الكتّاني الحسني رحمه الله  
تعالى، والله خير الشاهدين.

### السيّد الشيخ محمّد الفاتح الكتّاني الحسني

هذه إجازة عامّة بسائر الطرق بشرط ألاّ يجيز بها إلّا المستحق.  
هذه الإجازة العامّة كما أجازني بها مولانا الوالد الشيخ السيّد محمّد المكّي الكتّاني؛ كما  
أجازه بذلك سيّدنا الجد الإمام السيّد محمّد عبد الله بن جعفر.  
والله وليّ التوفيق.  
والله المستعان على ما يصفون.

محمّد الفاتح الكتّاني

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

حضر الإجازة

سيّدي أنس الكتّاني بن سيّدنا الفاتح وولده

الشيخ رضوان درويش وولده

الشيخ يوسف خورشيد وولده

جمع من المنشدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دله

أهلت عبد العزيز محمد هون الطيب الحسني

بما أجازني به سيدي الوالد مولانا الشيخ محمد مكّي الكنتاني الحسني

رحم الله علي ، والله خير الساعدين .

السيد الشيخ محمد الفاعح الكنتاني الحسني

١٤٢٦  
٢٠١٥

لهذه إجازة عامة بسائر الطرق  
بشرط أن لا يجيز بها إلا المدعي  
لهذه الإجازة العامة كما  
أجازني بها مولانا الوالد الشيخ  
السيد محمد مكّي الكنتاني كما أجاز  
بذلك سيدي الجد الإمام السيد محمد  
عبد الله بن جعفر و الله ولي  
التوفيق مولانا الشيخ عبد الله  
ما يرضون محمد الفاعح الكنتاني  
الهاج

جعفر الإجازة

سيدي أنس الكنتاني بن سيدنا الفاعح وولده

الشيخ رضوان درويش وولده

الشيخ يوسف خورنيد وولده

جميعهم والمستدين

## إجازة في خلافة الطريقة النقشبندية والقادرية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وأزواجه وعترته الكرام.

أمَّا بعد: فإني قد أجزت أخي في الله تعالى الشيخ عبد العزيز الخطيب الحسني في الطريقتين النقشبندية والقادرية، وأقمته خليفة عني في بلاد الشام وما حولها من البلدان الإسلامية، ولقنته الذكر الخفي والجلي، وأن يقوم بجمع أهل الطريق النقشبندي، ويذكرون جميعاً الأذكار التالية:

لا إله إلا الله ١٠٠ مرة مع تصوُّر المعنى؛ وهو أنه لا معبود بحق إلا الله.

إلا الله ١٠٠ مرة الله الله مرة على قلبه ومرة عن يمينه مكان الروح.

الله ١٠٠ مرة يتصوَّر قلبه وهو يذكر الله الله.

تصوُّر نور الذكر وهو يعمُّ رأسه وجسمه. ثم تصوُّر اسم الله مكتوباً على القلب أثناء الذكر.

قراءة الختم الشريف مع شجرة السادة النقشبندية، ثم يصلُّون على سيِّدنا محمد صلَّى

الله عليه وسلَّم بالصيغة التالية:

اللهم صلِّ على سيِّدنا محمد، وعلى آل سيِّدنا محمد، وعلى أصحاب سيِّدنا محمد، وعلى

أزواجه أمَّهات المؤمنين، وأنزلهم في مقعد صدقٍ عندك يا مليكنا المقتدر، وفي رحمتك يا

أرحم الراحمين، وعجِّل فرجنا بحقِّهم وبحقِّ من جعلته رحمةً للعالمين ورحمةً لنساء

العالمين.

هذا وأوصي الأخ المجاز بتقوى الله تعالى وأكل الحلال واتباع السنة المطهّرة والدعاء  
لأشياخه الكرام، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم، والحمد لله ربّ  
العالمين.

شهد بذلك الشيخ أديب الكلاس وأولاده

وجمع كبيرٌ ممّن حضر في دار الجدّ الكرام

وتلامذة المجاز

الشيخ أحمد الوهّاج الصديقي

التمي القرشي

شيخ الطريقتين



## مصادر ترجمة سيدنا عبد القادر:

- رجال الفكر والدعوة في الإسلام أبو الحسن الندوي دار ابن كثير ص ٢٣٥.
- قلائد الجواهر في مناقب سيدنا عبد القادر الجيلاني محمد بن يحيى الشافعي الحنبلي.

- طبقات الحنابلة لابن رجب (ذيل طبقات الحنابلة) ٢٦٠.
  - إمام الحنابلة وتاج الأولياء محمد سليمان الطيب.
  - سير أعلام النبلاء ٤٣٩/٢٠.
  - شذرات الذهب ٢٤٧/٤.
  - بهجة المحافل. وتحفة الأماثل. يحيى بن أبي بكر العامري (ت ٨٩٢هـ).
  - جمال الدين فالح الكيلاني: الإمام عبد القادر الجيلاني تفسير جديد.
- اللهم اشهد بأننا نحب سيدنا الإمام الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وجده الأعظم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الكرام فاحشرونا تحت لوائهم، واغفر لكل من قرأ هذه الرسالة وترجمها إلى لغته ونشرها على أحبابه.
- آمين... آمين... وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الهداة المهتدين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.. والحمد لله رب العالمين.

دمشق ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

خويدم العلم الشريف

وخادم نعل جده الجيلاني الحسني

عبد العزيز محمد سهيل الخطيب الحسني

## خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات  
والصلاة والسلام الأتمّان على سيّد السّادات  
وعلى آله وصحبه سادة القادات وتابعيهم بإحسان وسلّم تسليمًا كثيرًا  
أما بعد:

فقد منّ الله عليّ بإتمام هذه الأبحاث عن التصوف الإسلامي الصحيح خلال ستة أشهر، وأتم الله نعمته بطبعها، وهاهي أمامكم وبين أيديكم، ولقد سارت هذه الأبحاث شرقًا وغربًا بوساطة أجهزة التواصل الاجتماعي، وبدأ بعض إخواننا بتدريسها أثناء إرسالها في دروسهم وزواياهم، فالله أسأل وبنبيه أتوسل قبولها في طبعها الثالثة التي زدت فيها بعض الأبحاث؛ كما نفع بطبعها الأولى والثانية، فله الحمد والمنة.

وثبت لدينا من هذه الأبحاث أن الصوفية منهجهم الكتاب والسنة، وأنهم من أهل السنة والجماعة، وكل كلام غير هذا مجروح وغير صادق، والدليل هذه الأبحاث التي أمامنا.

وكان التطبيق العملي للتصوف أن ألحقت بالكتاب سيرة جدي الإمام القطب الشيخ عبد القادر الجيلاني؛ ليتوج الكتاب بحياته الصوفية رضي الله تعالى عنه وأرضاه.  
ورحم الله تعالى والدينا وأشياخنا الكرام الذين ربوننا على حبّ الإسلام والتصوف  
الإسلامي



ف:

ديننا حب وود ما لنا في الكون ضد  
نصفحُ اليومَ لغدُ كـأبٍ لولد

وصلَّى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

هنا دمشق

١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

خادم الطريقة الشاذلية

عبد العزيز محمد سهيل الخطيب الحسني

الشافعي الدمشقي

## مصادر البحث

هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس: ماجد الكيلاني  
بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب: علي بن يوسف الشطنوفي (ت  
٧١٣هـ).

باز الله الأشهب: يوسف زيدان - دار المعارف مصر ١٩٩٩.

آداب النفوس

آداب سلوك المرید

أيها الولد

إحياء علوم الدين

إيضاح المقصود من وحدة الوجود

الأربعين في أصول الدين للغزالي

الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد

البرهان المؤيد

سير أعلام النبلاء - الذهبي - ١٩٨٥ (٢٠ / ٤٣٩)

التصوف الثورة الروحية في الإسلام

التعرف على مذهب أهل التصوف

التنوير في إسقاط التدبير

الحكم العطائية

شرح وتحليل الرسالة القشيرية

الرسالة اللدنية

الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة  
هكذا تكلم الشيخ عبد القادر الجيلاني د. جمال الدين الكيلاني -مركز الإعلام- بنغلادش

٢٠١٤م

الغنية لطالبي طريق الحق  
الفتح الرباني والفيض الرحماني  
الاسم المفرد الكواكب الدرية في بيان الأصول  
المستخلص في تزكية الأنفس  
شذرات الذهب، ابن العماد ١٤٥/٥  
وفيات الأعيان، ابن خلكان- مطبعة النهضة مصر ١٩٤٨  
الكامل لابن الأثير ٩/٢٤٧  
مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي- دائرة المعارف العثمانية  
المنتظم لابن الجوزي ١٠/٢١٩  
النور المنقذ من الضلال  
النظام الخاص لأهل الاختصاص  
بدء من أناب إلى الله  
بداية الهداية  
بستان العارفين  
بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب  
تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس  
تاريخ الاحتفال بمولد النبي ومظاهره في العالم  
تحقيق الحق في كلمة الحق

تربيتنا الروحية

ترجمان الأشواق

توجيه النبيه لمرضاة باريه

ثورة الروح

جغرافية الباز الأشهب، جمال الدين فالح الكيلاني - بيروت ٢٠١٢

جلاء الخاطر

جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر

الجوهرة

حالة أهل الحقيقة مع الله

حقائق عن التصوف

دلائل الخيرات

نفحات منبرية في الشخصيات الإسلامية لكاتب هذه الكلمات.

أعلام التصوف للفقير

بعض دواوين الشعر الصوفي.

عبد القادر الجيلاني أديباً: إيمان كمال مصطفى المهداوي - كلية التربية بغداد ١٩٩٦ م.

الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، الشيخ سعيد بن مسفر القحطاني،

المدينة المنورة ١٩٩٧ م.

الطبقات لابن رجب الحنبلي

الطبقات الكبرى للإمام الشعراني ١/ ١٢٧

فهرس الكتاب

رقم الصفحة	المحتوى	رقم الدرس
٥٧١	الإمام جلال الدين الرومي	٧١
٥٧٩	الطريقة المولوية	٧٢
٥٨٥	الإمام محمد بهاء الدين النقشبندي الأوسي البخاري شيخ الطريقة النقشبندية	٧٣
٥٩٣	الشيخ خالد النقشبندي العالم المجدد	٧٤
٦١٢	الطريقة النقشبندية	٧٥
٦٢١	أسلوب الطريقة	٧٦
٦٣٢	مراتب النفس عند النقشبندية	٧٧
٦٤١	(رابطة الشيخ) عند النقشبندية	٧٨
٦٤٨	الذكر القلبي	٧٩
٦٥٤	(ختم الخواجكان) على الطريقة النقشبندية	٨٠
٦٥٩	(المدد) في المفهوم الصوفي ١	٨١
٦٦٨	(المدد) في المفهوم الصوفي ٢	٨٢
٦٧٧	الرقص الصوفي بـ(الخرصة)	٨٣
٦٨٩	الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي	٨٤
٧٠٥	تصوُّف الإمام ابن عربي	٨٥
٧٣٦	سيدنا الإمام أحمد الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية	٨٦
٧٤٣	تصوُّف الإمام الشيخ أحمد الرفاعي	٨٧

٧٤٩	طريقة الإمام الشيخ أحمد الرفاعي	٨٨
٧٥٥	سيرة الإمام الشيخ أحمد الرفاعي وأخلاقه ومؤلفاته وتلامذته	٨٩
٧٧٣	الطريقة القادرية	٩٠
٧٧٤	مؤسس الطريقة الإمام عبد القادر الجيلاني أو الجيلاني أو الكيلاني	
٧٨٠	الإمام أحمد البدوي رضي الله عنه ١	٩١
٧٩١	الإمام أحمد البدوي رضي الله عنه ٢	٩٢
٨٠٢	الإمام عبد الوهاب الشعراني	٩٣
٨١٩	الإمام الشيخ عبد الغني النابلسي	٩٤
٨٣٢	التبرك بآثار النبي والصحابة والصالحين	٩٥
٨٣٨	جواز التبرك بالأنبياء والصالحين وآثارهم	٩٦
٨٥٢	الخشوع	٩٧
٨٥٦	فضل الخشوع وأهميته	٩٨
٨٦٥	الدروس التطبيقية في العبادات الصوفي	
٨٦٦	الخشوع في الصلاة ١	٩٩
٨٦٨	الخشوع في الصلاة ٢	١٠٠
٨٧٠	الخشوع في الصلاة ٣	١٠١
٨٧٢	الخشوع في الصلاة ٤	١٠٢

٨٧٩	الخشوع في الصلاة ٥	١٠٣
٨٨٢	الخشوع في الصلاة ٦	١٠٤
٨٨٤	الخشوع في الصلاة ٧	١٠٥
٨٨٦	الخشوع في الصلاة ٨	١٠٦
٨٨٨	الخشوع في الصلاة ٩	١٠٧
٨٩٠	الخشوع في الصلاة ١٠	١٠٨
٨٩٥	الخشوع في الصلاة ١١	١٠٩
٨٩٩	الخشوع في الصلاة ١٢	١١٠
٩٠١	الخشوع في الصلاة ١٣	١١١
٩٠٦	الخشوع في الصلاة ١٤	١١٢
٩١٤	الخشوع في الصلاة ١٥	١١٣
٩١٧	الخشوع في الصلاة ١٦	١١٤
٩١٩	الخشوع في الصلاة ١٧	١١٥
٩٢١	تطبيق آداب التصوف على الحج	١١٦
٩٣٠	التصوف والحج	١١٧
٩٣٥	أخلاق الصوفية: المجاهدة	١١٨
٩٤١	أخلاق الصوفية: التوبة ١	١١٩
٩٥١	أخلاق الصوفية: التوبة ٢	١٢٠
٩٥٨	أخلاق الصوفية: أصول الوصول إلى الله تعالى	١٢١
٩٦١	أخلاق الصوفية: محبة الله تعالى	١٢٢

٩٦٩	أخلاق الصوفية: الخلوة والعزلة	١٢٣
٩٧٧	أخلاق الصوفية: طهارة الظاهر	١٢٤
٩٨٤	العارف بالله سيدنا الشيخ مصطفى التركماني	١٢٥
٩٨٨	العارف بالله سيدنا الشيخ شكري اللُّحفي	١٢٦
٩٩٥	كلمة تأيين مولانا الشيخ شكري اللُّحفي	
١٠٠٦	قصيدة في مدح التصوف وآدابه	
١٠٠٩	ملحق رسالة في ترجمة سيدنا الإمام عبد القادر الجيلاني	
١٠٢٤	أقوال الأئمة الأعلام في مكانة سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني	
١٠٩٨	أساندي في الطريقة القادرية	
١١١٥	خاتمة	
١١١٧	مصادر البحث	
١١٢١	فهرس الكتاب	



## صدر للمؤلف

صدرت مجموعة من كتب والده الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني رحمه الله

تعالى وقام بتحقيقها:

١. كتاب الإسراء والمعراج.
٢. كتاب مناسك الحج والعمرة (طبع عدة مرات).
٣. كتاب الدعوات.
٤. الوصية الواجبة.
٥. رسائل الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني رحمه الله تعالى.
٦. ديوان خطب فضيلة الشيخ محمد سهيل الخطيب الحسني رحمه الله تعالى.
٧. الدروس البدرية (للشيخ محمد بدر الدين الحسني) ج ١.

صدرت مجموعة من كتبه منها:

٨. الأجوبة الجليلة عن المسائل الاعتقادية.
٩. الأجوبة العلمية عن المسائل الفقهية.
١٠. أحكام التجارة والتجار في الإسلام على المذاهب الأربعة (رسالة دكتوراة).

١١. أحكام الصيام على المذاهب الأربعة (طبع عدة مرات).

١٢. الأدلة المؤتلفة في مبيت مزدلفة.
١٣. الأدلة المجمعّة على صلاة الظهر بعد الجمعة.
١٤. أربعون حديثاً في خصائص سيدنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (طبع عدة مرات).
١٥. تحرير المسالك إلى عمدة السالك في الفقه الشافعي.
١٦. تنبيه الأبرار إلى كفاية الأخيار (مجلدان) في المذهب الشافعي.
١٧. ثبّت بالمسائل غير المفتى بها في كتاب عمدة السالك في المذهب الشافعي.
١٨. الجوهرة في شرح الجوهرة (مذكّرة في عقيدة أهل السنة والجماعة) (طبع عدة مرات).
١٩. دليل الحاج الطبي.
٢٠. دليل الحاج، مختصر لأهم الأحكام والأدعية في الحج والعمرة.
٢١. ديوان الشيخ عبد القادر الحمصي.
٢٢. رسائل ابن الخطيب الحسني في مجلدين.
٢٣. رسم المفتي (شرح لأهم المصطلحات والقواعد الفقهية، وترجمة لأعلام الشافعية).

٢٤. زاد المسلم من أذكار الكتاب والسنة (طبع عدة مرات).
٢٥. سور من القرآن وأدعية مختارة من الكتاب والسنة (طبع عدة مرات).
٢٦. شرح ابن قاسم الغزي (فهرسة ومقدمات) (طبع عدة مرات).
٢٧. ضم ثلاثة أثمار على متن غاية الاختصار في الفقه على المذاهب الأربعة (رسالة الماجستير).
٢٨. عمدة المفتي: متن ابن الخطيب الحسني في معتمد فقه المذهب الشافعي مع الأدلة (مختصر المجموع للإمام النووي).
٢٩. غرر الشآم في تاريخ آل الخطيب الحسنية ومعاصريهم في مجلدين.
٣٠. كيف تكون خطيباً ناجحاً؟
٣١. مختصر حاشية الباجوري على ابن قاسم في المذهب الشافعي.
٣٢. مختصر حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد.
٣٣. مراقبي العبودية في توحيد رب البرية (طبع عدة مرات).
٣٤. مشجرات الفقه الشافعي.
٣٥. مشجرات عقيدة أهل السنة والجماعة (مرفق مع مشجرات الفقه الشافعي).
٣٦. مع الله في الأذكار والأوراد (طبع عدة مرات).

٣٧. مناسك الحج والعمرة على المذهب الشافعي.
٣٨. ميزان الأختيار في التجارة والتجار "على المذهب الحنفي" (رسائل دبلوم).
٣٩. الديوان الأول في الخطب: نفحات منبرية في تاريخ المئة الأولى الهجرية، يتضمن السيرة النبوية بأكملها ثم تاريخ الخلفاء حتى سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ومواقف من السيرة.
٤٠. الديوان الثاني في الخطب: نفحات منبرية في سيرة أئمة المذاهب الفقهية (طبع مرات).
٤١. الديوان الثالث في الخطب: نفحات منبرية في القضايا التربوية.
٤٢. الديوان الرابع في الخطب: نفحات منبرية في القضايا الإيمانية (أربعة أجزاء). فيها استعراض لأركان الإيمان الستة مستمدة من الكتب المعتمدة عند الأشاعرة والماتريدية.
٤٣. الديوان الخامس في الخطب: نفحات منبرية في القضايا العراقية.
٤٤. الديوان السادس في الخطب: ردود على أباطيل.
٤٥. الديوان السابع في الخطب: الانتصار للنبي المختار.
٤٦. الديوان الثامن في الخطب: نفحات منبرية في الشخصيات الإسلامية.

- ٤٧ . الديون التاسع: قصص الأنبياء.
- ٤٨ . الديوان العاشر: نفحات منبرية في أعلام الشخصيات الإسلامية (ثلاث مجلدات).
- ٤٩ . الديوان الحادي عشر: نفحات منبرية في الحرب اللبنانية.
- ٥٠ . النفحة العلية في أناشيد الحضرة الشاذلية.
- ٥١ . دليل المؤمنين لأحاديث سيد المرسلين في العقيدة والفقہ والأخلاق (١٠٠٠٠ حديث).
- ٥٢ . معجم المصطلحات الفقهية على المذهب الشافعي.
- ٥٣ . النور السافر في مناقب أهل البيت الأکابر.
- ٥٤ . حكم التوسل في الإسلام.
- ٥٥ . كشف الران عن الوقت الضروري.
- ٥٦ . أحكام الشهيد في الفقه المقارن.
- ٥٧ . صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٥٨ . حكم إمامة المرأة في الصلاة.
- ٥٩ . التجديد في الفقه.
- ٦٠ . اعرف نبيك (مترجم إلى الإنكليزية).

٦١. رد الغافل إلى صلاة الغفلة.
٦٢. الديوان الثاني عشر: ديوان نفحات منبرية في حرب غزة الآبية (الحرب السابعة).
٦٣. الديوان الثالث عشر (نفحات منبرية في الأوامر والنواهي الشرعية).
٦٤. محاضرة عن القدس الشريف.
٦٥. مجالس الصوفية.
٦٦. الصلاة بين الشريعة والحقيقة.
٦٧. برنامج الدين والحياة، وبرنامج (فيه هدى للناس) (الإحسان، الإيثار، العمل الصالح، القرآن في رمضان، هدي السلف في الرجوع إلى الله).
٦٨. مسابقة رمضان على قناة صوفية.
٦٩. محاضرة: ماذا تحب أن تكون؟
٧٠. معجم الطلاق.
٧١. مختصر علوم القرآن.
٧٢. مختصر تاريخ التشريع.
٧٣. التسويق الشبكي.
٧٤. الديوان الرابع عشر: نفحات منبرية في الثورة السورية.

٧٥. أبحاث التصوف.
٧٦. موسوعة فقه المذهب الشافعي ١٢ مجلدًا.
٧٧. موسوعة العقيدة ٤ مجلدات.
٧٨. موسوعة أعلام الشخصيات الإسلامية ٥ مجلدات.
٧٩. موسوعة الخطب المنبرية ٧ مجلدات.
٨٠. الموسوعة الصوفية ٣ مجلدات.
٨١. الديوان الخامس عشر: ديوان الخطب المعاصرة.
- وأما ما هو تحت الإعداد والطبع:
٨٢. الأجزاء الفقهية في المذهب الشافعي.
٨٣. أحكام تجويد القرآن الكريم.
٨٤. أمهات المؤمنين.
٨٥. آيات المجالس.
٨٦. البُدر فيمن حضر غزوة بدر.
٨٧. براعة الاستهلال في الخطابة.
٨٨. تحقيق كتاب فتح العلام في الفقه الشافعي (فقه مقارن).
٨٩. حاشية على الروض المربع للبهوتي (فقه الحنابلة) في الفقه المقارن.

٩٠. حاشية على الهدية العلائية (فقه العبادات للحنفية) في الفقه المقارن.
٩١. حاشية على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد في العقيدة.
٩٢. حاشية على شرح الصاوي على جوهرة التوحيد.
٩٣. حاشية على فقه الشقفة في المذهب المالكي في الفقه المقارن.
٩٤. حاشية مفيد العوام للجرדاني في أدلة المذهب.
٩٥. ديوان الخطب الجمعية.
٩٦. رسالة في مصطلح الحديث النبوي الشريف.
٩٧. السيف الصارم الصمصام في الرد على المدعي هشام.
٩٨. الفتاوى (على المذاهب الأربعة).
٩٩. فقه العبادات على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه.
١٠٠. فهرسة كتاب إعانة الطالبين في الفقه الشافعي.
١٠١. فهرسة كتاب الأسماء واللغات للإمام النووي.
١٠٢. فهرسة كتاب روضة المحتاجين في الفقه الشافعي.
١٠٣. فهرسة كتاب فتح العلام في الفقه الشافعي.
١٠٤. فهرسة كتاب مغني المحتاج للخطيب الشربيني.
١٠٥. مبادئ الإملاء.



- ١٠٦ . مجالس رمضانفة .
- ١٠٧ . مختارات من الشعراء الإسلامفة .
- ١٠٨ . مختصر الإسراءفلفات فف التفسفر والحفء الشرف .
- ١٠٩ . مختصر تأرفخ المذاهب الإسلامفة فف العقائف .
- ١١٠ . مختصر حاشفة الأمفر على شرح عبد السلام على جوهرة التوففء .
- ١١١ . مختصر حاشفة الباجورف على السنوسفة الصغرى .
- ١١٢ . مختصر خصائف اللغة العربفة وطرق تفرفسها .
- ١١٣ . الموسوعة الفقهفة: مسائل الفقه المعتمدة الراجحة فف المذهب موزعة على أبواب الفقه المختلفة من تسعة كتب فف المذهب الشافعى .
- ١١٤ . مختصر شرح إءفاء علوم الففن .
- ١١٥ . ءفوان الخطب المعاصرة .
- البرامج المصورة على الفضائفاء:
- ١ . أعلام التصوف .
- ٢ . القضافا التربوفة .
- ٣ . مجالس الصوففة .
- ٤ . مجالس رمضان .

٥. أحكام الصيام من «إحياء علوم الدين».
٦. المهرجانات النبوية في المولد الشريف ١٥ مهرجاناً.
٧. مسابقة رمضان.

### الصوتيات:

١. تاريخ المئة الأولى الهجرية.
٢. تاريخ الخلفاء.
٣. تاريخ الأئمة الأربعة (الملف الفقهي).
٤. الأوامر والنواهي الشرعية.
٥. الشخصيات الإسلامية.
٦. الخطب المنبرية.
٧. قصص الأنبياء.
٨. القضايا الإيمانية.
٩. القضايا التربوية.
١٠. ردود على أباطيل.
١١. أناشيد الحضرة الشاذلية.